www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

البرهان
في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي
(٧٤٥-٧٩٤هـ)

ترتيبه وتبويبه

تحقيق

الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي
الشيخ جمال حمدي الذهبي الشيخ أحمد عبد القادر عطا

المجلد ٣

دار المعرفة
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

البرهان فی علوم القرآن

كاتب:

محمد بن عبد الله الزركشی

نشرت فی الطباعة:

دار المعرفة

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
البرهان فی علوم القرآن ----- ۹
اشارة ----- ۹
]الجزء الثالث ----- ۹
اشارة ----- ۹
القسم الثانی «۱»: الصفة ----- ۹
اشارة ----- ۹
فوائد تتعلق بالصفة ----- ۱۲
تنبیهان ----- ۲۰
القسم الثالث البدل ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
تنبیه ----- ۲۵
تنبیه ----- ۲۵
القسم الرابع عطف البیان ----- ۲۶
القسم الخامس ذکر الخاصّ بعد العام ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
(تنبیه) ----- ۲۹
القسم السادس ذکر العام بعد الخاص ----- ۲۹
القسم السابع عطف أحد المترادفین علی الآخر أو ما هو قریب منه فی المعنی، و القصد منه التأکید ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
تنبیهات «۱» ----- ۳۱
القسم الثامن الإیضاح بعد الإبهام ----- ۳۲
القسم التاسع وضع الظاهر موضع المضمر ----- ۳۴

اشارة ----- ۳۴
و للخروج على خلاف الأصل [أسباب «۱» ----- ۳۵
أحدها: قصد التعظيم ----- ۳۵
الثانی: قصد الإهانة و التحقير ----- ۳۶
الثالث: الاستلذاذ بذكره ----- ۳۶
الرابع: زيادة التقدير ----- ۳۶
الخامس: إزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد «۲» ----- ۳۷
السادس: أن يكون القصد تربية المهابة و إدخال الروعة فی ضمير السامع ----- ۳۸
السابع: قصد تقوية داعية المأمور ----- ۳۸
الثامن: تعظيم الأمر ----- ۳۸
التاسع: أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف ----- ۳۸
العاشر: التنبيه على علة الحكم ----- ۳۸
الحادی عشر: قصد العموم ----- ۳۹
الثانی عشر: قصد الخصوص: ----- ۴۰
الثالث عشر: مراعاة التجنيس ----- ۴۰
الرابع عشر: أن يتحمل ضميرا لا بدّ منه. ----- ۴۰
الخامس عشر: كونه أهم من الضمير ----- ۴۰
السادس عشر كون ما يصلح للعود و لم يسق الكلام [له «۸». ----- ۴۰
السابع عشر: الإشارة إلى عدم دخول الجملة فی حكم الأولى ----- ۴۱
اشارة ----- ۴۱
[تنبيهان «۳» ----- ۴۲
القسم العاشر تجیء اللفظة الدالة على التكثير «۱» و المبالغة بصيغ من صيغ المبالغة ----- ۴۳
اشارة ----- ۴۳
تنبيهات «۷» [صيغ المبالغة فی أسماء اللّه «۷» ----- ۴۵

القسم الحادی عشر [إطلاق «۳» المثنی و إرادة الواحد. ۴۸
القسم الثانی عشر إطلاق الجمع و إرادة الواحد ۵۰
القسم الثالث عشر إطلاق لفظ التثنیة و المراد الجمع ۵۱
القسم الرابع عشر التکرار علی وجه التأکید ۵۱
اشارة ۵۱
فائدة ۶۰
القسم الخامس عشر الزیادة فی بنیة الکلمة ۶۰
القسم السادس عشر التفسیر ۶۱
اشارة ۶۱
فائدة ۶۲
القسم السابع عشر خروج اللفظ مخرج الغالب ۶۲
القسم الثامن عشر القسم ۶۳
اشارة ۶۳
فوائد ۶۴
القسم التاسع عشر [۱۶۹/ ب إبراز الکلام فی صورة المستحیل علی طریق المبالغة لیدل علی بقیة جمله. ۶۵
القسم الموفی العشرین الاستثناء و الاستدراک ۶۶
القسم الحادی و العشرون المبالغة ۶۷
اشارة ۶۷
تنبیه ۶۸
فائدة ۶۸
القسم الثانی و العشرون الاعتراض ۶۹
اشارة ۶۹
فوائد ۷۲
القسم الثالث و العشرون الاحتراس ۷۳

اشارة ----- ۷۳
فائدة ----- ۷۴
القسم الرابع و العشرون التذییل ----- ۷۴
القسم الخامس و العشرون التتمیم ----- ۷۵
القسم السادس و العشرون الزیادة ----- ۷۵
اشارة ----- ۷۵
تنبیهات ----- ۷۶
فصل ----- ۷۷
القسم السابع و العشرون باب الاشتغال ----- ۸۳
القسم الثامن و العشرون التعلیل ----- ۸۴
اشارة ----- ۸۴
قاعدة تفسیریة «۳»: ----- ۸۴
الأسلوب الثانی الحذف ----- ۸۷
اشارة ----- ۸۷
فصل «۱» ----- ۸۸
(جدید ۲) ----- ۸۸
(جدید ۳) ----- ۸۸
(جدید ۴) ----- ۸۸
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۸۸

البرهان فی علوم القرآن

اشارة

نام کتاب: البرهان فی علوم القرآن نویسنده: محمد بن عبد الله الزرکشی موضوع: دانشنامه علوم قرآن تاریخ وفات مؤلف: ۷۹۴ ق زبان: عربی تعداد جلد: ۴ ناشر: دار المعرفة مکان چاپ: بیروت سال چاپ: ۱۴۱۰ / ۱۹۹۰ نوبت چاپ: اوّل

[الجزء الثالث

اشارة

[الجزء الثالث بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

القسم الثانی «۱»: الصفة

اشارة

القسم الثانی «۱»: الصفة و هی مخصصة إن وقعت صفة للنکرة، و موضحة للمعرفة، و تأتی «۲» لأسباب: (أحدها): لمجرد المدح و الثناء، و منه صفات اللّه تعالی، کقوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ (الفاتحة: ۱) فلیس ذکر الوصف هنا للتمییز لأنه لیس له مثل- تعالی [اللّه «۳» عن ذلک- حتی یوضّح بالصفة. و أخذ أبو الطیب هذا المعنی فذکر أسامی بعض ممدوحه، ثم قال: ۲/ ۴۲۳ أساميا لم تزده معرفة و إنّما لذّة ذکرناها «۴» فقوله: «لم تزده» بیان أنها للإطناب و الثناء، لا للتعریف و التبیین. و قیل: إنّ الصفات «۵» الجاریة علی القدیم «۶» سبحانه المراد بها التعریف، فإنّ تلک الصفات حاصلة له، لا لمجرد الثناء، و لو کانت للثناء لکان الاختیار قطعها؛ و منه قوله تعالی: یَحْکُمُ بِهَا النَّبِیُّونَ الَّذِینَ أَسْلَمُوا (المائدة: ۴۴) فهذا الوصف للمدح لیس غیر؛ لأنه لیس «۷» یمکن أن یکون ثمّة «۸» نبیّون غیر مسلمین، کذا قاله الزمخشری «۹». قال: «و أرید بها التعریض بالیهود، و أنهم بعداء من ملّة الإسلام التی «۱۰» هی دین الأنبیاء «۱۱» [کلهم، و أن الیهود بمعزل عنها» و التحقیق أن هذه الصفة للتمییز، و قد أطلق اللّه وصف الإسلام علی الأنبیاء] «۱۱» و أتباعهم؛

(_____ ۱) هذا القسم تابع للنوع السادس و الأربعین فی أسالیب القرآن و فنونه البلیغة، و قد تقدم القسم الأول، و هو التوکید الصناعی ص ۴۸۶. (۲) فی المخطوطة (أو). (۳) لفظ الجلالة لیس فی المخطوطة. (۴) البیت فی دیوانه ۴/ ۲۷۵ (بشرح أبی البقاء العکبری)، من قصیدة له یمدح فیها عضد الدولة أبا شجاع. (۵) فی المخطوطة (صفاته). (۶) تصحفت فی المخطوطة إلی (التقدیم). (۷) فی المخطوطة (لا). (۸) فی المخطوطة (ثم). (۹) الکشاف ۱/ ۳۴۰- ۳۴۱. (۱۰) فی المخطوطة (الذی هو). (۱۱) ما بین الحاصرتین ساقط من المخطوطة. البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۶ و الأصل فی المدح التمییز بین الممدوح و غیره بالأوصاف الخاصة، و الإسلام وصف عام، فوصفهم بالإسلام، إما باعتبار الثناء علیه أو الثناء علیهم بعد النبوة تعظیما و تشریفا «۱»، أو باعتبار أنهم بلغوا من هذا الوصف غایته؛ لأن معنی «۲» ذلک یرجع إلی معنی الاستسلام و الطاعة الراجعین إلی تحقیق معنی العبودیة، التی هی أشرف أوصاف العباد، فکذلک یوصفون [۱۴۴/ ب بها فی أشرف حالاتهم، و أکمل أوقاتهم. و قوله تعالی حکایة عن إبراهیم و إسماعیل: رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ (البقرة: ۱۲۸) أی، مستسلمین لأمرک، لقضائک، و کذا قول یوسف: تَوَفَّنِی مُسْلِماً (یوسف: ۱۰۱) [و کذلک «۳» قوله: النَّبِیُّونَ الَّذِینَ أَسْلَمُوا «۴» [لِلَّذِینَ هادُوا] «۴» (المائدة: ۴۴) تنویه بقدر الإسلام، و تنبیه علی عظم أمره، فإن الصفة تعظم بعظم موصوفها کما وصفت الملائکة المقربون بالإیمان فی قوله [تعالی «۶» یُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ یُؤْمِنُونَ [بِهِ «۶» (غافر: ۷) تنویها بقدر الإیمان، و حضّا للبشر علی التحلّی به، لیکونوا کالمقربین

فى وصف الإيمان، حتى قيل: أوصاف الأشراف؛ أشرف الأوصاف. (الثانى): لزيادة البيان، [كذا] قاله ابن مالك «۸»؛ و مثّله بقوله تعالى: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ (الأعراف: ۱۵۸)، و ليس ما قاله بواضح؛ فإن «رسول اللّه» كما يستعمل فى نبينا صلوات اللّه و سلامه عليه «۹»، يستعمل فى غيره بطريق الوضع، و تعريفه إنما حصل بالإضافة. (فإن قال): قد كثر استعماله فى نبينا صلّى اللّه عليه و سلّم حتى إنه لم يبق الذهن يتبادر إلا إليه! (قلنا): ليس هذا من وضعه بل ذلك من الاستعمال و قد استعمل فى غيره، قال تعالى: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ (الأعراف: ۱۵۸) و فى موضع آخر: رُسُلُ اللَّهِ (الأنعام: ۱۲۴) و فى حق عيسى:

(۱) فى المخطوطة (تشريفا لهم). (۲) فى المخطوطة (معناه) بدل (معنى ذلك). (۳) ساقطة من المخطوطة. (۴) ليست فى المخطوطة. (۶) ساقطة من المخطوطة. (۸) هو جمال الدين محمد بن عبد اللّه بن مالك تقدم التعريف به فى ۱/ ۳۸۱. (۹) فى المخطوطة (عليه و سلامه). تقديم و تأخير. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷ وَ رَسُولًا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ (آل عمران: ۴۹) و فى حق موسى: كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (المزمل: ۱۵). ثم إن الصفة إنما تكون مثل الموصوف أو دونه فى التعريف، و أمّا أن تكون فوقه فلا؛ ۲/ ۴۲۵ لأنها على كل حال تابعة و التابع دون المتبوع. (فإن قيل): كيف يصحّ أن يزال إبهام الشىء بما هو أبهم منه؟ (فالجواب): أن التعريف لم يقع بمجرد الصفة؛ و إنما حصل بمجموع الصفة و الموصوف، لأنهما كالشىء الواحد. (الثالث): لتعيينه «۱» للجنسية، كقوله تعالى: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ (الأنعام: ۳۸) لأن المعنىّ بدابة و الذى «۲» سيق له الكلام الجنسية لا الإفراد، بدليل قوله تعالى: إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ فجمع أُمَمٌ محقّق إرادة الجنس من الوصف اللازم للجنس المذكور، و هو كون الدابة غير منفكة عن كونها فى الأرض، و كون الطائر غير منفك كونه طائرا بجناحيه، لينتفى توهم الفرديّة، هذا معنى ما أشار إليه السكاكىّ «۳» فى «المفتاح». و حمل بعضهم كلامه على أنه إنما ذكر الوصف ليعلم أن المراد ليس دابّة مخصوصة، و هو بعيد، لأن ذلك معلوم قطعا بدون الوصف، لأنّ النكرة المنفية- لا سيما مع «من» الاستغراقية- قطعية. و قال الزمخشرىّ «۴»: إن معنى زيادة فِي الْأَرْضِ و يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ يفيد زيادة التعميم «۵» و الإحاطة؛ حتى كأنه قيل: «و ما من دابة من جميع ما فى الأرض، و ما من ۲/ ۴۲۶ طائر من جميع ما يطير بجناحيه». و يحتمل [أن «۶» يقال: إن الطّيران لما كان يوصف به من يعقل كالجانّ و الملائكة، فلو لم يقل: بِجَناحَيْهِ لتوهّم الاقتصار على جنسها ممّن يعقل، فقيل: بِجَناحَيْهِ ليفيد إرادة

(۱) فى المخطوطة (تعيينه). (۲) اضطربت عبارة المخطوطة كما يلى (بدا منه و المدعى). بدل (بدابة و الذى). (۳) هو يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى تقدم ذكره فى ۱/ ۱۶۳، و انظر قوله فى كتابه مفتاح العلوم: ۱۹۰. (۴) الكشاف ۲/ ۱۲- ۱۳. (۵) فى المخطوطة (التعظيم). (۶) فى المخطوطة: (إن). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۸ هذا الطير المعتقد فيه عدم المعقولية بعينه. و قيل: إن الطيران يستعمل لغة فى الخفة، و شدة الاسراع فى المشى، كقول الحماسى «۱»: طاروا إليه زرافات و وحدانا فقوله: يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ رافع «۲» لاحتمال هذا المعنى. و قيل: لو اقتصر على ذكر الطائر فقال: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ لكان ظاهر العطف يوهم «۳»: «و لا طائر فى الأرض»؛ لأن المعطوف عليه إذا قيّد بظرف أو حال يقيّد به المعطوف، و كان ذلك يوهم اختصاصه بطير الأرض «۴» الذى لا يطير بجناحيه، كالدجاج و الإوز [۱۴۵/ أ] و البط و نحوها، فلما قال: يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ زال هذا الوهم، و علم أنه ليس بطائر «۵» مقيّد؛ إنما «۶» تقيدت به الدابة. و أما قوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ (البقرة: ۱۱) مع أن المعلوم أن الفساد لا يقع إلا فى الأرض، قيل: فى ذكرها تنبيه «۷» على أن [هذا] «۸» المحلّ الذى فيه شأنكم و تصرفكم و منه مادة حياتكم- و هى سترة أموالكم- جدير ألّا يفسد فيه، إذ محل الإصلاح لا ينبغى أن يجعل محلّ الإفساد. و هذا بخلاف قوله تعالى فى سورة براءة: وَ ما لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (التوبة: ۷۴) لأن المراد نفى النصير عنهم فى جميع الأرض، فلو لم يذكر لاحتمل [أن يكون «۹» ذلك خاصّا ببعضها. و أما قوله تعالى: ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ (التوبة: ۳۰) [و قوله تعالى «۱۰»: إِنَّما

(۱) هو أنيف بن قريط العنبرى و صدر

البيت* كنّا إذا ما أتانا صارخ فزع* و انظر ديوان الحماسة ۱/ ۲۲ (بشرح المرزوقى). (۲) فى المخطوطة (راجع). (۳) فى المخطوطة (يفهم). (۴) فى المخطوطة (بطيران الطير) بدل (بطير الأرض). (۵) فى المخطوطة (كطائر) بدل (ليس بطائر). (۶) تصحفت فى المخطوطة إلى (أحيا). (۷) فى المخطوطة (تنبيها). (۸) ساقطة من المطبوعة. (۹) ساقط من المخطوطة. (۱۰) ليست فى المخطوطة.

البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۹ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً (النساء: ۱۰) و قوله تعالى: وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (الحج: ۴۶) و نحوها من المقيّد- إذ القول لا يكون إلّا بالفم، و الأكل إنما يكون فى البطن- ففوائده مختلفة: - فقيل: بِأَفْواهِهِمْ للتنبيه على أنه قول لا دليل عليه؛ بل ليس فيه إلا مجرد اللسان، أى لا يعضده حجة و لا برهان، و إنما هو لفظ فارغ من معنى تحته، كالألفاظ المهملة التى هى أجراس و نغم، لا تدلّ «۱» على شىء مؤثر؛ لأن القول الدال على معنى قول بالفم و مؤثر فى القلب، و ما لا «۲» معنى له مقول بالفم لا- غير؛ أو المراد بالقول المذهب؛ أى هو مذهبهم بأفواههم لا بقلوبهم؛ لأنه لا حجة عليه توجب اعتقاده بالقلب. - و قيل: إنه رافع لتوهم إرادة حديث النفس؛ كما فى قوله تعالى: وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ (المجادلة: ۸). - و قيل: لأن القول يطلق على الاعتقاد، فأفاد بِأَفْواهِهِمْ التنصيص على أنه باللسان ۲/ ۴۲۸ دون القلب، و لو لم يقيّد لم يستفد هذا المعنى؛ و يشهد له: إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ [إِنَّكَ «۳» ... (المنافقون: ۱) الآية فلم يكذّب ألسنتهم، بل كذّب ما انطوى عن ضمائرهم؛ من خلافه «۴»، و إنما قال «۵»: فِي بُطُونِهِمْ ناراً (النساء: ۱۰) لأنه «۶» يقال: أكل فى بطنه، إذا أمعن، و فى بعض بطنه، إذا اقتصر، قال: كلوا فى بعض بطنكم تعفّوا فإنّ زمانكم زمن خميص «۷» فكأنه قيل: يأكلون ما يجرّ- إذا امتلأت «۸» بطونهم- نارا. و إنما قال: الَّتِي فِي الصُّدُورِ (الحج: ۴۶) فإنه سبحانه لما دعاهم إلى التفكر و التعقل و سماع أخبار من مضى من

(_____ ۱) فى المخطوطة (يدل). (۲) فى المخطوطة (و لا) بدل (و ما لا). (۳) ليست فى المخطوطة. (۴) فى المخطوطة (خلافهم). (۵) فى المخطوطة (و قال) بدل (و إنما قال). (۶) فى المخطوطة (الآية). (۷) البيت من شواهد سيبويه و لم يذكر قائله انظر الكتاب ۱/ ۲۱۰ باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه. (۸) فى المخطوطة (امتلأ). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰ الأمم، و كيف أهلكهم بتكذيبهم رسله و مخالفتهم لهم قال: أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها (الحج: ۴۶). قال ابن قتيبة «۱»: و هل شىء أبلغ فى العظمة و العزّة من هذه الآية! لأن اللّه تعالى أراد: أ فلم يسيروا فى الأرض فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم اللّه بالكفر و العتوّ فيروا بيوتا خاوية قد سقطت على عروشها، و بئرا يشرب أهلها فيها «۲» قد عطلت، و قصرا بناه ملكه بالشّيد خلا «۳» من ۲/ ۴۲۹ السكن، و تداعى بالخراب، فيتعظوا بذلك، و يخافوا من عقوبة اللّه، مثل الذى نزل بهم! ثم ذكر «۴» تعالى أن أبصارهم الظاهرة لم تعم عن النظر و الرؤية و إن عميت قلوبهم التى فى صدورهم. - و قيل: لما كانت «۵» [العين قد يعنى بها القلب، فى نحو قوله تعالى: الَّذِينَ كانَتْ «۵» أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي (الكهف: ۱۰۱) جاز أن يعنى بالقلب العين، فقيد القلوب بذكر محلّها رفعا لتوهم إرادة غيرها. - و قيل: ذكر محل العمى الحقيقىّ الذى هو أولى باسم العمى من عمى البصر، كما قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «ليس الشديد بالصّرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» «۶»، أى هذا أولى [۱۴۵/ ب بأن يكون شديدا منه، فعمى القلب هو الحقيقىّ لا عمى البصر، فأعمى القلب أولى أن يكون أعمى من أعمى العين، فنبّه بقوله: [الَّتِي «۸» فِي الصُّدُورِ (الحج: ۴۶) على أن العمى الباطن فى العضو الذى عليه الصدر، لا العمى الظاهر فى العين التى «۹» محلّها الوجه.

(_____ ۱) هو عبد اللّه بن مسلم، أبو محمد ابن قتيبة، تقدم التعريف به فى ۱/ ۱۶۰. (۲) فى المخطوطة (منها). (۳) فى المخطوطة (قد خلت) بدل (خلا). (۴) فى المخطوطة (دل). (۵) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة. (۷) الحديث متفق عليه من رواية أبى هريرة رضى اللّه عنه، أخرجه البخارى فى الصحيح ۱۰/ ۵۱۸، كتاب الأدب (۷۸)، باب الحذر من الغضب ... (۷۶)، الحديث (۶۱۱۴). و أخرجه مسلم فى الصحيح ۴/ ۲۰۱۴، كتاب البر ... (۴۵)، باب فضل من يملك نفسه ... (۳۰)، الحديث (۱۰۷/ ۳۶۰۹). (۸) ليست فى المخطوطة. (۹) فى المخطوطة (الذى). البرهان فى

علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱

فوائد تتعلق بالصفة

فوائد تتعلق بالصفة (الأولى): اعلم أن الصفة العامة لا تأتى بعد الصفة الخاصة؛ لا تقول: هذا رجل فصيح متكلم، لأن المتكلم أعمّ من الفصيح؛ إذ كل فصيح متكلّم و لا عكس. و إذا تقرر هذا أشكل قوله تعالى: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۲/ ۴۳۰ (مريم: ۵۴) [إذ لا يجوز أن يكون «۱» نَبِيًّا «۲» صفة ل (رسول)، لأن النبىّ أعمّ من الرسول، إذ كل رسول من الآدميين نبىّ و لا عكس. و الجواب أن يقال: إنه حال من الضمير فى رَسُولًا و العامل فى الحال ما فى «رسول» من معنى «يرسل» «۳»، أى كان إسماعيل مرسلا فى حال نبوته، و هى حال مؤكدة، كقوله: وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً (البقرة: ۹۱). (الثانية): تأتى الصفة لازمة لا للتقييد [فلا مفهوم لها] «۴» كقوله تعالى: وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ (المؤمنون: ۱۱۷) قال الزمخشرىّ «۵»: هى كقوله: وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً (الأعراف: ۳۳) و هى صفة لازمة [نحو قوله: يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ «۶» (الأنعام: ۳۸) جىء بها للتوكيد؛ لا أن يكون فى الآلهة ما يجوز [إلّا] «۷» أن يقوم عليه برهان. و يجوز «۸» أن يكون اعتراضا بين الشرط و الجزاء، كقولك: من أحسن إلى زيد- لا أحقّ بالإحسان منه- فاللّه مثيبه. و قال الماتريدىّ «۹»: هذا لبيان خاصة الإشراك باللّه ألّا تقوم «۱۰» على صحته حجة، لا بيان أنه نوعان، كما فى قوله: وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ (الأنعام: ۳۸) هو بيان خاصة الطيران، لا أنه نوعان.

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (فنبيّا). (۳) فى المخطوطة (مر قبل). (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۵) الكشاف ۳/ ۵۸. (۶) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة. (۷) فى المخطوطة (إلا أن يقوم). (۸) فى المخطوطة (و يحتمل). (۹) هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدى، نسبة إلى «ما تريد» و هى محلّة بسمرقند كان إمام علم الكلام فى وقته، و ناصر أهل السنّة، ألّف كتبا كثيرة منها «التفسير» و «أوهام المعتزلة» و «التوحيد» و «الردّ على القرامطة». ت ۳۳۳ ه (الفوائد البهية: ۱۹۵). (۱۰) فى المخطوطة: (يقوم). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲ و قوله: سَفِهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ (الأنعام: ۱۴۰) و السّفه لا يكون إلا عن جهل. و قيل بِغَيْرِ عِلْمٍ بمقدار قبحه. و قوله: وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ (البقرة: ۶۱) و لا يكون قتلهم إلا كذلك لأن «۱» معناه «بغير الحق» فى اعتقادهم؛ لأن التصريح بصفة فعلهم القبيح أبلغ فى ذمّهم و إن كانت تلك الصفة لازمة للفعل، كما فى عكسه: قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ (الأنبياء: ۱۱۲) لزيادة معنى فى التصريح بالصفة. و قال بعضهم: و لأن قتل النبىّ قد يكون بحق، كقتل إبراهيم [عليه السلام «۲» ولده- و لو وجد- لكان بحق. و قال الزمخشرىّ «۳»: «إنما قيده لأنهم لم يقتلوا و لم يفسدوا فى الأرض، و إلا استوجبوا القتل بسبب كونه شبهة. و إنما نصحوهم و دعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم، و لو أنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يوجب عندهم القتل». و كقوله تعالى «۴»: فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ (البقرة: ۱۹۷) «۵» [مع أن ذلك منهىّ عنه فى غير الحج أيضا، لكن خصص بالذكر هنا لتأكيد الأمر و خطره فى الحج «۵»، و أنه لو قدّر جواز مثل ذلك فى غير الحج لم يجز فى الحج، كيف و هو لا يجوز مطلقا! و قوله تعالى: وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ (البقرة: ۱۹۶) و لم يذكر مثل ذلك فى قوله [تعالى «۷»: ثُمَّ أَتِمُّوا «۸» الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ (البقرة: ۱۸۷) لأن الرياء يقع فى الحج كثيرا، فاعتنى فيه بالأمر بالإخلاص. و قوله تعالى: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ (القصص: ۵۰) و اتباع الهوى لا يكون إلا كذلك. و قيل: بل يكون الهوى فى الحق، فلا يكون من هذا النوع. و قوله تعالى: وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (المائدة: ۵۰) فإن حكمه تعالى حسن لمن يوقن و لمن لا يوقن، لكن لما كان القصد ظهور حسنه و الاطلاع عليه وصفه بذلك؛ لأن الموقن هو الذى يطلع على ذلك دون الجاهل.

(_____ ۱) فى المخطوطة (إن). (۲) ليست فى المخطوطة. (۳) الكشاف ۱/ ۷۲. (۴) فى المخطوطة (و قوله) بدل (و كقوله تعالى). (۵) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة.

(۷) ليست فى المخطوطة. (۸) تصحفت فى المخطوطة إلى (و أتمّوا). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳ و قوله [تعالى «۱» فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ (البقرة: ۷۹) و الكتابة لا تكون «۲» إلا باليد؛ ففائدته مباشرتهم ذلك التحريف بأنفسهم، و ذلك زيادة فى [۱۴۶/ أ] تقبيح فعلهم؛ فإنه يقال: كتب فلان كذا و إن لم يباشره بل أمر به، كما فى قول علىّ: «كتب النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم [يوم «۳» الحديبية» «۴». (الثالثة): قد تأتى الصفة بلفظ و المراد غيره، كقوله تعالى: صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها (البقرة: ۶۹) قيل: المراد: «سوداء ناصع» «۵» و قيل: بل على بابها و منه قوله تعالى: كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ (المرسلات: ۳۳) قيل: كأنه أينق سود، و سمى الأسود من الإبل أصفر، لأنه سواد تعلوه صفرة. (الرابعة): قد تجىء للتنبيه على التعميم، كقوله تعالى: كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ (الأنعام: ۱۴۱) مع أن المعلوم أنما يؤكل إذا أثمر، فقيل: فائدته نفى توهم توقّف الإباحة على ۲/ ۴۳۳ الإدراك و النضج بدلالته على الإباحة من أول إخراج الثمرة. و قوله [تعالى «۶»: وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (الفلق: ۵) و قوله: وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (الأنعام: ۱۵۲) فإن غير مال اليتيم كذلك، لكن إنما خصه بالذّكر، لأن الطمع فيه أكثر لعجزه و قلة الناصر له؛ بخلاف مال البالغ، أو لأن التخصيص بمجموع الحكمين؛ و هما النهى عن قربانه بغير الأحسن. و قوله: وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا (الأنعام: ۱۵۲) مع أن الفعل كذلك، و قصد به ليعلم وجوب العدل فى الفعل من باب أولى، كقوله: فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ (الإسراء: ۲۳). (الخامسة): قد يحتمل اللفظ كثيرا من الأسباب السابقة، و له أمثلة، منها قوله تعالى (_____: ۱) ليست فى المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (و الكتاب لا يكون). (۳) ليست فى المخطوطة. (۴) الحديث متفق عليه، أخرجه البخارى فى الصحيح ۵/ ۳۰۳، كتاب الصلح (۵۳)، باب كيف يكتب هذا ما صالح ... (۶)، الحديث (۲۶۹۹). و أخرجه مسلم فى الصحيح ۳/ ۱۴۱۰، كتاب الجهاد و السير (۳۲)، باب صلح الحديبية ... (۳۴)، الحديث (۹۲/ ۱۷۸۳). و فى كتابة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بيده الشريفة يوم الحديبية خلاف بين العلماء. (۵) قال ابن قتيبة فى تفسير الغريب ص ۵۳: و قد ذهب قوم إلى أن الصفراء: السوداء، و هذا غلط فى نعوت البقر. و إنما يكون ذلك فى نعوت الإبل، يقال: بعير أصفر أى أسود. (۶) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴ وَ قالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ (النحل: ۵۱) فإن «۱» ابن مالك «۲» و غيره من النحويين جعلوه نعتا، قصد به مجرد التأكيد «۳». و لقائل «۴» أن يقول: [إن «۵» إِلهَيْنِ مثنّى و ال اثْنَيْنِ «۶» للتثنية، فما فائدة الصفة؟ و فيه وجوه: - أحدها «۷»: قاله ابن الخباز «۸»: «إن فائدتها توكيد نهى الإشراك باللّه سبحانه، و ذلك لأن العبرة فى النهى عن اتخاذ الإلهين «۹»؛ إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط، و لو وصف إِلهَيْنِ بغير ذلك من الصفات، كقوله: «لا تتخذوا إلهين عاجزين» لأشعر بأن القادرين يجوز أن يتخذا، فمعنى التثنية شامل لجميع الصفات؛ فسبحان من دقت حكمته فى كل شىء». و نظير هذا ما قال الأخفش فى قوله: فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ (النساء: ۱۷۶). - الثانى: أن الوحدة تطلق و يراد بها النوعية، و منه قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنما نحن و بنو عبد المطلب شىء واحد» «۱۰»، و تطلق و يراد بها العدد، نحو «۱۱» «إنما زيد رجل واحد»، فالتثنية باعتبارها. فلو «۱۲» قيل: لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ فقط لصحّ فى موضوعه «۱۳» أن يكون نهيا عن اتخاذ جنسين آلهة؛ و جاز أن «۱۴» يتخذ من نوع واحد أعداد آلهة «۱۵»؛ لأنه يطلق عليهم أنهم واحد، لا سيما و قد (_____۱) فى المخطوطة (قال). (۲) هو محمد بن عبد اللّه بن عبد اللّه بن مالك جمال الدين أبو عبد اللّه، تقدم فى ۱/ ۳۸۱. (۳) فى المخطوطة (التوكيد). (۴) فى المخطوطة (لأن لقائل). (۵) ساقطة من المخطوطة. (۶) فى المطبوعة (و الاثنان). (۷) فى المطبوعة (أحدهما). (۸) هو أحمد بن الحسين بن أحمد الإربلى، شمس الدين، ابن الخباز، النحوى الضرير. كان أستاذا بارعا علّامة زمانه فى النحو و اللغة و الفقه و العروض و الفرائض. و له المصنفات المفيدة منها: «النهاية فى النحو و «شرح ألفيّة ابن معطى» ت ۶۳۷ ه فى الموصل (بغية الوعاة ۱/ ۳۰۴). (۹) فى المخطوطة (إلهين). (۱۰) الحديث من رواية جبير بن مطعم رضى اللّه عنه، أخرجه البخارى فى الصحيح ۶/ ۲۴۴، كتاب فرض الخمس (۵۷)، باب و من الدليل على أن الخمس للإمام و أنه ... (۱۷)، الحديث (۳۱۴۰). (۱۱) فى المخطوطة (مثل). (۱۲) فى المخطوطة (فإن قيل). (۱۳) فى المخطوطة (موضعه). (۱۴) فى المخطوطة (و إن جاز) بدل (و جاز أن). (۱۵) فى المخطوطة (الآلهة). البرهان فى علوم

القرآن، ج۳، ص: ۱۵ يتخيّل أن الجنس الواحد لا تتضادّ مطلوباته، فيصح، فلما قال: اثْنَيْنِ بيّن فيه قبح التعديد للإله، و أنه منزّه عن العددية. و قد أومأ إليه الزمخشرى [بقوله «۱». «۲» [و كذا القول فى إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فيتبع كل واحد مما يؤكد فيه العدد ليدلّ على أن القصد إليه- قال الزمخشرى-] «۲» «أ لا ترى أنك لو قلت: إنما هو إله و لم تصفه بواحد لم يحسن، و قيل لك: إنك نفيت الإلهية لا الوحدانية». - الثالث: أنّه لما كان النهى واقعا على التعدّد و الاثنيّة دون الواحد أتى بلفظ الاثنين، لأن قولك: «لا تتخذ ثوبين» يحتمل النهى عنهما جميعا، و يحتمل النهى عن الاقتصار عليهما، فإذا قلت: «ثوبين اثنين» علم المخاطب أنك نهيته عن التعدد و الاثنيّة دون الواحد، و أنّك إنما أردت منه الاقتصار على [ثوب «۴» واحد، فتوجه النفى إلى نفس التعدد و العدد، فأتى باللفظ ۲/ ۴۳۵ الموضوع له، الدالّ عليه فكأنه قال: «لا تعدّد الآلهة [۱۴۶/ ب ، و لا تتخذ عددا تعبده، إنما هو إله واحد». - الرابع: أن «اتخذ» هى التى تتعدى إلى مفعولين، و يكون اثْنَيْنِ مفعولها الأول و إِلهَيْنِ مفعولها الثانى؛ و أصل الكلام: «لا تتخذوا اثنين إلهين» ثم قدم المفعول الثانى على الأول. و يدلّ على التقديم و التأخير أنّ إِلهَيْنِ أخصّ من اثْنَيْنِ و اتخاذ اثنين يقع على ما يجوز؛ و [على «۵» ما لا يجوز؛ و أما اتخاذ اثنين إلهين «۶» فلا يقع إلا على ما لا يجوز. و قدم إِلهَيْنِ على اثْنَيْنِ إذ المقصود بالنهى اتخاذهما إلهين؛ فالنهى وقع على معنيين: الآلهة المتخذة، و على هذا فلا بدّ من ذكر «الاثنين» و «الإلهين» «۷»؛ إذ هما مفعولا الاتّخاذ. قال صاحب «۸» «البسيط»: «و هذا الوجه هو الجيّد، ليخرج بذلك على التأكيد؛ و أما إذا جعل إِلهَيْنِ مفعول تَتَّخِذُوا و اثْنَيْنِ صفة، فإنه أيضا لا يخرج عن الوصف إلى

(_____ ۱) ساقطة من المخطوطة. (۲) ما بين الحاصرتين ليس من المطبوعة، و انظر قول الزمخشرى فى الكشاف ۲/ ۳۳۲. (۴) ساقطة من المخطوطة. (۵) ساقطة من المخطوطة. (۶) عبارة المخطوطة (إلهين اثنين). (۷) فى المخطوطة (و إلهين). (۸) هو الحسن بن شرف شاه الأسترآباذى، تقدم التعريف به و بكتابه فى ۲/ ۴۶۴. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶ التأكيد؛ [لأنه «۱» لا يستفاد من اثْنَيْنِ ما استفيد من إِلهَيْنِ لأن الأول يدلّ على العدد و الجنس، و الثانى على مجرد الاثنينية. قال: و هذا الحكم فى قوله تعالى: مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (هود: ۴۰) فى دخول اثْنَيْنِ فى حد الوصف إلّا أنّ من قرأ بتنوين «كلّ» فإنه حذف المضاف إليه، و جعل التنوين عوضا عنه، و زَوْجَيْنِ مفعول احْمِلْ (هود: ۴۰) أو فَاسْلُكْ «۲» و اثْنَيْنِ (المؤمنون: ۲۷) نعت. و مِنْ يحتمل أنه متعلق بفعل الأمر، و يحتمل أن يتعلق بمحذوف، لكونه حالا من نكرة تقدم عليها؛ و التقدير: احمل أو اسلك فيها زوجين اثنين من كل صنف. و من قرأ بإضافة كُلٍّ «۳» احتمل وجهين: أحدهما أن تجعل: اثْنَيْنِ «۴» المفعول، و الجار ۲/ ۴۳۶ و المجرور متعلق بفعل الأمر المحذوف كما تقدم. و الثانى جعل مِنْ زائدة على رأى الأخفش، و كُلٍّ هى المفعول و اثْنَيْنِ صفة». - الخامس: أنه بدل، و ينوى بالأول الطّرح، و اختاره النّيلى «۵» فى «شرح الحاجبية» قال: لما فيه من حسم مادة التأويل. و نظير السؤال فى الآية قوله [تعالى «۶»: فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ (النساء: ۱۷۶) فإن مروان بن سعيد «۷» المهلّبى سأل أبا الحسن الأخفش، فقال: ما الفائدة فى هذا الخبر؟ أراد مروان أن لفظ كانَتَا تفيد التثنية، فما فائدة تفسيره الضمير المسمى باثنتين، مع أنه لا يجوز «فإن كانتا ثلاثا» و لا فوق ذلك، فلم يفصّل الخبر الاسم فى شىء؟ فأجاب «۸» أبو الحسن؛ بأنه أفاد العدد المحض مجردا عن الصفة «۹»، أى قد كان يجوز (_____ ۱) ساقطة من المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (اسلك). (۳) قرأ حفص (من كل) بالتنوين فى (كل) و قرأ الباقون بغير تنوين فيهما (مكى، التبصرة: ۲۲۳) (۴) فى المخطوطة (الاثنين). (۵) هو محمد بن الحسن الرؤاسى النيلى، تقدم التعريف به فى ۲/ ۴۰۲. (۶) ليست فى المخطوطة. (۷) تصحف الاسم فى المخطوطة و المطبوعة إلى مروان بن سعد، و التصويب من معجم الأدباء ۱۹/ ۱۴۶، و هو مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة المهلبى، أحد أصحاب الخليل بن أحمد المتقدمين فى النحو المبرّزين فيه. و ما جرى بينه و بين الأخفش نقله الحريرى فى درة الغواص ص ۱۷. (۸) فى المخطوطة (و أجاب). (۹) فى المخطوطة (القصة). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۷ أن يقال: «فإن كانتا صغيرتين فلهما كذا» أو «كبيرتهن فلهما كذا» أو «صالحتين» أو غير ذلك من الصفات، فلما قال: اثْنَتَيْنِ أفهم أن فرض الثلثين «۱» تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط «۲»، و هى فائدة لا تحصل من ضمير المثنى. و

معناه أنهم كانوا فى الجاهلية يورّثون البنين دون البنات، و كانوا يقولون: لا نورّث إلا من يحمل الكلّ و ينكئ العدوّ؛ فلما جاء الإسلام بتوريث البنات أعلمت الآية «۳» أن العبرة فى أحد الثلثين من الميراث منوط بوجود اثنتين من الأخوات، من غير اعتبار أمر زائد على العدد. قال الحريرى «۴»: و لقد «۵» أبدع مروان فى استنباطه و سؤاله، و أحسن أبو الحسن فى كشف إشكاله! و لقد «۶» نقل ابن الحاجب فى «أماليه» «۷» هذا الجواب عن أبى على الفارسى «۸»- و قد بيّنا أنه من كلام الأخفش- ثم اعترض عليه بأنّ اللفظ و إن كان صالحا لإطلاقه [على المثنى «۹» ۲/ ۴۳۷ مجردا عن الصفات لا يصحّ إطلاقه خبرا دالا على التجريد من الصفات، و إنما يعنى باللفظ ذاته الموضوعة له؛ أ لا ترى أنك إذا قلت: «جاءنى رجل»، لا يفهم إلا ذات، من غير أن يدلّ على تجريد [۱۴۷/ أ] عن مرض أو جنون أو عقل، فكذلك «اثنين» لا تدل إلا على مسمى «اثنتين» فقط فلم يستفد «۱۰» منه شىء زائد على المستفاد من ضمير التثنية. ثم لو سلم صحة إطلاق اللفظ كذلك فلا يصحّ هاهنا؛ إذ لو صحّ لجاز أن يقال: «فإن «۱۱» [كانتا على أى صفة حصل» و لو قيل ذلك لم يصحّ، لأن تثنية الضمير فى «۱۱» كانَتا عائد «۱۳»

(۱) العبارة فى درة الغواص: (الثلثين للاختين). (۲) عبارة الحريرى: (فقط على أى صفة ...). (۳) فى المخطوطة (علمت الأمة). (۴) هو القاسم بن على بن محمد الحريرى، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۶۴. و انظر قوله فى كتابه درة الغواص ص ۱۷. (۵) عبارة الحريرى: (و لعمرى قد ...). (۶) فى المخطوطة (و قد). (۷) كتاب «الأمالى النحوية» لابن الحاجب أبى عمرو عثمان بن عمر بن يونس تقدم التعريف به فى ۱/ ۵۱۱. (۸) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو على الفارسى، تقدم ذكره فى ۱/ ۳۷۵. (۹) ساقطة من المخطوطة. (۱۰) تصحفت فى المخطوطة إلى (يفسد). (۱۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۱۳) فى المخطوطة (عائدا). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۸ على الكلالة [و الكلالة] «۱» تكون واحدا و اثنين و جماعة «۲»؛ فإذا أخبر باثنتين حصلت به فائدة. ثم لما كان الضمير «۳» الذى فى «كانتا» العائد «۴» على الكلالة هو فى معنى اثنين صحّ أن [تثنيه لأن «۵» تثنيته فرع عن الإخبار [باثنين «۵»؛ إذ لو لاه لم يصح أنه لم تستفد التثنية إلا من اثنين. و قد أورد على ذلك اعتراض آخر؛ و هو أن هذه الآية مماثلة لقوله تعالى: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ (النساء: ۱۱) ثم قال: فَإِنْ كُنَّ نِساءً (النساء: ۱۱) وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً (النساء: ۱۱) و لو كان على ما ذكرتم لوجب أن يصح إطلاق الأولاد على الواحد كما فى الكلالة، و إلا لكان الضمير لغير مذكور! و الجواب بشىء يشمل «۷» الجميع؛ و هو أن الضمير قد يعود على الشىء باعتبار المعنى الذى سيق إليه و نسب إلى صاحبه؛ فإذا قلت: إذا جاءك رجال، فإن كان واحدا «۸» فافعل به كذا، و إن كان اثنين فكذا؛ صح إعادة الضمير باعتبار المعنيين؛ لأن المقصود الجائى، و كأنك قلت: و إن كان الجائى من الرجال؛ لأنه علم من قولك: «إذا جاءك» «۹»؛ و الآية سيقت لبيان ۲/ ۴۳۸ «۱۰» [الوارثين الأولاد؛ فكأنه قيل: «فإن كان «۱۰» الوارث من الأولاد»؛ لأنّه المعنى الذى سيق له الكلام، فقد دخلت «الاثنان» باعتبار هذا المعنى. و يجوز أن تبقى الآية الأولى على ما ذكرنا و يختص هذا الجواب بهذه. (قلت): و فى هذه الآية ثلاثة أجوبة [أخر] «۱۲»: - أحدها: أنه كلام محمول على المعنى أى: «فإن كان من ترك اثنتين» و هذا مقيّد؛

(۱) ساقطة من المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (أو جماعة). (۳) فى المخطوطة (المضمر). (۴) فى المخطوطة (عائدا). (۵) ساقط من المخطوطة. (۷) فى المخطوطة (يسمى). (۸) فى المخطوطة (واحد). (۹) فى المخطوطة (جاءك الرجال). (۱۰) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۱۲) ساقطة من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۹ فأضمره على ما بعده، و «من» يسوغ معها ذكر الاثنين؛ لأنه لفظ مفرد يعبّر به عن الواحد و الاثنين و الجمع؛ فإذا وقع «۱» الضمير موقع «من» جرى مجراها فى جواز الاخبار عنها بالاثنين. - الثانى: أن يكون من الأشياء التى جاءت على أصولها المرفوضة؛ كقوله تعالى: اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ (المجادلة: ۱۹) و ذلك أنّ حكم الاعداد فيما دون العشرة أن تضاف إلى المعدود؛ كثلاثة رجال، و أربعة أبواب «۲»، فكان القياس أن يقول: اثنين «۳» رجل، و واحد رجل؛ و لكنهم رفضوا ذلك لأنك تجد لفظة تجمع العدد و المعدود، فتغنيك عن إضافة أحدهما إلى الآخر؛ و هو قولك «۴»: رجلان و رجل؛ و

لیس کذلک [لأنک تجد] «۵» ما فوق الاثنین؛ أ لا ترى أنک إذا قلت: ثلاثة، لم یعلم المعدود ما هو؟ و إذا قلت: رجال، لم یعلم عددهم ما هو؟ فأنت مضطر إلى ذکر [العدد] «۶» و المعدود، فلذلک «۷» قیل: کان «۸» الرجال ثلاثة و لم یقل: کان الرجلان اثنین، و لا الرجلان کانا اثنین، فإذا استعمل «۹» شیء من ذلک کان استعمالا للشیء المرفوض؛ کقوله: ظرف عجوز فیه ثنتا حنظل «۱۰» (فإن قیل): کیف یحمل القرآن علیه؟ و إنما هو فی الشعر؟ (قیل): إنا وجدنا فی القرآن ۲/ ۴۳۹ أشیاء جاءت علی الأصول المرفوضة «کاستحوذ» [و نظائرها] «۱۱». - الثالث: أن المراد «فإن کانتا اثنتین فصاعدا»، فعبّر بالأدنی عنه و عما فوقه. قاله ابن

(_____ ۱) فی المخطوطة (فأوقع) بدل (فإذا وقع). (۲) فی المخطوطة (أثواب). (۳) فی المخطوطة (اثنی). (۴) فی المخطوطة (کقولک). (۵) ساقطة من المطبوعة. (۶) ساقطة من المخطوطة. (۷) فی المخطوطة (فکذلک). (۸) فی المخطوطة (لو کان). (۹) فی المخطوطة (استعملت). (۱۰) هذا عجز بیت لشمّاء الهذلیة، و صدره: «کأنّ خصییه من التّدلدل» و هو من شواهد الزمخشری فی المفصل ص ۱۸۴. باب و من أصناف الاسم المثنی و ابن هشام فی شذور الذهب ص ۵۹۹، باب العدد. (۱۱) ساقطة من المخطوطة. البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۲۰ الضائع «۱» النحویّ. (قلت): و نظائرها قوله تعالی: فَإِنْ لَمْ یَکُونا رَجُلَیْنِ (البقرة: ۲۸۲) فإن الرجولیة المثنّاة فهمت من الضمیر؛ بدلیل: وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِیدَیْنِ مِنْ رِجالِکُمْ (البقرة: ۲۸۲) فالظاهر أن «۲» قوله: رَجُلَیْنِ حال لا خبر، فکأن «۳» المعنی: «فإن لم یوجدا حال کونهما رجلین». و مثله قوله تعالی: إِنِّی وَضَعْتُها أُنْثی (آل عمران: ۳۶) فإنّ الأنوثة فهمت من قوله: وَضَعَتْها. و أورد بعضهم السؤال فی الأول؛ (فقال): الضمیر فی یَکُونا للرّجلین، لأن (الشّهیدین) قیدا بأنهما من [۱۴۷/ ب الرجال؛ فکأنّ «۴» الکلام: «فإن لم یکن الرجلان رجلین»، و هذا محال. (و أجاب بعضهم) بما أجاب به الأخفش فی آیة المواریث «۵»: إنّ الخبر هنا أفاد العدد المجرّد عن الصفة. و هذا ضعیف؛ إذ وضع فیه «الرّجلین» موضع «الاثنین»، و هو تجوّز بعید؛ و الذی ذکره الفارسیّ المجرّد منهما «۶»، الرّجولیة أو الأنوثیة أو غیرها من الصفات؛ فکیف یکون لفظ موضوع لصفة ما دالا علی نفیها «۷»! ۲/ ۴۴۰ علی أنّ فی جواب الفارسی هناک نظرا؛ فإنه لم یزد علی أن جعل نفس السؤال جوابا! کأنه قیل: لم ذکر العدد و هو متضمّن للضمیر؟ فقال: لأنه یفید العدد المجرد، فلم یزد الألفاظ تجردا. (قال): و أمّا من أجاب بأن رَجُلَیْنِ منصوب علی الحال المبیّنة و «کان» تامة فهو أظرف من الأول، فإنه سئل عن وجه النظم، و أسلوب البلاغة و نفی ما لا یلیق بها من الحشو، فأجاب بالإعراب، و لم یجب عن السؤال بشیء؛ و الذی یرد علیه و هو خبر یرد علیه و هو حال، و ما زادنا إلا التکلّف فی جعله حالا- و الذی یظهر فی جواب السؤال هو أن شَهِیدَیْنِ لما صحّ أن یطلق علی المرأتین بمعنی «شخصین شهیدین» قیده بقوله تعالی: مِنْ رِجالِکُمْ (البقرة: ۲۸۲) ثم أعاد الضمیر فی قوله

(_____ ۱) هو علی بن محمد الکتامی، تقدم التعریف به فی ۲/ ۳۶۴. (۲) فی المخطوطة (فإن). (۳) فی المخطوطة (لکان و المعنی) بدل (فکأن المعنی). (۴) فی المخطوطة (و کان). (۵) یرید قوله تعالی فَإِنْ کانَتَا اثْنَتَیْنِ (النساء: ۱۷۶). انظر قول الأخفش ص ۲/ ۴۳۶. (۶) فی المخطوطة (منها). (۷) فی المخطوطة (نعتها). البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۲۱ [تعالی «۱»: فَإِنْ لَمْ یَکُونا علی «الشهیدین المطلقین»، و کان عوده علیهما أبلغ لیکون نفی الصفة عنهما کما کان إثباتها لهما، فیکون الشرط موجبا و نفیا علی الشاهدین «۲» المطلقین لأن قوله: مِنْ رِجالِکُمْ کالشرط؛ کأنه قال: «إن کانا رجلین»، و فی النظم علی هذا الأسلوب من الارتباط و جری الکلام علی نسق واحد ما لا خفاء به. و أما فی آیة المواریث؛ فالظاهر أنّ الضمیر وضع موضع الظاهر اختصارا لبیان المعنی؛ بدلیل أنه لم یتقدمه ما یدل علیه لفظا، فکأنه قال: «فإن کان الوارث اثنین»، ثم وضع ضمیر الاثنین موضع الوارث الذی هو جنس «۳»، لمّا کان المراد به منه «الاثنان» «۴». و أیضا فإنّ الإخبار عن الوارث- و إن کان جمعا- باثنین ففیه تفاوت ما «۵» لکونه مفرد اللفظ، فکان الألیق بحسن النظم وضع المضمر موضع الظاهر، ثمّ یجری الخبر علی من حدث عنه- و هو الوارث- فیجری الکلام فی طریقه، مع الإیجاز فی وضع «۶» المضمر موضع الظاهر، و السلامة من تفاوت اللفظ، فی الإخبار عن لفظ مفرد بمثنی. و نظیر هذا- ممّا وقع فیه [اسم موضع «۷» غیره إیجازا ثم جری الکلام

مجراه فى الحديث ۲/ ۴۴۱ عمّن هو له، و إن لم يذكر- قوله [تعالى «۸»: وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ (الأعراف: ۴) فعاد هذا الضمير و الخبر على أهل القرية الّذين أقيمت القرية فى الذكر [مقامهم «۸»، فجرى الكلام مجراه مع حصول الإيجاز فى وضع القرية موضع أهلها، و فهم المعنى بغير «۱۰» كلفة؛ و هذه الغاية فى البيان يقصّر عن مداها [بيان «۱۱» الإنسان. و منها قوله تعالى: فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ (الحاقة: ۱۳) قال ابن

(_____ ۱) ليست فى المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (وقعتا الشهيدين) بدل (و نفيا على الشاهدين). (۳) فى المخطوطة (خبر). (۴) فى المخطوطة (الاثنين). (۵) فى المخطوطة (إما). (۶) فى المخطوطة (موضع). (۷) ساقطة من المخطوطة. (۸) ليست فى المخطوطة. (۱۰) فى المخطوطة (من غير). (۱۱) ساقطة من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۲۲ عمرون «۱»: [لما] «۲» فهم منها التأكيد ظنّ بعضهم أنها ليست بصفة. و ليس بجيّد؛ لأنها دلالة «۳» على بعض أحوال الذات، و ليس فى واحِدَةٌ دلالة على نفخ، فدلّ على أنها ليست تأكيدا «۴» [۱۴۸/ أ] [انتهى «۵». و فى فائدة واحِدَةٌ خمسة أقوال: - أحدها: التوكيد، مثل قولهم: «أمس الدابر». - الثانى: وصفها ليصح أن تقوم مقام الفاعل «۶» [لأنها مصدر و المصدر لا يقوم مقام الفاعل «۶» إلا- إذا وصف. و ردّ بأن تحديدها بتاء التأنيث مصحّح لقيامها مقام الفاعل. - الثالث: أن الوحدة لم تعلم من «نفخة» إلا ضمنا و تبعا، لأن قولك: «نفخة» يفهم منه أمران: النفخ و الوحدة، فليست «نفخة» موضوعة للوحدة، فلذلك صحّ وصفها. - الرابع: وصفه النفخة بواحدة لأجل توهم «۸» الكثرة، كقوله تعالى: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها (إبراهيم: ۳۴) فالنعمة فى اللفظ واحدة و قد علّق عدم الإحصاء بعدّها. - الخامس: أتى بالوحدة ليدلّ على أن النفخة لا اختلاف فى حقيقتها، فهى واحدة بالنوع، كقوله: وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ (القمر: ۵۰) أى لا- اختلاف فى حقيقته. و منها قوله تعالى: وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ (البقرة: ۱۶۳)، «۹» [قيل: ما فائدة إِلهٌ؟ و هلّا جاء «و إلهكم واحد»] «۹» و هو أوجز؟ قيل: لو قال: «و إلهكم واحد» لكان ظاهره إخبارا عن كونه واحدا فى إلهيته، يعنى لا- إله (_____ ۱) هو محمد بن محمد بن أبى على جمال الدين بن عمرون، أبو عبد الله الحلبى النحوى. ولد سنة ۵۹۶ ه. و سمع من ابن طبرزد، و أخذ النحو عن ابن يعيش و غيره، و برع فيه و تصدر لإقرائه، و تخرّج به جماعة، و جالس ابن مالك، و أخذ عنه البهاء بن النحاس، و روى عنه الشرف الدمياطى. من تصانيفه: «شرح المفصّل». ت ۶۴۹ ه (بغية الوعاة ۱/ ۲۳۱). (۲) ساقطة من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة (دالا). (۴) فى المخطوطة توكيدا. (۵) ساقطة من المخطوطة. (۶) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۸) كذا عبارة الأصول، و لعل العبارة تقتضى وجود كلمة (نفى) قبل (توهم) كى يستقيم المعنى، فتأمّل. (۹) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۲۳ غيره و [إن «۱» لم يكن إخبارا عن توحده فى ذاته، بخلاف ما إذا كرّر ذكر الإله «۲»، و الآية إنما سيقت لإثبات أحديّته فى ذاته، و نفى ما يقوله النصارى: إنه إله واحد و الأقانيم ثلاثة، أى الأصول، كما أن زيدا واحدا و أعضاؤه متعدّدة، فلما قال: إِلهٌ واحِدٌ دلّ على أحدية الذات و الصفة. و لقائل أن يقول: قوله: واحِدٌ يحتمل الأحدية فى الذات و الأحدية فى الصفات، سواء ذكر «الإله» أو لا، فلا يتم الجواب. و منهما قوله [تعالى «۳»: وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى (النجم: ۲۰) و معلوم بقوله: الثَّالِثَةَ أنها الْأُخْرى و فائدته التأكيد. و مثله على رأى الفارسى: وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى (النجم: ۵۰). و أما قوله: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ (النحل: ۲۶) (قيل): بمعنى «عن» أى خرّ «۴» عن كفرهم باللّه؛ كما تقول: اشتكى فلان عن دواء شربه؛ أى من أجل كفرهم. أو بمعنى اللام، أى فخرّ لهم، (و قيل): لأن العرب لا- تستعمل لفظة «على» فى مثل هذا الموضع إلا- فى الشرّ و الأمر المكروه، تقول: خربت على فلان ضيعته، كقوله: وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ (البقرة: ۱۰۲) وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ (آل عمران: ۷۸) أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (الأعراف: ۲۸) و قيل: لأنه يقال: سقط عليه موضع كذا، إذا كان يملكه، و إن لم يكن من فوقه بل تحته، فدلّ قوله تعالى: مِنْ فَوْقِهِمْ (النحل: ۲۶) على الفوقية الحقيقية؛ و ما أحسن هذه المقابلة بالفوقية بما «۵» تقدم من قوله: فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ (النحل: ۲۶) كما تقول: أخذ برجله فسقط على رأسه. (السادسة) «۶»: إذا اجتمع مختلفان فى الصراحة و التأويل قدّم «۷» الاسم

المفرد، ثم الظرف أو عديله، ثم الجملة، كقوله تعالى: اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ (آل عمران: ۴۵، ۴۶) فقوله وَجِيهاً حال، و كذلك مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، و قوله يُكَلِّمُ و قوله: مِنَ الصَّالِحِينَ، فهذه (_____ ۱) ساقطة من المطبوعة. (۲) فى المخطوطة (إله). (۳) ليست فى المطبوعة. (۴) فى المخطوطة (خوفه). (۵) فى المخطوطة (لما). (۶) من الفوائد التى تتعلق بالصفة. (۷) فى المخطوطة (و قدّم). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۲۴ أربعة أحوال انتصبت عن قوله: (كلمة) «۱» و الحال «۲» الأولى جيء بها على الأصل اسما صريحا، و الثانية فى تأويله «۳»، جار و مجرور، و جيء بها هكذا لوقوعها فاصلة فى الكلام؛ و لو جيء بها اسما صريحا لناسبت الفواصل، و الثالثة «۴» جملة فعلية، [و الرابعة جار و مجرور] «۵». و منه قوله تعالى: وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ (غافر: ۲۸)، [۱۴۸/ ب قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا (المائدة: ۲۳) و لمّا كان الظرف فيه شبه من المفرد و شبه من الجملة جعل بينهما. و قد أوجب ابن عصفور «۶» ذلك، و ليس كما قال، [فقد قال «۷» تعالى: فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (المائدة: ۵۴) و لا يقال: إن أَذِلَّةٍ بدل لأنه مشتق، و البدل إنما يكون فى الجوامد، كما نص عليه هو و غيره. و أما «۸» قوله تعالى: وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ (الأنعام: ۱۵۵) فقيل: إنه من تقديم الجملة على المفرد، و يحتمل أن يكون مُبارَكٌ خبرا لمحذوف، فلا يكون من هذا الباب. (السابعة): فى اجتماع التابع و المتبوع أنهم يقدمون المتبوع، فيقولون: «أبيض ناصع» و «أصفر فاقع» و «أحمر قان» «۹» و «أسود غربيب»، قال اللّه تعالى: صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها (البقرة: ۶۹) و المعنى أن التبع فيه [معنى «۱۰» زيادة الوصف، فلو قدّم لكان ذكر الموصوف «۱۱» بعده عيبا «۱۲»؛ إلا أن يكون لمعنى أوجب [تقديمه «۱۳». (_____ ۱) فى المخطوطة (يكلم). (۲) فى المخطوطة (فالحال). (۳) فى المخطوطة زيادة كلمة و هى (و الثالثة). (۴) فى المخطوطة (و الرابعة). (۵) العبارة بين الحاصرتين ساقطة من المخطوطة. (۶) هو على بن مؤمن بن محمد، أبو الحسن بن عصفور، تقدم التعريف به فى ۱/ ۴۶۶. (۷) ساقط من المخطوطة. (۸) فى المخطوطة (أما). (۹) فى المخطوطة (قانى). (۱۰) ساقطة من المخطوطة. (۱۱) فى المخطوطة (المتبوع). (۱۲) فى المخطوطة (عيالا) بدل (عيبا إلا). (۱۳) ساقطة من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۲۵ و قد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى: وَ غَرابِيبُ سُودٌ (فاطر: ۲۷) و هى من الآيات التى صدئت «۱» فيها الأذهان الصقيلة، و عادت بها أسنّة الألسنة مفلولة؛ و من جملة العجائب أن شيخا أراد أن يحتج على مدرس لما ذكر له هذا السؤال، فقال: إنما ذكر السّواد لأنه قد يكون فى الغربان «۲» ما فيه بياض، و قد رأيته ببلاد المشرق «۳»! فلم يفهم من الآية إلا أن الغرابيب هو الغراب، و لا قوة إلا باللّه! و الذى يظهر فى ذلك أن الموجب لتقديم (الغرابيب) هو تناسب الكلم و جريانها على ۲/ ۴۴۵ نمط «۴» متساوى التركيب، و ذلك أنه لمّا تقدم البيض و الحمر دون إتباع كان «۵» كان الأليق بحسن النّسق و ترتيب النظام أن يكون «السود» كذلك؛ و [لكنه «۶» لما كان فى [هذا] «۷» «السّود» هنا زيادة الوصف، كان الأليق فى المعنى أن يتبع بما يقتضى ذلك، و هو الغرابيب، فيقابل حظ «۸» اللفظ و حظ المعنى، فوفّى «۹» الخطاب و كمل الغرضان جميعا؛ و لم يطرح أحدهما الآخر، فيقع «۱۰» النقص من جهة الطرح، و ذلك بتقديم «الغرابيب» على «السود» فوقع «۱۱» فى لفظ «الغرابيب» حظ المعنى فى زيادة الوصف. و فى ذكر «السود» مفردا من الإتباع حظّ اللفظ؛ إذ جاء مجردا عن صورة البيض و الحمر؛ فاتسقت الألفاظ كما ينبغى، و تمّ المعنى كما يجب، و لم يخلّ بواحدة من الوجهين، و لم يقتصر على «الغرابيب» و إن كانت متضمنة لمعنى «السود» لئلا «۱۲» [تتنافر] «۱۳» الألفاظ، [فإن ضمّ «۱۴» الغرابيب إلى البيض و الحمر و لزّها «۱۵» فى قرن واحد: كابن اللبون إذا ما لزّ فى قرن «۱۶ (_____» ۱) فى المخطوطة (صدت). (۲) تصحفت فى المخطوطة إلى (الغربان سود ما). (۳) فى المخطوطة (الشرق). (۴) فى المخطوطة (لفظ). (۵) فى المخطوطة (و كان). (۶) ساقطة من المخطوطة. (۷) ساقطة من المطبوعة. (۸) تصحفت فى المخطوطة إلى (غيظ). (۹) فى المخطوطة (فقوى). (۱۰) فى المخطوطة (فوقع). (۱۱) فى المخطوطة (فوفى). (۱۲) فى المخطوطة (دليلا). (۱۳) ساقطة من المخطوطة

و فى موضعها بياض. (۱۴) ساقطة من المخطوطة. (۱۵) فى المخطوطة (ذكرها). (۱۶) صدر بيت عجزه لم يستطع صولة البزل القناعيس و هو لجرير من قصيدة مطلعها: حيّ الهذملة من ذات المواعيس (الديوان: ۲۵۰). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۲۶ [و ذلك «۱» غير مناسب لتلاؤم الألفاظ و تشاكلها، و بذكر «۲» السود وقع الالتئام و اتّسق نسق النظام، و جاء اللفظ و المعنى فى درجة التمام، و هذا لعمر اللّه من العجائب التى تكلّ «۳» دونها العقول؛ و تعيا بها الألسن لا تدرى ما تقول! و الحمد [للّه «۴». ثم رأيت أبا القاسم السهيلى «۵»، أشار إلى معنى غريب، فنقل عن أبى حنيفة الدينورىّ «۶» أن «الغربيب» اسم لنوع من العنب و ليس بنعت، قال: و من هذا يفهم معنى الآية، و سُودٌ عندى بدل لا نعت، و إن كان «الغربيب» إذا أطلق لفظه و لم [يقيد] «۷» بذكر «۸» شىء موصوف قلّما يفهم منه العنب الذى هو اسمه خاصة، فمن ثمّ حسن التقييد. (الثامنة): إذا تكررت النعوت لواحد، فتارة يترك العطف، كقوله: وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ* هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (القلم: ۱۰- ۱۱) و تارة تشترك بالعطف كقوله: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى* وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى (الأعلى: ۱- ۳) [۱۴۹/ أ] و يشترط فى ذلك اختلاف معانيها «۹»، قال الزمخشرى و أبو البقاء «۱۰»: دخول العاطف يؤذن بأنّ كلّ صفة مستقلة [انتهى «۱۱». و العطف أحسن [إن «۱۱» تباعد معنى الصفات نحو: [هُوَ] «۱۳» الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ (الحديد: ۳) و إلا فلا (التاسعة): فصل الجمل فى مقام المدح و الذمّ أبلغ من جعلها نمطا واحدا قال أبو

(_____ ۱) ساقطة من المطبوعة. (۲) فى المخطوطة (و ذكر). (۳) فى المخطوطة (تكمل). (۴) لفظ الجلالة ليس فى المخطوطة. (۵) هو عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى تقدّم فى ۱/ ۲۴۲. (۶) هو أحمد بن داود بن وتند، أبو حنيفة الدّينورىّ: أديب نحوى أخذ عن البصريين و الكوفيين، و أكثر أخذه عن ابن السكيت و كان نحويا مهندسا منجما حاسبا راوية، ثقة فيما يرويه و يحكيه. من تصانيفه كتاب «النبات» و «الشعر و الشعراء» و «الفصاحة» ت ۲۸۲ ه (معجم الأدباء ۳/ ۲۶). (۷) ساقطة من المخطوطة. (۸) فى المخطوطة (يذكر). (۹) فى المخطوطة (معانيهما). (۱۰) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله، أبو البقاء العكبرى، تقدم فى ۱/ ۱۵۹. (۱۱) ساقطة من المخطوطة. (۱۳) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۲۷ على الفارسىّ: إذا ذكرت صفات فى معرض المدح و الذم، فالأحسن أن يخالف فى إعرابها؛ لأن المقام يقتضى الإطناب، فإذا خولف فى الإعراب كان المقصود أكمل لأنّ المعانى عند الاختلاف تتنوع «۱» و تتفتن، و عند الإيجاز تكون نوعا واحدا. و مثله «۲» فى المدح قوله: وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۲/ ۴۴۷ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ (النساء: ۱۶۲) فانتصب الْمُقِيمِينَ على القطع، و هو من صفة المرفوع الذى هو الْمُؤْمِنُونَ. و قيل: بل انتصب بالعطف على قوله: بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ (النساء: ۱۶۲) و هو مجرور، و كأنه قال: «يؤمنون بالذى أنزل إليك و بالمقيمين» أى بإجابة المقيمين، و الأوّل أولى، لأن الموضع للتفخم فالأليق به إضمار الفعل، حتى يكون الكلام جملة لا مفردا. و مثله قوله تعالى: وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ إلى قوله: وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ (البقرة: ۱۷۷) نصّ عليه سيبويه «۳». و جوّز السّيرافى «۴» أن يحمل على قوله: وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى (البقرة: ۱۷۷) إلى أن قال: وَ الصَّابِرِينَ و ردّه الصفّار «۵» بأنه لا يعطف على الموصول قبل تمام الصلة «۶»، و إن كان وَ الصَّابِرِينَ معطوفا على وَ السَّائِلِينَ فهو من صلة «من» فكذلك المعطوف عليه «۷». و الصواب أن يكون المعطوف من صلة «من» «۸»، و تكون الصلة كملت «۹» عند قوله ۲/ ۴۴۸ تعالى: وَ آتَى الزَّكاةَ (البقرة: ۱۷۷) ثم أخذ فى القطع. و مثاله فى الذم: وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (المسد: ۴) بنصب حَمَّالَةَ.

(_____ ۱) تصحفت فى المخطوطة إلى (تينون). (۲) فى المخطوطة (و مثاله). (۳) انظر الكتاب ۲/ ۶۳ (بتحقيق عبد السلام محمد هارون)، باب ما ينتصب على التعظيم و المدح. (۴) هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد السيرافى تقدم التعريف به فى ۱/ ۴۱۴. (۵) هو القاسم بن على البطليوسى الصفّار، تقدم التعريف به فى ۲/ ۴۵۱. (۶) فى المخطوطة (صلته). (۷) هذه المسألة وردت فى إعراب القرآن للنحاس ۱/ ۲۸۱، يردّ فيها النحاس على الكسائى. (۸) تصحفت فى المخطوطة إلى (شىء). (۹) فى المخطوطة (كما كانت). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص:

۲۸

تنبيهان

تنبيهان * (الأول): إنما يحسن القطع بشرطين: (أحدهما): أن يكون [الموصوف «۱» معلوما، أو منزّلا منزلة المخاطب لا يتصور عنده البناء على مجهول. و قولنا «أو منزّلا منزلة المعلوم» لا بد منه. و قال الزمخشرى «۲» فى قوله تعالى: الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ (الفرقان: ۲): رفع على الإبدال من الَّذِى نَزَّلَ (الفرقان: ۱) أو رفع على المدح، أو نصب عليه. قال الطيبى «۳»: «و الإبدال أولى، لأنّ من حقّ صلة الموصول أن تكون معلومة عند المخاطب، و كونه تعالى: نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ (الفرقان: ۱) لم يكن معلوما للعالمين، فأبدل بقوله: لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بيانا و تفسيرا و تبيّن «۴» لك المدح». (و جوابه): ما ذكرنا أن «۵» المنزّل منزلة المعلوم بمنزلة المعلوم «۵»، و هاهنا لقوة دليله أجرى مجرى المعلوم، و جعلت صلة «۷»، نص عليه سيبويه و الجمهور. (و ثانيهما): أن يكون الصفة للثناء و التعظيم. (و شرط بعضهم ثالثا): و هو تقدم الإتباع، [حكاه «۸» ابن بابشاذ «۹». و زيّفه الأستاذ أبو جعفر بن الزّبير «۱۰»، و قال:

إنما يتمّ ذلك إذا كان الموصوف يفتقر إلى

(۱) ساقطة من المخطوطة. (۲) الكشاف ۳/ ۸۸. (۳) هو الحسن بن محمد بن عبد الله الطّيبى- بكسر الطاء- الإمام المشهور، العلامة فى المعقول و العربية و المعانى و البيان، قال ابن حجر: «كان آية فى استخراج الدقائق من القرآن و السنن» صنف «شرح الكشاف» و «التبيان فى المعانى و القرآن» و «شرح المشكاة». ت ۷۴۳ ه (بغية الوعاة ۱/ ۵۲۲). (۴) فى المخطوطة (و بين ذلك) بدل (و تبين لك). (۵) عبارة المطبوعة (أن المنزل بمنزلة المعلوم منزلة المعلوم). (۷) فى المخطوطة (صلته). (۸) ساقطة من المخطوطة. (۹) هو طاهر بن أحمد بن بابشاذ أبو الحسن المصرى النحوى اللغوى. ولّى متأمّلا- مصحّحا- فى ديوان الإنشاء يتأمل ما تصدر منه من السجلات و الرسائل فيصلح ما فيها من خطأ، تزهّد فى آخر عمره. من تصانيفه «شرح جمل الزجاجى» و «شرح النخبة» و «التعليق فى النحو» ت ۴۶۹ ه (معجم الأدباء ۱۲/ ۱۷). (۱۰) هو أحمد بن إبراهيم أبو جعفر بن الزبير، تقدم التعريف به فى ۱/ ۱۳۰، و انظر قوله فى ملاك التأويل ۱/ ۲۰ فى الحاشية. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۲۹ زيادة بيان، فحينئذ يتقدم الإتباع ليستحكم العلم بالموصوف؛ أما إذا كان معلوما فلا يفتقر إلى زيادة بيان. قال: و الأصل- فيما الصفة فيه مدح أو ذم و الموصوف معلوم- قطع الضمير، و هو «۱» الأفصح، و لا يشترط غير ذلك. و قد أورد على دعوى أفصحيّة «۲» القطع عند ذلك إجماع [۱۴۹/ ب القراء السبعة على الإتباع فى قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ* الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، فضعّفوا قراءة النصب «۳» على القطع مع حصول شرطى القطع. و أجاب ابن الزبير «۴» بأنّ اختيار القطع مطّرد ما لم تكن الصفة خاصّة بمن جرت عليه! لا يليق و لا يتّصف بها سواه. و لا شكّ أن هذا الضرب قليل جدّا، فكذلك لم يفصح سيبويه باشتراطه، فإذا كانت الصفة ممن «۵» لا يشارك فيها الموصوف غيره، و كانت مختصة بمن جرت عليه، فالوجه فيها الإتباع. و نظير ذلك فى صفات اللّه سبحانه و تعالى مما يتصف به غيره؛ فلذلك «۶» لم يقطع، و عليه ورد السماع لهذه الآيات الشريفة. و كذلك قوله [تعالى «۷»: حم* تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِى الطَّوْلِ (غافر: ۱- ۳) لمّا «۸» كان وصفه تعالى ب غافِرِ الذَّنْبِ و ما بعده لا يليق بغيره، لم يكن فيه إلا الإتباع، و الإتباع لا يكون إلا بعد القطع «۹»، و يلزم الإتباع فى الكل. و هذا مع تكرر الصفات، و ذلك من مسوّغات القطع على صفة ما، و عند بعضهم من غير تقييد بصفة. و أما الإتباع فيما لم يقع فيه الاختصاص من صفته تعالى فكثير؛ فهذا هو السماع، ۲/ ۴۵۰ و له وجه فى القياس، و هو شبيه بالوارد فى سورة و النجم، فى قوله [تعالى: وَ أَنَّهُ هُوَ (۱)

فى المخطوطة (إنه). (۲) فى المخطوطة (فصحه). (۳) و هى قراءة المطوعى، قرأ: (مالك) نصبا على القطع أو منادى مضافا توطئة لإياك نعبد و الجمهور بالكسر (اتحاف فضلاء البشر: ۱۲۲). (۴) انظر ملاك التأويل ۱/ ۲۱ فى الحاشية. (۵) تصحفت فى المخطوطة

إلى (تمكن). (۶) فى المخطوطة (فكذلك). (۷) ليست فى المخطوطة. (۸) فى المخطوطة (فمن). (۹) فى المخطوطة (قطع). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۰ أَضْحَكَ وَ أَبْكى وَ أَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَ أَحْيا (النجم: ۴۳، ۴۴) ثم قال بعد: وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنى وَ أَقْنى وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى (النجم: ۴۸، ۴۹) فورد فى هذه الجمل الأربع الفصل بالضمير المرفوع بين اسم إنّ و خبرها، ليتحدّد «۱» بمفهومه نفى الاتصاف عن غيره تعالى «۲» بهذه الأخبار، و كان الكلام فى قوة «۳» أن لو قيل «و أنه هو لا غيره». و لم يرد هذا الضمير فى قوله «۴» تعالى: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (النجم: ۴۵) لأن ذلك مما لا يتعاطاه أحد، لا حقيقة و لا مجازا و لا ادعاء، بخلاف الإحياء و الإماتة، فيما حكاه اللّه تعالى عن نمروذ. (قلت): و ما ذكره فى الجواب يرد عليه قوله تعالى: التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ ... الآية (التوبة: ۱۱۲) و قوله تعالى: أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ ... (التحريم: ۵) الآيات و مما يرد عليه بالنسبة لأوصاف الذم قوله: وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ* هَمَّازٍ [مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ «۵» الآية (القلم: ۱۰- ۱۱) قد «۶» جرت كلّها على ما قبلها بالاتباع، و لم يجىء فيها القطع. و قرأ الحسن «۷»: عُتُلٍّ (القلم: ۱۳) بالرفع على الذم، قال الزمخشرىّ «۸»: و هذه القراءة تقوية لما يدلّ عليه بعد ذلك. * (الثانى): قد يلتبس المنصوب على المدح بالاختصاص، و قد فرّق سيبويه بينهما فيما بيّن؛ و الفرق أنّ المنصوب على المدح أن يكون المنتصب لفظا «۹» يتضمن نفسه مدحا؛ نحو «هذا زيد عاقل قومه» و [فى «۱۰» الاختصاص لا يقتضى «۱۱» اللفظ ذلك، كقوله تعالى: رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ (هود: ۷۳) فيمن نصب أَهْلَ «۱۲».

(_____ ۱) فى المخطوطة (ليحترز). (۲) تصحفت فى المخطوطة إلى (قال تعالى). (۳) فى المخطوطة (فتراه). (۴) فى المخطوطة (و قوله) بدل (فى قوله تعالى). (۵) تمام الآية ليس فى المطبوعة. (۶) فى المخطوطة (فقد). (۷) فى المخطوطة (و قيل حكى الحسن)، و المقصود به الحسن بن يسار البصرى، و انظر (إتحاف فضلاء البشر: ۴۲۱). (۸) الكشاف ۴/ ۱۲۷. (۹) فى المخطوطة (نظما). (۱۰) ساقطة من المخطوطة. (۱۱) فى المخطوطة (إذا لم يقتض) بدل (لا يقتضى). (۱۲) راجع البحر المحيط ۵/ ۲۴۵. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۱ (العاشرة): يوصف الجمع بالمفرد «۱»، قال تعالى: مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ الْعُلى (طه: ۴) فوصف الجمع بالمفرد. و قال تعالى: وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى (الأعراف: ۱۸۰) فوصف «الأسماء» و هى جمع اسم، بالحسنى و هو مفرد، تأنيث الأحسن. و كذلك قوله تعالى: فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى (طه: ۵۱) فإن الْأُولى تأنيث «الأول» و هو صفة لمفرد. و إنما حسن وصف الجمع بالمفرد؛ لأن اللفظ المؤنث يجوز إطلاقه على [۱۵۰/ أ] جماعة المؤنث؛ بخلاف [لفظ] «۲» المذكر «۳» [يرد إلى لفظ جماعة المؤنث «۳» و أما قوله تعالى: وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً (الفرقان: ۱۸) و البور: الفاسد، فقال الرمّانى «۵»: «هو بمعنى الجمع إلا أنه ترك جمعه فى اللفظ؛ لأنه مصدر وصف». و قد يوصف الجمع بالجمع، و لا يوصف مفرد كل منهما بالمفرد و منه: فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ (القصص: ۱۵) فثنى الضمير، و لا يقال فى الواحد «يقتتل». و منه: وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ (آل عمران: ۷) و لا يقال «و أخرى متشابهة». (الحادية عشرة): قد تدخل الواو على الجملة الواقعة صفة تأكيدا، ذكره الزمخشرىّ «۶»، و جعل منه قوله تعالى: وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَ لَها كِتابٌ مَعْلُومٌ (الحجر: ۴) قال: «الجملة صفة لقرية، و القياس عدم دخول الواو فيها؛ كما فى قوله تعالى: وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ (الشعراء: ۲۰۸) و إنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف». و قد أنكره عليه ابن مالك و الشيخ أبو حيان «۷» و غيرهما، و القياس مع الزمخشرىّ، لأن الصفة كالحال فى المعنى. و زعم بعضهم أنه لا يؤتى بالواو فى الصفات إلا إذا تكررت «۸» النعوت، و ليس كذلك،

(_____ ۱) فى المخطوطة (بالجمع). (۲) ساقطة من المخطوطة. (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۵) هو على بن عيسى أبو الحسن الرمانى تقدم ذكره فى ۱/ ۱۱۱. (۶) الكشاف ۲/ ۳۱۰. (۷) انظر النهر الماء المطبوع بهامش البحر المحيط ۵/ ۴۴۳- ۴۴۴. (۸) فى المخطوطة (كررت). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۲ و منه قوله تعالى: وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ (الكهف: ۲۲) و قوله [تعالى «۱»: آتَيْنا مُوسى [وَ هارُونَ «۱» الْفُرْقانَ وَ ضِياءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ (الأنبياء: ۴۸) و تقول: جاءنى «۳» زيد و العالم. (الثانية عشرة): الصفة لا تقوم مقام الموصوف إلا

علی استکراه؛ لأنها إنما یؤتی بها للبیان و التخصیص، أو المدح و الذم، و هذا فی موضع الإطالة لا الاختصار، فصار من باب نقص الغرض. و قال ابن عمرون «۴»: «عندی أن البیان حصل بالصفة و الموصوف معا، فحذف الموصوف ینقص الغرض، و لأنه ربما أوقع لبسا «۵»، أ لا ـ تری أن قولک: «مررت بطویل» یحتمل أنه رجل أو قوس «۶» أو غیر ذلک، إلا «۷» إذا ظهر أمره ظهورا یستغنی به عن ذکره، کقوله تعالی: وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِینٌ (الصافات: ۴۸) قال السخاوی «۸»: «و لا فرق فی صفة النکرة بین أن یذکر معها أو لا». قال ابن عمرون «۴»: «و لیس قوله بشیء».

القسم الثالث البدل

اشارة

القسم الثالث البدل و القصد به الإیضاح بعد الإبهام، و هو یفید البیان و التأکید، أما البیان فإنک إذا قلت: ۲/ ۴۵۴ «رأیت زیدا أخاک» بیّنت أنک ترید بزید الأخ لا غیر، و أما التأکید فلأنه علی نیة تکرار العامل، أ لا تری إذا قلت: «ضربت زیدا» جاز أن تکون ضربت رأسه أو یده أو جمیع بدنه (_____؛ ۱) لیست فی المخطوطة. (۳) فی المخطوطة (جاء). (۴) هو محمد بن محمد بن أبی علی، و قد تقدم التعریف به فی ۳/ ۲۲. (۵) اضطربت فی المخطوطة إلی (للسا). (۶) فی المخطوطة (فرس). (۷) فی المخطوطة (بما). (۸) هو علی بن محمد بن عبد الصمد علم الدین السخاوی تقدمت ترجمته فی ۱/ ۲۰۶. البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۳ فإذا قلت: «یده» فقد رفعت ذلک الإبهام، فالبدل جار مجری التأکید، لدلالة الأول علیه، أو المطابقة «۱» کما فی بدل الکلّ، أو التضمن کما فی بدل البعض، أو الالتزام «۲» کما فی بدل الاشتمال؛ فإذا قلت: «ضربت زیدا رأسه» فکأنک قد ذکرت الرأس مرتین، مرة بالتضمن و أخری بالمطابقة، و إذا قلت: «شربت ماء البحر بعضه» فإنه مفهوم من قولک: «شربت ماء البحر» أنک لم تشربه کله فجئت بالبعض تأکیدا. و هذا معنی قول سیبویه، و لکنه ثنّی «۳» الاسم تأکیدا، و جری «۴» مجری الصفة فی الإیضاح، لأنک إذا قلت: «رأیت أبا عمرو زیدا»، «و رأیت غلامک زیدا»، «و مررت برجل صالح زید»، فمن الناس من یعرفه بأنه غلامک، أو بأنه رجل صالح، و لا یعرف أنه زید، و علی العکس، فلمّا ذکرتهما أثبتّ باجتماعهما المقصود. و هذا معنی قول الزمخشری «۵»: و إنما یذکر الأول لتجوز التوطئة، و لیفاد «۶» بمجموعهما فضل تأکید و تبیین [۱۵۰/ ب لا ـ یکون فی الإفراد. و قال ابن السیّد «۷»: لیس کلّ بدل یقصد به رفع الإشکال الذی یعرض فی المبدل «۸» منه، بل من البدل ما یراد به التأکید، و إن کان ما قبله غنیا عنه، کقوله تعالی: وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ* صِراطِ اللَّهِ (الشوری: ۵۲، ۵۳)، أ لا تری أنه لو لم یذکر «الصراط» الثانی لم یشکّ أحد أن الصراط المستقیم هو صراط اللّه. و قد نصّ سیبویه علی أن من البدل ما الغرض منه التأکید، و لهذا جوزوا بدل المضمر من المضمر، کلقیته إیاه «۹». انتهی. (_____۱) فی المخطوطة (بالمطابقة). (۲) فی المخطوطة (بالالتزام). (۳) تصحفت فی المخطوطة و المطبوعة إلی (بنی). و الصواب من کتاب سیبویه ۱/ ۱۵۰، باب من الفعل یستعمل فی الاسم ثم یبدل مکان ذلک الاسم ... (۴) تصحفت فی المخطوطة إلی (أو جاء). (۵) انظر المفصّل ص ۱۲۱. باب البدل. (۶) تصحفت فی المخطوطة إلی (و لیتفادی). (۷) هو عبد الله بن محمد بن السید البطلیوسی تقدم التعریف به فی ۱/ ۳۴۳. (۸) فی المخطوطة (البدل). (۹) تصحفت فی المطبوعة إلی (أباه)، و انظر کتاب سیبویه ۲/ ۳۸۶، باب ما تکون فیه أنت و أنا و نحن. البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۴ ۲/ ۴۵۵ و الفرق بینه و بین الصفة أن البدل فی تقدیر تکرار العامل، و کأنه فی التقدیر «۱» من جملتین؛ بدلیل تکرر حرف الجرّ فی قوله: قالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ (الأعراف: ۷۵)، و بدلیل بدل النکرة [من المعرفة] «۲» و المظهر «۳» من المضمر، و هذا مما یمتنع فی الصفة، فکما أعیدت اللام الجارة فی الاسم، فکذلک تکرار

العامل الرافع أو الناصب فى تقدير التكرار «۴»، و هو إن كان كذلك فلا يخرج عن أن يكون فيه تبيين للأول كالصفة. و قيل لأبى علىّ «۵»: كيف يكون البدل إيضاحا للمبدل «۶» منه، و هو من غير جملته؟ فقال «۷»: لما لم يظهر العامل فى البدل، و إنما دل عليه العامل فى المبدل منه، و اتصل البدل بالمبدل منه فى اللفظ، جاز أن يوضّحه. و من فوائد البدل التبيين على وجه المدح فقولك: هل أدلّك على أكرم الناس و أفضلهم؟ فلان، أبلغ من قولك: فلان الأكرم و الأفضل، بذكره مجملا ثم مفصّلا. و قال الأخفش و الواحدىّ «۸» فى بدل البعض من الكلّ، نحو: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (آل عمران: ۹۷) يسمى هذا بدل البيان؛ لأن الأوّل يدلّ على العموم ثم يؤتى بالبدل إن أريد «۹» البعض. و أعلم أن فى كلا البدلين- أعنى بدل البعض و بدل الاشتمال- بيانا و تخصيصا للمبدل منه، و فائدة البدل أنّ ذلك الشىء يصير مذكورا مرتين: إحداهما بالعموم، و الثانية بالخصوص.

(_____ ۱) فى المخطوطة (من تقدير). (۲) ساقطة من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة (و المضمر). (۴) فى المخطوطة (التكرير). (۵) الفارسى تقدم التعريف به فى ۱/ ۳۷۵. (۶) فى المخطوطة (البدل). (۷) فى المخطوطة (و قال). (۸) هو على بن أحمد أبو الحسين الواحدى تقدم التعريف به فى ۱/ ۱۰۵. (۹) فى المخطوطة (إذ المراد). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۵ و من أمثلته قوله تعالى: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِراطَ الَّذِينَ (الفاتحة: ۶- ۷). آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ* رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (الشعراء: ۴۷- ۴۸). ۲/ ۴۵۶ و قوله: لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ* ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ (العلق: ۱۵- ۱۶) و فائدة الجمع بينهما أن الأولى ذكرت للتنصيص على «ناصية»، و الثانية على علة السفع «۱»، ليشمل بذلك ظاهر كلّ ناصية «۲» هذه «۳» صفتها. و يجوز بدل المعرفة من المعرفة؛ نحو: الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِراطَ الَّذِينَ (الفاتحة: ۶- ۷). و بدل النكرة من المعرفة، نحو: بِالنَّاصِيَةِ* ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ (العلق: ۱۵- ۱۶). قال ابن يعيش «۴»: و لا يحسن بدل النكرة من المعرفة حتى توصف كالآية؛ لأن البيان مرتبط بهما جميعا. و النكرة من النكرة كقوله [تعالى: إِنَ «۵» لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً* حَدائِقَ وَ أَعْناباً* وَ كَواعِبَ أَتْراباً* وَ كَأْساً دِهاقاً (النبأ: ۳۱- ۳۴)، فحدائق و ما بعدها «۶» بدل من «مفازا». و منه قوله تعالى: وَ غَرابِيبُ سُودٌ (فاطر: ۲۷)، فإن «سود» بدل من «غرابيب» لأن الأصل «سود غرابيب» فغرابيب فى الأصل صفة لسود «۷»، و نزع الضمير منها، و أقيمت مقام الموصوف، ثم أبدل منها الذى كان موصوفا بها، كقوله تعالى: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً (آل عمران: ۸۵). و قوله: وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ (يوسف: ۲۰) فهذا بدل نكرة «۸» موصوفة من أخرى موصوفة فيها بيان الأولى.

(_____ ۱) فى المخطوطة (الشفع). (۲) فى المخطوطة (كل ذلك ناصية). (۳) فى المخطوطة (و هذه). (۴) تصحفت فى المخطوطة إلى (ابن مسعود). و ابن يعيش تقدم التعريف به فى ۲/ ۴۹۷. (۵) ليست فى المخطوطة. (۶) فى المخطوطة (بعده). (۷) فى المخطوطة (سود). (۸) فى المخطوطة (النكرة). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۶ [۱۵۱/ أ] و مثل «۱» إبدال النكرة المجردة من مثلها مجردة و بدل المعرفة من النكرة: وَ إِنَّكَ لَتَهْدِى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ* صِراطِ اللَّهِ (الشورى: ۵۲- ۵۳) لأن «صراط اللّه» مبين إلى الصراط المستقيم؛ فإن مجىء الخاص و الأخص بعد العام و الأعم كثير؛ و لهذا المعنى قال الحذّاق فى قوله تعالى: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ (ق: ۱۸): إنه لو عكس فقيل: «ما يقول من لفظ» لم يجز، لأن القول أخصّ من اللفظ، لاختصاصه بالمستعمل، و اللفظ يشمل «۲» المهمل الذى لا معنى له. و قد يجىء للاشتمال، و الفرق بينه و بين بدل البعض، أن البدل فى البعض جزّ فى الاشتمال وصفا، كقوله: وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ (الكهف: ۶۳) فإن أَذْكُرَهُ بمعنى «ذكره»؛ و هو بدل من الهاء فى «۳» أَنْسانِيهُ العائدة إلى الحوت، و تقديره: «و ما أنسانى ذكره إلا الشيطان». و قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ (البقرة: ۲۱۷) ف قِتالٍ بدل من «الشهر» بدل الاشتمال، لأن الشهر يشتمل على القتال و على غيره؛ كما كان زيد يشتمل على العقل و غيره؛ و هو مؤكد لأنهم لم يسألوا عن الشهر الحرام فإنهم يعلمونه، و إنما سألوا عن القتال فيه، فجاء به تأكيدا. و قوله: قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ* النَّارِ (البروج: ۴- ۵)، فالنار بدل من «الأخدود» بدل اشتمال؛ لأنه يشتمل على النار و غيرها، و العائد محذوف تقديره: «الموقدة فيه». و من بدل البعض قوله [تعالى «۴»: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (آل

عمران: ۹۷) فالمستطيعون بعض الناس، لا كلّهم. و قال ابن برهان «۵»: بل هذه بدل كلّ من كلّ، و احتج بأن اللّه لم يكلّف الحج من لا يستطيعه فيكون المراد بالناس بعضهم؛ على حدّ قوله: الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ

(_____ ۱) فى المخطوطة (و نقل). (۲) عبارة المخطوطة (و عموم اللفظ و معنى) بدل (و اللفظ يشمل). (۳) فى المخطوطة (من). (۴) ليست فى المخطوطة. (۵) هو أبو الفتح أحمد بن على بن برهان تقدم التعريف به فى ۲/ ۲۰۸. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۷ جَمَعُوا لَكُمْ (آل عمران: ۱۷۳)؛ فى أنه لفظ عام أريد به خاص، لأن النَّاسُ ۲/ ۴۵۸ [فى «۱» اللفظ الأول لو كان المراد به الاستغراق لما انتظم قوله بعده: إِنَّ النَّاسَ؛ فعلى هذا هو عنده مطابق لعدة المستطيعين فى كميّتهم، و هم بعض الناس لا جميعهم. و الصحيح ما صار إليه الجمهور؛ لأن باب البدل أن يكون فى الثانى بيان ليس فى الأول؛ بأن يذكر الخاصّ بعد العام مبيّنا و موضحا. و لا بدّ فى إبدال البعض من ضمير، كقوله: وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ (البقرة: ۲۵۱). وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ (الأنفال: ۳۷). و قد يحذف لدليل، كقوله: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ (آل عمران: ۹۷)، «منهم»، و هو مراد بدليل ظهوره فى الآية الأخرى؛ و هى «۲» قوله: وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ (البقرة: ۱۲۶)، ف مَنْ آمَنَ بدل من أَهْلَهُ، و هم بعضهم. و قد يأتى البدل لنقل الحكم عن مبدله «۳»، نحو: «جاء القوم أكثرهم «۴»، و أعجبنى زيد ثوبه». و قال ابن عصفور «۵»: و لا «۶» يصح «غلمانه». و عدل عن البدل فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (الحجرات: ۴)، لأنه أريد الاخبار عنهم كلهم فى الحال الثانى و هو وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا» (الحجرات: ۵)، فلو أبدل لأوهم، بخلاف: «إنك أن تقوم خير لك». البدل أرجح. و البدل فى تقدير تكرير العامل و ليس كالصفة، و لكنه فى تقدير جملتين بدليل تكرير حرف الجرّ.

(_____ ۱) ليست فى المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (و فى). (۳) فى المخطوطة (لبدله). (۴) فى المخطوطة (كلهم). (۵) تقدم التعريف به فى ۱/ ۴۶۶. (۶) فى المخطوطة (لا). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۸ قد «۱» يكرر عامله إذا كان حرف جر، كقوله: وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ (الأنعام: ۹۹)، ف طَلْعِها بدل اشتمال من النَّخْلِ و كرر العامل فيه؛ و هو مِنَ «۲» [أول ما يخرج النخل «۲» و قوله تعالى: قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا «۴» [لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ (الأعراف: ۷۵)، لِمَنْ آمَنَ، بدل بعض من كل، من لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا] «۴» لأن المؤمنين بعض [۱۵۱/ ب المستضعفين، و قد كرر اللام. و قوله: وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ (الزخرف: ۳۳)، فقوله: لِبُيُوتِهِمْ بدل اشتمال من قوله: لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ. و جعل ابن عطية «۶» اللام الأولى للملك و الثانية للاختصاص، فعلى هذا يمتنع البدل لاختلاف معنى الحرفين. و قوله تعالى: تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا (المائدة: ۱۱۴)، [ف لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا] «۷» بدل من الضمير فى لَنا؛ و قد أعيد معه العامل مقصودا به التفصيل. و منه قراءة يعقوب «۸»: وَ تَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا (الجاثية: ۲۸)، قال أبو الفتح: «جاز إبدال الثانية من الأولى، لأن فى الثانية ذكر سبب الجثو». قيل: و لم يظهر عامل البدل إذا كان حرف جرّ، إيذانا بافتقار الثانى إلى الأول، فإن حروف الجر مفتقرة، و لم يظهروا الفعل، إذ لو أظهروه لانقطع الثانى عن الأول بالكلية؛ لأن الكلام مع الفعل قائم بنفسه. و اعلم أنه لا خلاف فى جواز إظهار العامل فى البدل إذا كان حرف جرّ كالآيات السابقة؛ فإن كان رافعا أو ناصبا ففيه خلاف، و المجوّزون احتجوا بقوله [تعالى «۹»: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ* وَ اتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ* أَمَدَّكُمْ (الشعراء: ۱۳۱ - ۱۳۳) فيجوز أن

(_____ ۱) فى المخطوطة (و قد). (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۴) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة. (۶) هو عبد الحق بن غالب بن عطية تقدم التعريف به فى ۱/ ۱۰۱. (۷) ليست فى المخطوطة. (۸) القراءة و قول أبى الفتح ابن جنى تجدها فى المحتسب ۲/ ۲۶۲. (۹) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۳۹ يكون أَمَدَّكُمْ الثانى بدلا من أَمَدَّكُمْ الأول. و قد يكون من إبدال الجملة من الجملة، و تكون

الثانية [صلة] «۱» «الذى» كالأولى. و يجوز أن تكون الثانية شارحة للأولى، كقولك: «ضربت رأس زيد قذفته «۲» بالحجر». ثم «۳» قوله تعالى: يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ* اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ (يس: ۲۰- ۲۱) «۴» [أبدل قوله: اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ «۴» (يس: ۲۱) من قوله: اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (يس: ۲۰) لأنه أكثر تلطفا فى اقتضاء اتباعهم. و قوله تعالى: وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً* يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ (الفرقان: ۶۸- ۶۹) ف يَلْقَ مجزوم بحذف الألف لأنه جواب الشرط، ثم أبدل منه: يُضاعَفْ [لَهُ الْعَذابُ «۴»] (الفرقان: ۶۹) فبيّن بها «الأثام» ما هو. و ينقسم البدل باعتبار آخر إلى بدل مفرد من مفرد، و جملة، من جملة و قد سبقا، و جملة من مفرد، كقوله تعالى: كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ (آل عمران: ۵۹) و قوله: ما يُقالُ لَكَ إِلَّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقابٍ أَلِيمٍ (فصلت: ۴۳) «۷» [فإن إنَّ و ما عملت فيه بدل من ما و صلتها على تقدير «ما يقال لك ألا إن ربك لذو مغفرة و ذو عقاب»] «۷» و جاز إسناد يُقالُ إلى ما عملت فيه، كما جاز إسناد قِيلَ فى وَ إِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ (الجاثية: ۳۲). و من إبدال الجملة من المفرد قوله «۹» تعالى: «۱۰» [وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا] «۱۰» هَلْ هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (الأنبياء: ۳) قال الزمخشرى «۱۲»: «هذا ۲/ ۴۶۱ الكلام كلّه فى محل نصب «۱۳»، بدلا من النَّجْوَى». و يبدل الفعل من الفعل الموافق له فى المعنى مع زيادة بيان، كقوله تعالى: وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً* يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ ... (الفرقان: ۶۸ - ۶۹) الآية.

(_____ ۱) ليست فى المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (فقذفته). (۳) فى المخطوطة (نعم). (۴) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة. (۷) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۹) فى المخطوطة (كقوله). (۱۰) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة. (۱۲) الكشاف ۳/ ۳. (۱۳) فى المخطوطة (النصب). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۴۰ و الرابع: بدل المفرد من الجملة، كقوله: أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ (يس: ۳۱)، ف أَنَّهُمْ بدل؛ لأن الإهلاك و عدم الرجوع بمعنى واحد. فإن قلت: لو كان بدلا لكان معه الاستفهام. قيل: هو بدل معنوىّ.

تنبيه

تنبيه و قد يكرر البدل كقوله: إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ (التوبة: ۴۰)، فقوله: إِذْ هُما [۱۵۲/ أ] بدل من قوله: إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا (التوبة: ۴۰)، و قوله: إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ (التوبة ۴۰) بدل من [قوله «۱» إِذْ هُما فِي الْغارِ (التوبة: ۴۰).

تنبيه

تنبيه أعربوا آزَرَ من قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ (الأنعام: ۷۴) بدلا. قال ابن عبد السلام: و البدل لا يكون إلا للبيان، و الأب لا يلتبس بغيره، فكيف حسن البدل؟. و الجواب أن الأب يطلق على الجدّ، بدليل قوله: آبائِي إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ (يوسف: ۳۸)، فقال: «آزر» «۲» لدفع توهم المجاز. هذا كله إذا قلنا: إن «آزر» اسم أبيه لكن فى «المعرّب» للجواليقى «۳» عن الزّجاج:

(_____ ۱) ليست فى المطبوعة. (۲) فى المخطوطة (إنه). (۳) هو موهوب بن أحمد بن محمد أبو منصور الجواليقى إمام فى اللغة و النحو و الأدب و هو من مفاخر بغداد، قرأ الأدب على أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى و لازمه و تلمذ له حتى برع فى فنه سمع من شيوخ زمانه و أخذ الناس عنه علما جما و له من التصانيف «شرح أدب الكاتب» و «المعرب» و «تتمة درة الخواص» و غيرها ت ۵۳۹ ه (القفطى، إنباه الرواة ۳/ ۳۳۵). و كتابه «المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم» طبع بتحقيق إدوارد سخاو فى ليبسك عام ۱۲۹۳ ه/ ۱۸۷۶ م، و طبع بتحقيق أحمد شاكر فى القاهرة بدار الكتب المصرية عام ۱۳۶۱ ه/ ۱۹۴۲ م و أعيد طبعه عام ۱۳۹۰ ه/ ۱۹۶۹ م. و أعيد نشر الطبعة الأولى بالأوفست فى طهران عام ۱۳۸۷ ه/ ۱۹۶۶ م. (ذخائر التراث العربى ۱/ ۴۵۶ و انظر قوله فى كتابه ص ۲۸- ۲۹. البرهان فى علوم القرآن،

ج۳، ص: ۴۱ «لا خلاف أن اسم أبى إبراهيم «تارح» و الذى فى القرآن يدلّ على أن اسمه آزر و قيل: «آزر» ذمّ فى لغتهم، و كأنه: «يا مخطئ» و هو من العجميّ الذى وافق لفظه لفظ العربيّ، نحو الإزار و الإزرة، قال تعالى: أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ» (الفتح: ۲۹). و على هذا فالوجه الرفع، فى قراءة «۱» آزَرَ.

القسم الرابع عطف البيان

القسم الرابع عطف البيان و هو كالنعت فى الإيضاح و إزالة الاشتراك الكائن فيه. و شرط صاحب «الكشاف» فيه أن يكون وضوحه زائدا على وضوح «۲» متبوعه «۳». و ردّ ما قاله بأن الشرط حصول زيادة الوضوح بسبب انضمام عطف البيان مع متبوعه؛ لا ۲/ ۴۶۳ أن «۴» الشرط كونه أوضح و أشهر من الأول؛ لأن من الجائز أن يحصل باجتماع الثانى مع الأول زيادة وضوح لا تحصل حال انفراد كل واحد «۵» منهما، كما فى «خالى» «۶» أبو عبد اللّه زيد» مع [أنّ «۷» اللقب أشهر؛ فيكون فى كلّ واحد منهما خفاء بانفراده و يرفع بالانضمام «۸». و قال «۹» سيبويه: جعل «يا هذا ذا الجمة» «۱۰» عطف بيان مع أن اسم الإشارة أعرف من المضاف إلى ذى اللام.

(_____ ۱) فى المخطوطة (القراءة). و هى قراءة يعقوب على أن (آزر) منادى. انظر إتحاف فضلاء البشر ص ۲۱۱. (۲) فى المخطوطة (وضوحه). (۳) انظر المفصل ص ۱۲۲- عطف البيان. (۴) فى المخطوطة (لأن). (۵) فى المخطوطة (واضح أحد) بدل (واحد). (۶) فى المخطوطة (جاءنى). (۷) ساقطة من المخطوطة. (۸) فى المخطوطة (بانضمام). (۹) فى المخطوطة (و بأن). تصحيف. (۱۰) تصحفت فى المخطوطة إلى (هذه الجملة)، و فى المطبوعة إلى (يا هذا الحمد) و التصويب من كتاب سيبويه ۲/ ۱۸۹- ۱۹۰. باب لا يكون الوصف المفرد فيه إلا رفعا ... البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۴۲ و قيل: يشترط أن يكون عطف البيان معرفة. و الصحيح أنه ليس بشرط، كقولك: «لبست ثوبا جبّة». و قد أعرب الفارسى: مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ (النور: ۳۵) و كذا: فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ (المائدة: ۸۹)، و كذلك صاحب «۱» «المفتاح» فى لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ (النحل: ۵۱). فإن قلت: ما الفرق بينه و بين الصفة؟ قلت: عطف البيان وضع ليدلّ «۲» على الإيضاح باسم يختص به، و إن استعمل فى غير الإيضاح، كالمدح فى قوله تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ (المائدة: ۹۷) «۳» [فإنّ الْبَيْتَ الْحَرامَ «۳» عطف بيان جىء به للمدح لا- للإيضاح، و أما الصفة فوضعت لتدل على معنى حاصل فى متبوعه، و إن كانت فى بعض الصور مفيدة للإيضاح للعلم بمتبوعها من غيرها. و كقوله تعالى: إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ (سبأ: ۴۶)، و قوله [تعالى «۳» آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ (آل عمران: ۹۷). و زعم الزمخشرىّ «۶» فى قوله تعالى: أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ (الطلاق: ۶) «۷» [أن مِنْ وُجْدِكُمْ «۷» عطف بيان. و هو مردود؛ فإن العامل إنما يعاد فى البدل لا فى عطف البيان. فإن قلت: ما الفرق بينه و بين البدل؟. قلت: قال أبو جعفر النحاس: «ما علمت أحدا فرّق بينهما إلا ابن كيسان «۹»؛ فإن الفرق

(_____ ۱) هو يوسف بن أبى بكر السكاكى و انظر مفتاح العلوم ص ۱۹۰. (۲) فى المخطوطة (البدل). (۳) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة. (۶) الكشاف ۴/ ۱۱۰. (۷) ليست فى المخطوطة. (۹) هو محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوى، أحد المذكورين بالعلم الموصوفين بالفهم و كان يحفظ مذهب البصريين فى النحو و الكوفيين لأنه أخذ عن المبرد و ثعلب، و كان أبو بكر بن مجاهد يقول: أبو الحسن بن كيسان أنحى من الشيخين. يعنى ثعلبا و المبرد، و تصانيفه كثيرة منها «غريب الحديث» و «المهذب» و «الوقف و الابتداء» و «القراءات» و غيرها ت ۲۹۹ ه (القفطى، إنباه الرواة ۳/ ۵۷). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۴۳ بينهما أن البدل يقرر الثانى فى موضع الأول، و كأنك لم تذكر الأول، و عطف البيان أن تقدّر «۱» أنك إن ذكرت الاسم الأول لم يعرف إلا بالثانى [۱۵۲/ ب ، و إن ذكرت الثانى لم يعرف إلا بالأول، فجئت بالثانى مبيّنا للأول، قائما له مقام النعت و التوكيد. قال: و تظهر فائدة هذا فى النداء، تقول: «يا أخانا زيد أقبل»، على البدل، كأنك رفعت الأول و قلت: «يا زيد أقبل»، فإن أردت عطف البيان قلت: «يا أخانا «۲» زيدا أقبل».

القسم الخامس ذكر الخاصّ بعد العام

اشارة

القسم الخامس ذكر الخاصّ بعد العام فيؤتى به معطوفا عليه بالواو للتنبيه على فضله؛ حتى كأنه ليس من جنس العام؛ تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات، و على هذا بنى المتنبى قوله: فإن تفق الأنام و أنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال «۳» و ابن الرومى أيضا حيث قال: كم من أب قد علا بابن ذرا شرف «۴» كما علت «۵» برسول اللّه عدنان «۶» و حكى الشيخ أثير الدين «۷» عن شيخه أبى جعفر بن الزبير «۸» أنه كان يقول: «إن هذا العطف يسمى بالتجريد، كأنه جرّد من الجملة و أفرد بالذكر تفصيلا». و له شرطان ذكرهما ابن مالك: أحدهما كون العطف بالواو، و الثانى كون المعطوف ذا

(_____ ۱) فى المخطوطة (يقدر). (۲) فى المخطوطة (أخا). (۳) البيت ختم به قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة و يعزيه بها سنة ۳۳۷ ه، مطلعها: نعدّ مشرفيّة و العوالى و تقتلنا المنون بلا- قتال و هى فى ديوانه ص ۲۶۵- ۲۶۸. (۴) تصحفت فى المخطوطة إلى (ذى سرف)، و التصويب من مغنى اللبيب ۱/ ۱۱۸. (۵) تصحفت فى المخطوطة إلى (علا-). (۶) تصحفت فى المخطوطة إلى (عدنانا): و البيت من شواهد مغنى اللبيب ۱/ ۱۱۸ رقم (۱۷۵). باب حرف الثاء (ثم). (۷) هو أبو حيان الأندلسى صاحب تفسير البحر المحيط. (۸) هو أحمد بن إبراهيم أبو جعفر بن الزبير تقدم التعريف به فى ۱/ ۱۳۰. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۴۴ مزية «۱»، و حكى قولين فى العام المذكور: هل يتناول الخاص المعطوف عليه، أو لا «۲» يتناوله؟ فعلى القول الأول يكون «۳» [هذا نظير مسألة: «نعم الرجل زيد» على المشهور فيه؛ و هو الظاهر من لفظ العام، و على الثانى يكون «۳» عطف الخاص قرينة دالة على إرادة التخصيص فى العام، و أنه لم يتناوله، و هو نظير بحث الاستثناء فى نحو قولك: «قام القوم إلا زيدا» «۵» [من أن «زيدا»] «۵» لم يدخل فى القوم، و قد يتقوى هذا بقوله: يا حبّ «۷» ليلى لا تغيّر و ازدد و انم كما ينمو الخضاب فى اليد «۸» و إن كان هذا ليس من العطف العام. و قد أشار الزمخشرى «۹» إلى القولين فى سورة الشعراء. فى قوله: فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ* وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ (الشعراء: ۱۴۷- ۱۴۸). ۲/ ۴۶۶ و قد يقال: آية الشعراء إنما جاز فيها الاحتمالان «۱۰» من جهة أن لفظ «جنات» وقع بلفظ التنكير، و لم يعم الجنس؛ و أما الآية [السابقة] «۱۱» فالإضافة تعمّ. و [لذلك «۱۲» لا- ينبغى أن يجعل من هذا قوله تعالى: فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ (الرحمن: ۶۸) أما على قول أبى حنيفة و محمد فواضح، لأنهما يقولان: إن النخل و الرمان ليسا بفاكهة، و أما على قول أبى يوسف فقوله: «فاكهة» مطلق و ليس بعام. و من أمثلته قوله تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى (البقرة: ۲۳۸)، على القول بأنها إحدى «۱۳» الصلوات الخمس.

(_____ ۱) تصحفت فى المخطوطة إلى (و أمر به). (۲) فى المخطوطة (لم). (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۵) سقط من المخطوطة. (۷) فى المخطوطة (يا صاحب). (۸) البيت من شواهد ابن منظور فى لسان العرب ۱۵/ ۳۴۲. مادة (نمى). (۹) الكشاف ۳/ ۱۲۲- ۱۲۳. (۱۰) فى المخطوطة (الاحتمالات). (۱۱) ليست فى المخطوطة. (۱۲) ساقطة من المطبوعة. (۱۳) فى المخطوطة (أحد). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۴۵ قلنا «۱»: إن المراد غيرها كالوتر و الضحى و العيد «۲»، فليس من هذا الباب. و قوله [تعالى «۳»: وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ (الأعراف: ۱۷۰)، مع أن التمسك بالكتاب يشمل كلّ عبادة، و منها الصلاة، لكن خصها بالذكر إظهارا لمرتبتها لكونها عماد الدين. و قوله [تعالى «۳»: مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ «۵» (البقرة: ۹۸)، فإن عداوة اللّه راجعة إلى عداوة حزبه، فيكون جبريل كالمذكور أربع مرات، فإنه اندرج تحت عموم ملائكته، و تحت عموم رسله، ثم عموم حزبه، ثم خصوصه بالتنصيص عليه. و يجوز أن يكون عومل معاملة العدد، فيكون الذّكر ثلاثا، و ذكرهما بعد الملائكة- مع كونهما من الجنس- دليل على قصد التنويه بشرفهما. على أن التفصيل إن كان بسب الإفراد فقد ۲/ ۴۶۷ عدل «۶» للملائكة مثله بسبب الإضافة، و قد يلحظ

شرفهما على غيرهما. و أيضا فالخلاف السابق فى أنّ ذكر بعض أفراد العام [۱۵۳/ أ] بعد العام؛ هل يدل على أنه لم يدخل فى العامّ فرارا من التكرار أو يدخل؟ و فائدته التوكيد، و [قد] «۷» حكاه الروياني «۸» فى «البحر» من كتاب الوصية. و خرّج عليه ما إذا أوصى لزيد بدينار و بثلث ماله للفقراء، و زيد فقير، فهل يجمع له بين ما أوصى لديه «۹» و بين شيء من الثلث على ما أراد الوصيّ؟ وجهان، و الأصح أنه لا يعطى غير الدينار: لأنّه بالتقدير قطع اجتهاد الوصيّ.

(۱) فى المخطوطة (فإن قلنا). (۲) فى المخطوطة (أو العيد). (۳) ليست فى المخطوطة. (۵) الآية فى المطبوعة (قل من كان ...) و فى المخطوطة ضرب على لفظة (قل) و هو الصواب الموافق للقرآن الكريم. (۶) فى المخطوطة (عدد). (۷) ساقطة من المطبوعة. (۸) هو عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد أبو المحاسن الروياني ولد سنة ۴۱۵ ه الفقيه الشافعى، من رءوس الأفاضل فى أيامه مذهبا و أصولا و خلافا سمع عبد الفاخر بن محمد الفارسى و تفقه على أبى عبد اللّه الكازونى على مذهب الشافعى، و كان له الجاه العظيم و الحرمة الوافرة، من مصنفاته «بحر المذهب» و «الكافى» و «حلية المؤمن» و غيرها مات شهيدا قتله الملاحدة سنة ۵۰۲ ه (ابن خلكان، وفيات الأعيان ۳/ ۱۹۸). و كتابه «بحر المذهب فى الفروع» ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون ۱/ ۲۲۶. و قال: «هو بحر كاسمه». (۹) فى المخطوطة (له). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۴۶ قلت: و القول بعدم دخوله تحت اللفظ هو قول أبى على الفارسيّ و تلميذه ابن جنى، و على هذا القول فلا «۱» يحسن عدّ هذه الآية من هذا النوع. و أيضا فإذا اجتمع فى الكلام معطوفان «۲»: هل يجعل الآخر معطوفا على الأول؟ أو على ما يليه؟ وقع فى كلام الزمخشرى فى مواضع من الكشاف تجويز الأمرين. فذكر «۳» فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ (الأنعام: ۹۵)، أن «مخرجا» معطوف على فالِقُ لا- على يُخْرِجُ، فرارا من عطف الاسم على الفعل، و خالفه ابن مالك و أوّله. و ذكر «۴» أيضا فى قوله تعالى: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ (البقرة: ۲۱۰)، على هذه القراءة «۵» أنه معطوف على اللَّهُ لأن قضاءه قديم. و ذكر «۶» أيضا فى قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً (النساء: ۱)، حاصله أن قوله: يا أَيُّهَا النَّاسُ إذا أريد به العموم كان قوله: وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها عطفا على مقدر؛ أى أنشأها و أوجدها، وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً، يعنى خلقكم من نفس هذه صفتها. و إن أريد به المخاطبون بمكة كان قوله: وَ خَلَقَ عطفا على خَلَقَكُمْ، و موجب ذلك الفرار «۷» من التكرار. و على هذا فيجوز أن يكون «جبريل» معطوفا على لفظ الجلالة، فلا تكون الآية من هذا النوع. و لو سلمنا بعطفه على «رسله» فكذلك؛ لكن الظاهر أن المراد بالرسل من بنى آدم لعطفهم على الملائكة، فليسوا منه. و فى الآية سؤالان:

(۱) فى المخطوطة (فلا خلاف يحسن). (۲) فى المخطوطة (معطوفات). (۳) الكشاف ۲/ ۲۸. بتصرف. (۴) الكشاف ۱/ ۱۲۷- ۱۲۸. (۵) أى قراءة رفع الملائكة و هى قراءة الجمهور و قرأ أبو جعفر بالجر عطفا على الغمام أو ظلل (إتحاف فضلاء البشر ص ۱۵۶). (۶) الكشاف ۱/ ۲۴۱. (۷) فى المخطوطة (القرر). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۴۷ أحدهما: لم خصّ جبريل و ميكائيل بالذكر؟ الثانى: لم قدّم جبريل عليه؟ و الجواب عن الأول أنه سبحانه و تعالى خصّهما بالحياة، فجبريل بالوحى الذى هو حياة القلوب، و ميكائيل بالرزق الذى هو حياة الأبدان، و لأنهما كانا سبب النزول فى تصريح اليهود بعداوتهما. و [عن «۱» الثانى: أن حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان؛ و من ثم قيل: عليك بالنفس فاستكمل «۲» فضائلها فأنت بالنّفس لا بالجسم إنسان ۲/ ۴۶۹ و منه قوله تعالى: فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ (الرحمن: ۶۸)، و غلّط بعضهم من عدّ هذه الآية من هذا النوع، من جهة أن «فاكهة» نكرة فى سياق الإثبات فلا عموم لها. و هو غلط لأمرين: أحدهما: أنها فى سياق الإثبات، و هو مقتضى العموم؛ كما ذكره القاضى أبو الطيب الطبرىّ «۳». و الثانى: أنه ليس المراد بالخاص و العام هاهنا المصطلح عليه فى الأصول، «۴» بل كلّ ما كان الأول فيه شاملا للثانى «۴». و هذا الجواب أحسن من الأول، لعمومه بالنسبة إلى كل مجموع يشتمل على متعدّد. و لما لمح أبو حنيفة معنى العطف و هو المغايرة لم يحنّث الحالف على أكل

الفاكهة بأكل الرمان. و منه قوله تعالى: وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ [۱۵۳/ ب إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (آل عمران: ۱۰۴)، إذ الأمر و النهى من جملة الدعاء إلى الخير.

(۱) ساقطة من المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (فاستعمل). (۳) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر. أبو الطيب الطبرى القاضى الفقيه الشافعى ولد سنة ۳۴۸ ه كان ثقة صادقا دينا ورعا عارفا بأصول الفقه و فروعه محققا فى علمه. تفقه على أبى على الزجاجى و أدرك أبا على الماسرجسى فصحبه و تفقه عليه و حضر مجلس الشيخ أبا حامد الأسفراينى من مصنفاته «شرح مختصر المزنى» و صنف فى الأصول و المذهب و الخلاف و الجدل. ت ۴۵۰ ه (ابن خلكان، وفيات الأعيان ۲/ ۵۱۲). (۴) عبارة المخطوطة (بل كل ما كان فى الأول فيه شامل للثانى). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۴۸ و قوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ آمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ، (محمد: ۲) و القصد تفضيل النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و ما نزّل عليه؛ إذ لا يتم الإيمان إلا به. و قوله: وَ لَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَ مَشارِبُ (يس: ۷۳). و قوله: وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا (البقرة: ۹۶)، ففائدة قوله: وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا مع دخولهم فى عموم الناس، أنّ حرصهم على الحياة أشدّ، لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث. و قوله: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (البقرة: ۳)، فهذا عام، وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (البقرة: ۴)، و إن كان الإيمان بالغيب يشملها، و لكن خصها لإنكار المشركين لها فى قولهم ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا (الجاثية: ۲۴)، فكان فى تخصيصهم بذلك مدح لهم. و قوله: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (العلق: ۱)، فعمّ بقوله: خَلَقَ جميع مخلوقاته، ثم خصّ فقال: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (العلق: ۲). و قوله تعالى: إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ (الأنعام: ۱۴۵)، فإنه عطف «اللحم» على «الميتة» مع دخوله فى عموم الميتة، لأن الميتة كلّ ما ليس له ذكاة شرعية، و القصد به التنبيه على شدة التحريم فيه.

(تنبيه)

(تنبيه) ظاهر كلام الكثيرين تخصيص هذا العطف بالواو، و قد سبق عن ابن مالك و آخرين مجيئه فى «أو» فى قوله [تعالى : وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ (النساء: ۱۱۰) «۱» [مع أن ظلم ۲/ ۴۷۱ النفس من عمل السوء؛ فقيل هو بمعنى الواو، و المعنى يظلم نفسه «۱» بذلك السوء حيث دسّاها بالمعصية. و قوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ (الأنعام: ۹۳)؛ فإن الوحى مخصوص بمزيد قبح من بين أنواع الافتراء، خصّ بالذكر تنبيها على مزيد العقاب فيه و الإثم.

(۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۴۹ و قوله تعالى: وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ (آل عمران: ۱۳۵)، مع أن فعل الفاحشة داخل فيه، قيل: أريد به نوع من أنواع ظلم النفس؛ و هو الربا، أو كل كبيرة، فخص بهذا الاسم تنبيها على زيادة قبحه؛ و أريد بظلم النفس ما وراء ذلك من الذنوب.

القسم السادس ذكر العام بعد الخاص

القسم السادس ذكر العام بعد الخاص و هذا أنكر بعض الناس وجوده؛ و ليس بصحيح. و الفائدة فى هذا القسم واضحة، و الاحتمالان المذكوران فى العامّ قبله ثابتان هنا أيضا. و منه قوله: إِنَّ صَلاتِي وَ نُسُكِي [وَ مَحْيايَ «۱» (الأنعام: ۱۶۲): و النّسك العبادة؛ فهو أعمّ من الصلاة. و قوله: أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (التوبة: ۷۸). و [منه «۱» قوله: وَ لَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (الحجر: ۸۷). و قوله [تعالى «۱»، إخبارا عن نوح: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ (نوح: ۲۸). و قوله: فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ ۲/ ۴۷۲ (التحريم: ۴). و جعل الزمخشرىّ «۴» منه قوله تعالى: وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ (يونس: ۳۱) بعد قوله: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ (يونس: ۳۱). و اعلم أن هذين النوعين يقعان

فى الأفعال و الأسماء «۵»؛ لكن وقوعهما فى الأفعال لا يأتى إلا فى النفى، و أما فى الإثبات فليس من هذا الباب؛ بل من عطف المطلق على المقيّد، أو المقيّد على المطلق.

(۱) ليست فى المطبوعة. (۴) الكشاف ۲/ ۱۸۹. (۵) فى المخطوطة (الأسماء و الأفعال). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۰

القسم السابع عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه فى المعنى، و القصد منه التأكيد

اشارة

القسم السابع عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه فى المعنى، و القصد منه التأكيد و هذا إنما يجيء عند اختلاف اللفظ؛ و إنما يحسن [۱۵۴/ أ] بالواو، و يكون فى الجمل كقوله: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (القيامة: ۳۴، ۳۵). و يكثر فى المفردات كقوله: فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا (آل عمران: ۱۴۶). و قوله: فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً (طه: ۱۱۲)، لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى (طه: ۷۷). و قوله: ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (المدثر: ۲۲). و قوله: إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ (يوسف: ۸۶). و قوله: لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ (المدثر: ۲۸). و قوله وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ (النساء: ۱۷۱). و قوله: لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً (طه: ۱۰۷)؛ قال الخليل: العوج و الأمت بمعنى واحد. و قيل: الأمت أن يغلظ مكان و يرقّ مكان، قاله ابن فارس «۱» فى «المقاييس» «۲»، و هو راجع لما قاله الخليل. و قوله: أَنَّا لا نَسْمَعُ «۳» سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ (الزخرف: ۸۰). و قوله: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً (المائدة: ۴۸). و قوله: إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً (البقرة: ۱۷۱).

(۱) «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس طبع بتحقيق عبد السلام محمد هارون فى القاهرة بدار إحياء الكتب العربية عام ۱۳۶۶- ۱۳۷۱ ه/ ۱۹۴۶- ۱۹۵۲ م، و أعيد طبعه عام ۱۳۸۹- ۱۳۹۲ ه/ ۱۹۶۹- ۱۹۷۲ م. و عنه صورة بالأوفست بدار الكتب العلمية قم إيران (ذخائر التراث العربى ۱/ ۲۰۰). و انظر قوله فى ۱/ ۱۳۷ من الكتاب. مادة (أمت). (۲) تصحفت إلى (المقابلين). (۳) تصحفت فى المخطوطة إلى (نعلم). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۱ و فرّق الراغب «۱» بين النداء، و الدعاء «۲» بأن النداء، قد يقال إذا قيل «يا» أو «أيا» و نحوه من غير أن يضمّ «۳» إليه الاسم، و الدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم؛ نحو: «يا فلان». و قوله: إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا (الأحزاب: ۶۷). و قوله: وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ (الأحزاب: ۱۲). و قوله: لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ (فاطر: ۳۵)، فإن «نصب» مثل ۲/ ۴۷۴ «لغب» وزنا و معنى و مصدرا. و قوله: أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ (البقرة: ۱۵۷)، على قول من فسّر الصلاة بالرحمة، و الأحسن خلافه، و أن الصلاة للاعتناء و إظهار الشرف، كما قاله الغزالىّ «۴» و غيره، و هو قدر مشترك بين الرحمة و الدعاء و الاستغفار، و على هذا فهو من عطف المتغايرين «۵». و قال الزمخشرىّ «۶» فى قوله [تعالى «۷»: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ (البقرة: ۴): إنّهم هم المذكورون أولا؛ و هو من عطف الصفة على الصفة. «۸» [و اعترض عليه بأن شرط عطف الصفة على الصفة] «۸» تغاير الصفتين فى المعنى، تقول: «جاء زيد العالم و الجواد و الشجاع» أى الجامع لهذه المعانى الثلاثة المتغايرة، و لا تقول: «زيد العالم و العالم» فإنه تكرار؛ و الآية من ذلك؛ لأن «۱۰» المعطوف عليه قوله [تعالى «۱۱»: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (البقرة: ۳)، و المعطوف قوله تعالى: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ (البقرة: ۴)، و المنزل هو الغيب بعينه.

(۱) انظر مفردات القرآن ص ۱۶۹. مادة (دعا). (۲) فى المخطوطة (الدعاء و النداء). (۳) فى المخطوطة (تضم). (۴) إحياء علوم الدين ۱/ ۱۵۹ و ما بعدها. (۵) فى المخطوطة (المتغاير). (۶) الكشاف ۱/ ۲۳. (۷) ليست فى المخطوطة. (۸) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۱۰) فى المخطوطة (إن). (۱۱) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۲ و يحتمل أن يقال: المعطوف عليه مطلق الغيب، و المعطوف

غيب خاصّ، فيكون من عطف الخاصّ على العام. و جعل منه بعضهم قوله [تعالى «۱»: وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ ۲ / ۴۷۵ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ (فاطر: ۲۵)، فإن المراد بالكتاب المنير هو الزّبور، و نقله عن إجماع المفسرين لما تضمنه من النعت، كما تعطف النعوت بعضها على بعض؛ و هذا يردّه تكرار الباء، فإنه يشعر بالفصل، لأن فائدة تكرار العامل بعد حرف العطف إشعار بقوة الفصل من الأول و الثانى، و عدم التجوز فى عطف الشىء على نفسه. و الذى يظهر أنه للتأسيس «۲»، و بيانه وجوه: أحدها أن قوله تعالى: جاءَتْهُمْ يعود الضمير فيه على المكذبين للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و على «۳» الذين من قبلهم، فيكون النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم داخلا فى المرسلين المذكورين، و الكتاب المنير هو القرآن، و قوله [تعالى «۴»: ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا (فاطر: ۲۶)، معطوف على قوله [تعالى «۴»: فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (فاطر: ۲۵) أى كذبوا ثم أخذتهم «۶» بقيام الحجة عليهم بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ (فاطر: ۲۵). و جاء تقديم قيام الحجة عليهم قبل العطف اعتراضا للاهتمام به، و هو من أدق وجوه البلاغة. و مثله فى آية آل عمران قوله «۷» [تعالى «۸»: [وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ «۹» فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ الآية (۱۰) (آل عمران: ۱۸۴)، و قوله: جاؤُ انصراف «۱۰» من الخطاب إلى الغيبة، كأنه قال: «جاء هؤلاء المذكورون»، فيكون النبى صلّى اللّه عليه و سلّم داخلا فى الضمير؛ و هو فى موضع «جئتم بالبينات» فأقام الإخبار [۱۵۴/ ب عن الغائب مقام المخاطب، كقوله [تعالى «۱۱»: وَ جَرَيْنَ «۱۲» بِهِمْ

(_____ ۱) ليست فى المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (للمتأملين). (۳) فى المخطوطة (عن). (۴) ليست فى المخطوطة. (۶) فى المخطوطة (أخذت). (۷) فى المخطوطة (و قوله). (۸) ليست فى المخطوطة. (۹) ليست فى المطبوعة. (۱۰) تصحفت فى المخطوطة إلى (أنصارفا). (۱۱) ليست فى المخطوطة. (۱۲) فى المطبوعة (جرين). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۳ (يونس: ۲۲)، و فيه وجه من التعجب؛ كأنّ المخاطب إذا استعظم الأمر رجع إلى الغيبة ليعم الإخبار به جميع الناس، و هذا موجود فى الآيتين. و الثانى: أن يكون على حذف مضاف؛ كأنه قيل: «الكتاب المنير» يعنى القرآن، فيكون مثل قوله: وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ (الصف: ۶). ۲/ ۴۷۶ و هذا وجه حسن.

تنبيهات «۱»

تنبيهات «۱» الأول: أنكر المبرّد هذا النوع، و منع «۲» عطف الشىء على مثله؛ إذ لا فائدة فيه، و أوّل ما سبق باختلاف المعنيين؛ و لعله ممن ينكر أصل الترادف فى اللغة كالعسكرى «۳» و غيره. الثانى: ما ذكرناه من تخصيص هذا النوع بالواو هو المشهور، و قال ابن مالك: و قد أنيبت «أو» عنها، كما فى قوله تعالى: نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً (النساء: ۱۲۸)، وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً (النساء: ۱۱۲). قال شيخنا: «و فيه نظر؛ لإمكان أن يراد بالخطيئة ما وقع خطأ، و بالإثم ما وقع عمدا. قلت: و يدلّ له قوله [تعالى «۴» قبل ذلك: وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّما يَكْسِبُهُ عَلى نَفْسِهِ (النساء: ۱۱۱). و جعل «۵» منه بعضهم قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «اللّهم إنى أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك (_____ ۱) فى المخطوطة (تنبيهان). (۲) فى المخطوطة (مع). (۳) هو الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكرى الفاضل الكامل صاحب التصانيف الأدبية صحب خاله أبا أحمد- و يعرف بالعسكرى أيضا- و أخذ عنه فأكثر، و أخذ عن غيره و كان تاجرا كانت له نفس طاهرة ذكية، و تصانيفه فى غاية الجودة فمن تصانيفه «الصناعتين» فى النظم و النشر و «الفروق» و «النظائر» و غيرها عاش إلى بعد سنة ۴۰۰ ه (القفطى، إنباه الرواة ۴/ ۱۸۹) و انظر قوله فى كتابه الفروق اللغوية ص ۱۲، فى الباب الأول فى الإبانة عن كون اختلاف العبارات موجبا لاختلاف المعانى فى كل لغة. (۴) ليست فى المخطوطة. (۵) تصحفت فى المخطوطة إلى (فإن قيل). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۴ أو أنزلته فى كتابك، أو علّمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك «۱»». قلت: ما ذكره ابن مالك قد سبقه به «۲» ثعلب، فيما حكاه ابن سيده «۳» فى «المحكم»، فقال ثعلب فى قوله تعالى: عُذْراً أَوْ نُذْراً (المرسلات: ۶) [فقال «۴»: العذر و النذر واحد. قال اللّحيانى «۵»: و بعضهم يثقّل «۶». و عن الفراء: أنه يجرى فى العطف بثم، و جعل منه قوله: وَ يا قَوْمِ

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ (هود: ۵۲)، قال: معناه: و توبوا إليه، لأن التوبة الاستغفار. و ذكر بعضهم أنه قد تجرد عن العطف، و جعل منه قوله تعالى: وَ غَرابِيبُ سُودٌ (فاطر: ۲۷) و الغرابيب هى السود سُبُلًا فِجاجاً «۷» (نوح: ۲۰)، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (الفاتحة: ۳)، و غير ذلك. الثالث: مما يدفع و هم التكرار فى مثل هذا النوع، أن يعتقد أن مجموع المترادفين

(_____ ۱) الحديث ورد من طريقين: الأولى عن ابن مسعود رضى اللّه عنه أخرجه أحمد فى المسند ۱/ ۳۹۱ و ۴۵۲، و أبو يعلى فى المسند ۹/ ۱۹۸، الحديث ۳۳۱/ ۵۲۹۷، مسند عبد الله بن مسعود و ابن السنى فى عمل اليوم و الليلة ص ۱۳۳ الحديث (۳۴۲)، و ابن حبان ذكره ابن بلبان فى الإحسان ۲/ ۱۵۹، ذكر الأمر لمن أصابه حزن ... الحديث (۹۶۸). و الطبرانى فى كتاب الدعاء، دعاء يذهب الهم و الحزن. و أخرجه البزار (عزاه له الهيثمى فى مجمع الزوائد ۱۰/ ۱۳۸ و ۱۸۶). و الحاكم فى المستدرك ۱/ ۵۰۹. و الثانية عن أبى موسى الأشعرى أخرجها ابن السنى فى عمل اليوم و الليلة ص ۱۳۳ (۳۴۱) باب ما يقول إذا أصابه هم أو حزن. (۲) فى المخطوطة (إليه). (۳) هو على بن إسماعيل الضرير تقدم التعريف به و بكتابه فى ۱/ ۱۵۹. (۴) ساقطة من المطبوعة. (۵) هو على بن المبارك الأحمر اللّحيانى النحوى صاحب على بن حمزة الكسائى كان مؤدب الأمين. و هو من اشتهر بالتقدم فى النحو و اتساع الحفظ و جرت بينه و بين سيبويه مناظرة لما قدم بغداد، قال أبو العباس أحمد بن يحيى: كان على بن المبارك يحفظ أربعين ألف بيت شاهد فى النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد و أبيات الغريب ت ۱۹۴ ه (القفطى إنباه الرواة ۲/ ۳۱۳). (۶) فى المخطوطة (ينقل). (۷) تصحفت فى المخطوطة إلى (فجاجا سبلا). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۵ يحصّل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فإن التركيب يحدث معنى زائدا؛ و إذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى، فكذلك كثرة الألفاظ.

القسم الثامن الإيضاح بعد الإبهام

القسم الثامن الإيضاح بعد الإبهام ليرى المعنى فى صورتين، أو ليكون بيانه بعد التشوف إليه، لأنّه يكون ألذّ للنفس و أشرف «۱» عندها، و أقوى لحفظها و ذكرها، كقوله تعالى: وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (الحجر: ۶۶). و قوله [تعالى «۲»: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (الإخلاص: ۱) فإنّ وضع الضمير موضع ۲/ ۴۷۸ الظاهر معناه البيان أو الحديث، أو الأمر للّه أحد «۳» مكفوا بها ثم فسّر «۴»، و كان أوقع فى النفس من الإتيان به مفسرا من أول الأمر، و لذلك وجب تقديمه. و تفيد به الجملة المراد، تعظيما له «۵». و سيأتى عكسه فى وضع الظاهر موضع المضمر. و مثله التفصيل بعد الإجمال، كقوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ (التوبة: ۳۶). و عكسه كقوله تعالى: ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ (البقرة: ۱۹۶). و قوله [تعالى «۶»: وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (الأعراف: ۱۴۲)، و أعاد قوله: أَرْبَعِينَ و إن كان معلوما من «الثلاثين» و «العشر» أنها أربعون لنفى اللّبس؛ لأن العشر لما أتت بعد الثلاثين، التى هى نصّ فى (_____ ۱) فى المخطوطة (و أعرف). (۲) ليست فى المخطوطة. (۳) عبارة المخطوطة (فكفوا فيها ثم فسروا). (۵) فى المخطوطة (به). (۶) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۶ المواعدة دخلها الاحتمال أن تكون من غير المواعدة، فأعاد ذكر «الأربعين» نفيا لهذا الاحتمال، و ليعلم أن جميع العدد للمواعدة. و هكذا قوله [تعالى «۱»: فَصِيامُ ثَلاثَةِ [۱۵۵/ أ] أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ (البقرة: ۱۹۶) أعاد ذكر العشرة، لما كانت الواو تجىء فى بعض المواضع للإباحة، و قوله: كامِلَةٌ تحقيق لذلك و تأكيد له. فإن قلت: فإذا كان زمن المواعدة أربعين فلم كانت «ثلاثين» ثم عشرا؟ أجاب ابن عسكر «۲» فى «التكميل و الإتمام» «۳» بأن العشر إنما فصل من أولئك؛ ليتحدّد قرب انقضاء المواعدة «۴»، و يكون فيه متأهبا مجتمع الرأى، حاضر الذهن؛ لأنه لو ذكر «الأربعين» أولا لكانت متساوية؛ فإذا جعل العشر فيها إتماما لها استشعرت النفس قرب التمام، و تجدّد بذلك عزم لم يتقدم. قال: و هذا شبيه بالتلوم الذى

جعله الفقهاء فى الآجال المضروبة فى الأحكام، و يفصلونه من أيام الأجل؛ و لا يجعلونها شيئا واحدا؛ و لعلهم استنبطوه من هذا. فإن قلت: فلم ذكر فى هذه السورة- أعنى الأعراف- الثلاثين ثم العشر، و قال فى البقرة: وَ إِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (البقرة: ۵۱) و لم يفصل العشر منها؟ و الجواب، و اللّه أعلم: أنه قصد فى الأعراف ذكر صفة المواعدة و الإخبار عن كيفية وقوعها فذكر على صفتها، و فى البقرة إنما ذكر الامتنان «۵» على بنى إسرائيل بما أنعم به عليهم، فذكر نعمه عليهم مجملة، فقال: وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ (البقرة: ۵۰)، وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ «۶» مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ (البقرة: ۴۹).

(۱) ليست فى المخطوطة. (۲) تصحفت فى المطبوعة إلى عساكر و التصويب من المخطوطة. و هو محمد بن على بن الخضر الغسانى تقدم التعريف به و بكتابه فى ۱/ ۲۴۲. (۳) تصحفت فى المطبوعة إلى (الإفهام. (۴) فى المخطوطة (العدة). (۵) فى المخطوطة (الأمثال). (۶) تصحفت فى المطبوعة إلى (أنجيناكم). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۷ و اعلم أنه يخرج لنا مما سبق جوابان فى ذكر العشرة بعد الثلاثة و السبعة؛ إما الإجمال بعد التفصيل، و إما رفع الالتباس، و يضاف إلى ذلك أجوبة: ثالثها: أنه قصد رفع ما قد يهجس فى النفوس، من أنّ المتمتع إنما عليه صوم سبعة ۲/ ۴۸۰ أيام لا أكثر «۱»، ثلاثة منها فى الحج، و يكمل سبعا إذا رجع. رابعها: أن قاعدة الشريعة أن الجنسين فى الكفارة لا يجب على المكفّر الجمع بينهما، فلا يلزم الحالف أن يطعم المساكين و يكسوهم؛ و لا المظاهر العتق و الصوم؛ فلما اختلف محلّ هذين الصومين فكانت ثلاثة فى الحج و سبعة إذا رجع، صارا باختلاف المحلّين كالجنسين، و الجنسان لا يجمع بينهما. و أفادت هذه الزيادة- و هى قوله: تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ (البقرة: ۱۹۶)- رفع ما قد يهجس فى النفوس «۲»، من أنه إنما «۳» عليه أحد النوعين: إما الثلاث و إما السبع. الخامس: أن المقصود ذكر كمال لا ذكر العشرة، فليست العشرة مقصودة بالذات، لأنها لم تذكر إلا للإعلام بأن التفصيل المتقدّم عشرة، لأن ذلك من المعلوم بالضرورة، و إنما ذكرت لتوصف بالكمال الذى هو مطلوب فى «۴» القصة. السادس: أن فى الكلام تقديما و تأخيرا، و التقدير: فصيام عشرة أيام: ثلاثة فى الحج، و سبعة إذا رجعتم؛ و هذا و إن كان خلاف الأصل، لكنّ الإشكال ألجأنا إليه. السابع: أن الكفارات فى الغالب إنما تجب متتابعة ككفارات الجنايات، و لما فصل هاهنا بين صوم هذه الكفارة بالإفطار قبل صومها بذكر الفدية «۵» ليعلم «۶» أنها و إنما كانت منفصلة فهى كالمتصلة. فإن قلت: فكفارة اليمين لا تجب متتابعة، و من جنس هذه الكفارة ما يجب على

(۱) فى المخطوطة (و الأكثر). (۲) فى المخطوطة (النفس). (۳) فى المخطوطة (أن) بدل (أنه إنما). (۴) فى المخطوطة (من). (۵) فى المخطوطة (العد). (۶) عبارة المخطوطة (يعلم). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۸ ۲/ ۴۸۱ المحرم إذا حلق ثلاث شعرات، و من عجز عن الفدية فإنه يصوم ثلاثة أيام و لا يشترط التتابع. قلت: هى فى حكم المتتابعة بالنسبة إلى الثواب؛ إلا أن الشرع خفّف بالتفريق. ثامنها «۱»: أن السبع قد تذكر و المراد به الكثرة لا العدد؛ و الذى «۲» فوق الستة «۳» و دون الثمانية، و روى أبو عمرو بن العلاء و ابن الأعرابى عن العرب: سبّع اللّه لك الأجر، أى أكثر ذلك، يريدون التضعيف. و قال الأزهرى «۴» فى قوله تعالى: إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً (التوبة: ۸۰): «هو جمع السبع، الذى يستعمل «۵» [۱۵۵/ ب للكثرة، و إذا كان كذلك فاحتمل أن يتوهم أن المراد بالسبع ما هو أكثر من السبع؛ و لفظها معطوف على الثلاثة بآلة الجمع، فيفضى إلى الزيادة فى الكفارة على العدد المشروع، فيجب حينئذ رفع [هذا] «۶» الاحتمال بذكر الفذلكة؛ و للعرب مستند قوىّ فى إطلاق السبع و السبعة، و هى تريد الكثرة ليس هذا موضع ذكره». تاسعها «۷»: أن الثلاثة لما عطف عليها السبعة احتمل أن يأتى بعدها ثلاثة أو غيرها من الأعداء، فقيّد بالعشرة ليعلم أن المراد كمل، و قطع الزيادة المفضية للتسلسل. عاشرها «۸»: أن السبعة المذكورة عقب الثلاثة يحتمل أن تكون الثلاثة داخلة فيها، كما فى قوله: وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ (فصلت: ۱۰)، أى مع اليومين اللذين خلق الأرض فيهما، فلا بدّ من اعتقاد هذا التأويل ليندفع ظاهر التناقض، فجاء التقييد بالعشرة لرفع توهم التداخل. و هذا الجواب أشار إليه الزمخشرى «۹»؛ و نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام

(۱) فى المخطوطة (الثامن). (۲) فى

المخطوطة (الذى). (۳) فى المخطوطة (السبعة). (۴) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر تقدم التعريف به فى ۱/ ۳۰۹. (۵) فى المخطوطة (التى تستعمل). (۶) ساقطة من المخطوطة. (۷) فى المخطوطة (التاسع). (۸) فى المخطوطة (العاشر). (۹) الكشاف ۳/ ۳۸۴.

البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۵۹ ترجيحه؛ و ردّه «۱» ابن أبى الإصبع «۲» لأن «۳» احتمال التداخل لا يظن إلا بعددين منفصلين لم يأت بهما جملة، فلو اقتصر على التفصيل احتمل ذلك؛ فالتقييد مانع من هذا الاحتمال. و هذا أعجب منه، فإن مجىء الجملة رافع لذلك الاحتمال. الحادى عشر: أن حروف السبعة و التسعة مشتبهة، فأزيل الإشكال بقوله: تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ (البقرة: ۱۹۶) لئلّا يقرءوها «تسعة»، فيصير العدد اثنى عشر. و نظير هذا قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «إن للّه تسعة و تسعين اسما، مائة إلا واحدا» «۴». فإن «۵» التأكيد بمائة إلا واحدا «۶»، لإزالة إلباس التسعة و التسعين بالسبعة و السبعين لكن مثل هذا مأمون فى القرآن؛ لأن اللّه حفظه.

القسم التاسع وضع الظاهر موضع المضمر

اشارة

القسم التاسع وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التقرير؛ و العجب أن البيانيين لم يذكروه فى أقسام الإطناب. و منه بيت «الكتاب «۷»:

إذا الوحش ضمّ الوحش فى ظللاتها «۸» سواقط من حرّ و قد كان أظهرا «۹».

(_____ ۱) فى المخطوطة (و رددة). (۲) هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر الأديب أبو محمد زكى الدين ابن أبى الأصبع العدوانى المصرى شاعر مشهور إمام فى الأدب له تصانيف حسنة فى الأدب و شعره رائق من تصانيفه «بدائع القرآن»، و «تحرير التحبير» فى علم البديع و «خواطر السوانح فى أسرار الفواتح» و غير ذلك ت ۶۵۴ ه بمصر (الكتبى، فوات الوفيات ۲/ ۳۶۳). (۳) فى المطبوعة (بأن). (۴) متفق عليه من حديث أبى هريرة، أخرجه البخارى فى الصحيح ۱۳/ ۳۷۷، كتاب التوحيد (۹۷)، باب إن للّه مائة اسم إلا ... (۱۲)، الحديث (۷۳۹۲). و أخرجه مسلم فى الصحيح ۴/ ۲۰۶۳، كتاب الذكر ... (۴۸)، باب فى أسماء اللّه تعالى ... (۲)، الحديث (۶/ ۲۶۷۷). (۵) تصحفت فى المطبوعة إلى (فائدة). (۶) تصحفت فى المخطوطة إلى (واحد). (۷) كتاب سيبويه ۱/ ۶۳. باب ما أجرى مجرى ليس فى بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله و البيت للنابغة الجعدى انظر ديوانه ص ۷۴. (طبعة المكتب الإسلامى). (۸) فى المخطوطة (طلالتها). (۹) فى المخطوطة (أظهر). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۰ و لو أتى على وجهه لقال: «إذا الوحش ضمّها». و إنما يسأل عن حكمته إذا وقع فى الجملة الواحدة، فإن كان «۱» فى جملتين مستقلتين كالبيت سهل الأمر، لكنّ الجملتين فيه كالجملة الواحدة، لأن الرافع للوحش الأول فعل محذوف كما يقول «۲» البصريون، و الفعل المذكور ساد «۳» مسدّ الفعل المحذوف؛ حتى كأنه هو؛ و لهذا لا يجتمعان، و إن قدر رفع الوحش بالابتداء فالكلام جملة واحدة. و يسهل عند اختلاف اللفظين كقوله: إذا المرء لم يغش الكريهة أو شكت حبال الهوينى بالفتى أن تقطّعا «۴». فاختلاف لفظين ظاهرين «۵» أشبها لفظى الظاهر و المضمر فى اختلاف اللفظ؛ و عليه قوله تعالى: وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ (التوبة: ۶۱) ثم قال: وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ (التوبة: ۶۱). و لم يقل: «يؤذونه» مع ما فى ذلك من التعظيم، فالجمع بين الوصفين، كقوله فى الحديث: «نبيك الذى أرسلت «۶»»، و قوله: أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ... (البقرة: ۱۰۶) الآية؛ فإنه قد تكرّر اسم اللّه ظاهرا فى هذه الجمل الثلاث، و لم يضمر لدلالته على استقلال كل جملة منها، و أنّها لم تحصل «۷» مرتبطة ببعضها ارتباط ما يحتاج فيه إلى إضمار. و قوله: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ (النساء: ۲/ ۷۶)، و فيه «۸» دلالة على أن الطاغوت هو الشيطان، و حسن ذلك هنا تنبيها على تفسيره.

(_____ ۱) فى المخطوطة (كانا). (۲) فى المخطوطة (تقول). (۳) فى المخطوطة (شاد مثل). (۴) البيت للكلحبة اليربوعى انظر المفضليات بشرح ابن الانبارى ص ۲۳. (۵) عبارة

المخطوطة (لفظی الظاهرین). (۶) قطعة من حدیث عن البراء بن عازب رضی الله عنه، أخرجه البخاری فی الصحیح ۱/ ۳۵۷، کتاب الوضوء (۴)، باب فضل من بات علی الوضوء (۷۵)، الحدیث (۲۴۷). و أخرجه مسلم فی الصحیح ۴/ ۲۰۸۱، کتاب الذکر و الدعاء ... (۴۸)، باب ما یقول عند النوم و أخذ المضجع (۱۷) الحدیث (۵۶- ۵۷/ ۲۷۱۰). (۷) فی المخطوطة (یحصل). (۸) فی المخطوطة (و منه). البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۱ و قال ابن السیّد «۱»: «إن کان فی جملتین حسن الإظهار و الإضمار؛ لأن کلّ جملة تقوم بنفسها، کقولک: «جاء زید، و زید رجل فاضل» «۲» [و إن شئت قلت: «و هو رجل فاضل»] «۲». و قوله: مِثْلَ ما أُوتِیَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَیْثُ یَجْعَلُ [۱۵۶/ أ] رِسالَتَهُ (الأنعام: ۱۲۴). و إن کان فی جملة واحدة قبح الإظهار؛ و لم یکد یوجد إلا فی الشعر «۴»؛ کقوله: لا أری الموت یسبق الموت شیء نغّص الموت ذا الغنی و الفقیرا «۵» قال: و إذا اقترن بالاسم الثانی حرف الاستفهام بمعنی التعظیم و التعجب کان المناسب الإظهار؛ کقوله [تعالی «۶»: الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ (الحاقة: ۱- ۲) و الْقارِعَةُ* مَا الْقارِعَةُ (القارعة: ۱، ۲)، و الإضمار جائز کقوله تعالی: فَأُمُّهُ هاوِیَةٌ* وَ ما أَدْراکَ ما هِیَهْ (القارعة: ۹، ۱۰). و اعلم أن الأصل فی الأسماء أن تکون ظاهرة، و أصل المحدّث عنه کذلک. و الأصل أنه إذا ذکر ثانیا أن یذکر مضمرا للاستغناء عنه بالظاهر السابق، کما أن الأصل فی الأسماء الإعراب، و فی الأفعال البناء، و إذا جری «۷» المضارع مجری الاسم أعرب، کقوله [تعالی «۸»: فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْکُرُوا لَهُ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (العنکبوت: ۱۷). و قوله [تعالی «۸»: فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَی اللَّهِ إِنَّهُ لا یُحِبُّ الظَّالِمِینَ ۲/ ۴۸۵ (الشوری: ۴۰). و قوله [تعالی «۱۰»: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ کانَ تَوَّاباً (النصر: ۳).

(۱) هو عبد الله بن محمد بن السید البطلیوسی تقدم التعریف به فی ۱/ ۳۴۳. (۲) ما بین الحاصرتین ساقط من المخطوطة. (۴) بعد هذا الموضع زیادة فی المخطوطة کما یلی (کقولک جاء زید) و لا محل لها هنا. (۵) البیت من شواهد سیبویه فی الکتاب ۱/ ۶۲، و نسبه لسواد بن عدی، باب ما أجری مجری لیس فی بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ... (۶) لیست فی المخطوطة. (۷) فی المخطوطة (أجری). (۸) لیست فی المخطوطة. (۱۰) لیست فی المخطوطة. البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۲

و للخروج علی خلاف الأصل [أسباب «۱»

أحدها: قصد التعظیم

أحدها: قصد التعظیم کقوله [تعالی : وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ یُعَلِّمُکُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (البقرة: ۲۸۲). و قوله [تعالی : أُولئِکَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (المجادلة: ۲۲). و قوله [تعالی : وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ (الحشر: ۱۸). و قوله [تعالی «۱»: لکِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّی وَ لا أُشْرِکُ بِرَبِّی أَحَداً (الکهف: ۳۸). فأعاد ذکر الرب «۳» لما فیه من التعظیم و الهضم للخصم. و قوله [تعالی «۱»: اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ (الإخلاص: ۱- ۲). وَ أُفَوِّضُ أَمْرِی إِلَی اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِیرٌ بِالْعِبادِ (غافر: ۴۴). هُوَ اللَّهُ رَبِّی وَ لا أُشْرِکُ بِرَبِّی (الکهف: ۳۸). کُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّکَ وَ ما کانَ عَطاءُ رَبِّکَ مَحْظُوراً (الإسراء: ۲۰). بَلْ کَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَ أَعْتَدْنا لِمَنْ کَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِیراً (الفرقان: ۱۱). وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ کانَ مَشْهُوداً (الإسراء: ۷۸). وَ کَفَّلَها زَکَرِیَّا کُلَّما دَخَلَ عَلَیْها زَکَرِیَّا الْمِحْرابَ (آل عمران: ۳۷). و قوله تعالی: الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ (الحاقة: ۱- ۲)، الْقارِعَةُ مَا الْقارِعَةُ (القارعة: ۱- ۲)، کان القیاس- لو لا «۵» ما أرید به من التعظیم و التفخیم- «الحاقة ما هی». و مثله: فَأَصْحابُ الْمَیْمَنَةِ «۶» [ما أَصْحابُ الْمَیْمَنَةِ* وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ] «۶» (الواقعة: ۸ - ۹) تفخیما لما ینال «۸» الفریقین من جزیل الثواب و ألیم العقاب.

(۱) لیست فی المخطوطة. (۳) تصحفت فی المطبوعة إلی (لرب). (۵) فی المخطوطة (أولا). (۶) ما بین الحاصرتین لیس فی المخطوطة. (۸) فی المخطوطة (شأن).

البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۳ «۱» [و منه قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «قل و من يعص اللّه و رسوله» «۲» فلا يرد، «كان اللّه و رسوله أحب إليه مما سواهما» «۳» لأن المعنى فى نهى الخطيب عن عدم الإفراد احتمال عدم التعظيم و هو سيّئ فى حقه صلّى اللّه عليه و سلّم، و لأن كلام الخطيب فى جملتين فلا بد من إعادته بخلافه فى الآخر] «۱».

الثانى: قصد الإهانة و التحقير

الثانى: قصد الإهانة و التحقير كقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ (النور: ۲۱). [و قوله تعالى «۵»: أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ (المجادلة: ۱۹). و قوله: إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً (الإسراء: ۵۳). و قوله [تعالى «۵»: وَ كَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ ما كَيْدُ فِرْعَوْنَ (غافر: ۳۷). و قول الشاعر: ۲ / ۴۸۷ فما للنّوى لا بارك اللّه فى النّوى و عهد النّوى عند الفراق ذميم (_____۱) ما بين الحاصرتين ليس فى المطبوعة. (۲) قطعة من حديث عن عدى بن حاتم رضى اللّه عنه أخرجه مسلم فى الصحيح ۲/ ۵۹۴ كتاب الجمعة (۷)، باب تخفيف الصلاة و الخطبة (۱۳)، الحديث (۴۸/ ۸۷۰). و فى بيان معنى الحديث ما ذكره النووى فى شرح صحيح مسلم ۶/ ۱۵۹: (قال القاضى و جماعة من العلماء: إنما أنكر عليه لتشريكه فى الضمير المفضى للتسوية، و أمره بالعطف تعظيما لله تعالى بتقديم اسمه كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم فى الحديث الآخر: «لا يقل أحدكم ما شاء اللّه و شاء فلان و لكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان»). و قد تقدم تخريج الحديث مع بعض التفصيل فى ۱/ ۴۹۹، معرفة الوقف و الابتداء. (۳) قطعة من حديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أخرجه البخارى فى الصحيح ۱/ ۶۰، كتاب الإيمان (۲)، باب حلاوة الإيمان (۹)، الحديث (۱۶). و أخرجه مسلم فى الصحيح ۱/ ۶۶، كتاب الإيمان (۱)، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (۱۵)، الحديث (۶۷- ۶۸/ ۴۳). و انظر كلام ابن حجر فى سياق شرحه للحديث فى فتح البارى ۱/ ۶۱- ۶۲، و ما نقله من أقوال العلماء فى هذا الشأن. (۵) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۴ و سمع الأصمعىّ من ينشد: فما للنوى جدّ النوى قطع النوى كذاك «۱» النوى قطاعة للقرائن «۲» فقال: لو قيّض لهذا البيت شاة لأتت عليه.

الثالث: الاستلذاذ بذكره

الثالث: الاستلذاذ بذكره كقوله تعالى: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ (الإسراء: ۱۰۵)، إن كان «الحق» الثانى هو الأول. و قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً (فاطر: ۱۰). و قوله تعالى: وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ (الزمر: ۷۴)، و لم يقل: «منها» و لهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة؛ و إن كان المراد بالأرض الجنة؛ و للّه درّ القائل: كرّر على السمع منّى أيها الحادى ذكر المنازل و الأطلال و النادى و قوله: يا مطر بى بحديث من سكن [۱۵۶/ ب الغضى «۳» هجت الهوى و قدحت فىّ حراق كرّر حديثك يا مهيّج لوعتى إنّ الحديث عن الحبيب تلاق

الرابع: زيادة التقدير

الرابع: زيادة التقدير كقوله تعالى: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ (الإسراء: ۱۰۵). و قوله: اللَّهُ الصَّمَدُ (الإخلاص: ۲)، بعد قوله: اللَّهُ أَحَدٌ؛ (الإخلاص: ۱)؛ و يدل على إرادة التقدير سبب نزولها، و هو ما نقل عن ابن عباس «۴» أن قريشا قالت: يا محمد؛ صف لنا ربّك الذى تدعونا «۵» إليه، فنزل اللَّهُ أَحَدٌ (_____ ۱)

تصحفت فى المخطوطة إلى (لذاك). (۲) البيت ذكره ابن الشجرى فى أماليه ۱/ ۲۸۱، فصل فى أقسام الكلام. (۳) فى المخطوطة (الغطا). (۴) أخرجه ابن أبى حاتم و ابن عدى و البيهقى فى الأسماء و الصفات (ذكره السيوطى فى الدر المنثور ۶/ ۴۱۰. (۵) فى المخطوطة (تدعونا). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۵ (الإخلاص: ۱)، معناه أن الذى سألتمونى وصفه هو اللّه ثم لما أريد تقدير كونه «اللّه» أعيد بلفظ الظاهر دون ضميره. و قوله: إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (غافر: ۶۱). و قوله [تعالى «۱»: وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (آل عمران: ۷۸). يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ (آل عمران: ۷۸).

الخامس: إزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد «۲»

الخامس: إزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد «۲» كقوله تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ (آل عمران: ۲۶)، لو قال: «تؤتيه» لأوهم أنه الأول، قاله ابن الخشاب «۳». و قوله تعالى: الظَّانِّينَ «۴» بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ (الفتح: ۶)، (كرر السوء) «۵» لأنه ۲/ ۴۸۹ [لو] «۶» قال: «عليهم دائرته» لالتبس بأن يكون الضمير عائدا إلى اللّه تعالى. قاله الوزير المغربى «۷» فى «تفسيره». و نظيره: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً (الروم: ۵۴)، و تبيينه: الأول النطفة أو التراب، و الثانى الوجود فى الجنين أو الطفل، و الثالث الذى بعد الشيخوخة و هو أرذل العمر؛ و القوة الأولى التى تجعل للطفل (_____ ۱) ليست فى المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (الأول). (۳) هو عبد اللّه بن أحمد أبو محمد، ابن الخشاب تقدم التعريف به فى ۱/ ۱۶۳. (۴) تصحفت فى المخطوطة و المطبوعة إلى (يظنون) و الصواب ما أثبتناه. (۵) ساقط من المخطوطة. (۶) زيادة يقتضيها السياق. (۷) هو الحسين بن على بن الحسين المعروف بالوزير المغربى، استظهر القرآن العزيز و عدة من الكتب المجردة فى النحو و اللغة و نحو خمسة عشر ألف بيت شعر من مختار الشعر القديم، و نظم الشعر و الصّرف فى النثر، و كان من الدهاة العارفين من مصنفاته «الشعر و النثر» و «مختصر إصلاح المنطق» و «الإيناس» ت ۴۱۸ ه (ابن خلكان، وفيات الأعيان ۲/ ۱۷۲). و كتابه ذكره الداودى فى طبقات المفسرين ۱/ ۱۵۶ و اسمه «إملاءات عدة فى تفسير القرآن العظيم و تأويله». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۶ التحرك و الاهتداء للثدى، و الثانية بعد البلوغ، قاله ابن الحاجب «۱»، و يؤيد الغيرية «۲» التنكير. و نحوه قوله تعالى: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً ... (الإسراء: ۷۸) الآية، لو قال: «إنه» لأوهم عود الضمير إلى الفجر. و قوله [تعالى «۳»: يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها (النحل: ۱۱۱)، فلم يقل «عنها» لئلا يتحد الضميران فاعلا و مفعولا؛ مع أن المظهر «۴» السابق لفظ النفس، فهذا أبلغ من «ضرب زيد نفسه». و كقوله تعالى: ثُمَّ اسْتَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ (يوسف: ۷۶)، و إنما حسن إظهار الوعاء مع أنّ الأصل «فاستخرجها منه» لتقدم ذكره، لأنه لو قيل ذلك لأوهم عود الضمير على الأخ، فيصير كأن الأخ مباشر لطلب «۵» خروج الوعاء؛ و ليس كذلك لما فى المباشرة من الأذى «۶» الذى تأباه النفوس «۷» الأبية، فأعيد لفظ الظاهر لنفى هذا. و إنما لم يضمر الأخ فيقال: «ثم استخرجها من وعائه» لأمرين. أحدهما: أن ضمير الفاعل فى اسْتَخْرَجَها ليوسف عليه السلام، فلو قال: «من وعائه» لتوهم أنه يوسف، لأنه أقرب مذكور فأظهر لذلك. و الثانى: أن الأخ مذكور مضاف إليه؛ و لم يذكر فيما تقدم مقصودا بالنسبة الإخبارية، فلما احتيج إلى إعادة ما، و أضيف إليه أظهره أيضا. و قوله [تعالى «۸»: يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ وَ كانَتِ الْجِبالُ (المزمل: ۱۴) (_____ ۱) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن يونس تقدم التعريف به فى ۱/ ۴۶۶. (۲) اضطربت فى المخطوطة إلى (العربة). (۳) ليست فى المخطوطة. (۴) فى المخطوطة (المضمر). (۵) فى المخطوطة (بطلب). (۶) فى المخطوطة (الأدا). (۷) فى المخطوطة (النفس). (۸) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۷ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ (العنكبوت: ۱۰).

السادس: أن يكون القصد تربية المهابة و إدخال الروعة فى ضمير السامع

السادس: أن يكون القصد تربية المهابة و إدخال الروعة فى ضمير السامع بذكر الاسم المقتضى لذلك، كما يقول الخليفة لمن يأمره بأمر: «أمير المؤمنين يأمرك بكذا» مكان: «أنا آمرك بكذا». و منه قوله «۱» تعالى: الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ (الحاقة: ۱- ۲). و قوله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها (النساء: ۵۸) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ (النحل: ۹۰). و قوله: وَ قالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ (غافر: ۴۹)، و لم يقل: «لخزنتها».

السابع: قصد تقوية داعية المأمور

السابع: قصد تقوية داعية المأمور ۲/ ۴۹۱ كقوله تعالى: فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (آل عمران: ۱۵۹)، و لم يقل «علىّ» و حين قال: عَلَى اللَّهِ لم يقل [۱۵۷/ أ]: «إنه يحب»، أو «إنى أحبّ» تقوية لداعية المأمور بالتوكّل بالتصريح باسم المتوكّل عليه. و قوله [تعالى «۲»: وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (البقرة: ۲۸۲).

الثامن: تعظيم الأمر

الثامن: تعظيم الأمر كقوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ (العنكبوت: ۱۹- ۲۰). و قوله: هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ (الإنسان: ۱ - ۲) و لم يقل «خلقناه» للتنبيه على عظم خلقه للإنسان.

(_____ ۱) فى المخطوطة (و قوله) بدل (و منه قوله تعالى). (۲) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۸ و قوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا (المزمل: ۱۴)؛ فإنما أعيد لفظ الْجِبالُ و القياس الإضمار لتقدم «۱» ذكرها؛ مثل ما ذكرنا فى الم السجدة ۲/ ۴۹۲ فى أحد القولين؛ و هو قوله: كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها «۲» [أُعِيدُوا فِيها وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ] «۲» (السجدة: ۲۰)؛ و هو أن الآيتين سيقتا للتخويف و التنبيه على عظم الأمر؛ فإعادة الظاهر أبلغ. و أيضا فلو لم يذكر الْجِبالُ لاحتمل عود الضمير إلى الأرض.

التاسع: أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف

التاسع: أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف كقوله تعالى: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِماتِهِ (الأعراف: ۱۵۸) «۴» [بعد قوله فى صدر الآية: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً (الأعراف: ۱۵۸) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ (الأعراف: ۱۵۸) دون «فآمنوا باللّه و بى»؛ ليتمكن من إجراء الصفات التى ذكرها من النبى الأمّىّ الذى يؤمن باللّه،] «۴» فإنه لو قال: «و بى» لم يتمكن من ذلك؛ لأن الضمير لا يوصف ليعلم أن الذى وجب الإيمان به و الاتباع له هو من وصف بهذه الصفات كائنا من كان، أنا أو غيرى إظهارا للنصفة، و بعدا من التعصب لنفسه.

العاشر: التنبيه على علة الحكم

العاشر: التنبيه على علة الحكم كقوله تعالى: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ (البقرة: ۵۹). و قوله: فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ

(البقرة: ۹۸) أعلمنا أنه من كان عدوا لهؤلاء فهو كافر؛ هذا إن خيف الإلباس لعوده للمذكورين. و كذا قوله: فَإِنَّ اللَّهَ [دون «۶» «فإنه». و كقوله «۷» تعالى: فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ (البقرة: ۵۹)، و لم يقل

(_____ ۱) فى المخطوطة (لتقديم). (۲) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة، و كتب مكانها عبارة (من غم). (۴) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة. (۶) ساقطة من المخطوطة. (۷) فى المخطوطة (كقوله). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۶۹ «عليهم» لأنه ليس فى الضمير ما فى قوله: الَّذِينَ ظَلَمُوا من ذكر الظلم المستحق به العذاب. و جعل منه الزمخشرى «۱» قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (الكهف: ۳۰). و قوله تعالى: فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ (البقرة: ۸۹) و الأصل «عليهم» للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم. و ليس من ذلك قوله تعالى: إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (يوسف: ۹۰)؛ فإنّ العلة قد تقدمت فى الشرط؛ و إنما فائدة ذلك إثبات صفة أخرى زائدة. و قال الزمخشرى «۲»: فائدته اشتماله على المتقين و الصابرين. و منه قوله: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ (النساء: ۶۴) لأن شفاعة «۳» من اسمه الرسول من اللّه بمكان عظيم. و قوله: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (الأنعام: ۲۱)؛ و القياس «أنهم لا يفلحون»، و لو ذكر الظاهر لقال: «لا يفلح المفترون» أو «الكاذبون» لكن صرّح بالظلم تنبيها على أن علّة عدم الفلاح الظلم. و قوله: وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (الأعراف: ۱۷۰)، و لم يقل: «أجرهم» تنبيها على أنّ صلاحهم علّة لنجاتهم. و قوله: إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ (الكوثر: ۱، ۲) و لم يقل: «لنا»؛ لينبه على أنه أهل لأن يصلّى له؛ لأنه ربه الذى خلقه و أبدعه و ربّاه بنعمته. ۲/ ۴۹۴ و كقوله تعالى: مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ (البقرة: ۹۸) قال الزمخشرى «۴»: أراد «عدوا لهم»، فجاء بالظاهر ليدل على أن اللّه

(_____ ۱) الكشاف ۲/ ۳۸۹. (۲) الكشاف ۲/ ۳۷۴. (۳) فى المخطوطة (الشفاعة). (۴) الكشاف ۱/ ۴۹۴. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۰ إنما عاداهم لكفرهم؛ و أن عداوة الملائكة كفر، و إذا كانت عداوة الأنبياء كفرا، فما بال [۱۵۷/ ب الملائكة و هم أشرف!. و المعنى: و من عاداهم عاداه اللّه و عاقبه أشد العقاب [المهين «۱»]. [انتهى «۲»]. و قد أدمج فى هذا الكلام «۳» مذهبه، فى تفضيل الملك على النّبىّ و إن لم يكن مقصودا فهو كما قيل: و ما كنت زوّارا و لكنّ ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرّجل و مثله قول مطيع: أمّى الضريح الذى أسمّى «۴» ثم استهلّ «۵» على الضريح أ لا ترى أنه لم يقل: «عليه» لأنه باك بذكر الضريح الذى من عادته أن يبكى عليه و يحزن لذكراه «۶».

الحادى عشر: قصد العموم

الحادى عشر: قصد العموم كقوله تعالى: حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها (الكهف: ۷۷) و لم يقل: «استطعمهم «۷» للإشعار بتأكيد العموم؛ و أنهما لم يتركا أحدا من أهلها إلا استطعماه و أبى، ۲/ ۴۹۵ و مع ذلك قابلهم بأحسن الجزاء. و فيه التنبيه على محاسن الأخلاق، و دفع السيئة بالحسنة. و قوله [تعالى «۸»: وَ ما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ (يوسف: ۵۳) فإنه لو قيل: «إنها لأمارة» لاقتضى تخصيص ذلك؛ فأتى بالظاهر ليدلّ على أن المراد التعميم؛

(_____ ۱) ساقطة من المخطوطة. (۲) ساقطة من المطبوعة. (۳) فى المخطوطة (الكتاب). (۴) فى المخطوطة (أمسى). (۵) اضطربت فى المخطوطة كما يلى (اسهلى). (۶) فى المخطوطة (لذكره). (۷) فى المخطوطة (استطعماهم). (۸) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۱ مع أنه برىء من ذلك بقوله بعده إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي (يوسف: ۵۳)، و قوله: إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (يوسف: ۵۳) و لم يقل: «إنه» إما للتعظيم و إما للاستلذاذ. و قوله تعالى: إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً (النجم: ۲۸). و قوله تعالى: وَ إِنَّا إِذا أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا

رَحْمَةً فَرِحَ بِها (الشورى: ۴۸) [ثم «۱» قال: فَإِنَّ الْإِنْسانَ كَفُورٌ (الشورى: ۴۸) و لم يقل: «فإنه» مبالغة فى إثبات أنّ هذا الجنس شأنه كفران النعم.

الثانى عشر: قصد الخصوص:

الثانى عشر: قصد الخصوص: كقوله تعالى: وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ (الأحزاب: ۵۰)، و لم يقل: «لك» لأنه لو أتى بالضمير لأخذ جوازه لغيره، كما فى قوله تعالى: وَ بَناتِ عَمِّكَ (الأحزاب: ۵۰)، فعدل عنه إلى الظاهر للتنبيه على الخصوصية و أنه ليس لغيره ذلك.

الثالث عشر: مراعاة التجنيس

الثالث عشر: مراعاة التجنيس ۲/ ۴۹۶ و منه: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ... السورة (الناس: ۱)، ذكره «۲» الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه اللّه.

الرابع عشر: أن يتحمل ضميرا لا بدّ منه.

الرابع عشر: أن يتحمل ضميرا لا بدّ منه. كقوله: أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها (الكهف: ۷۷).

الخامس عشر: كونه أهم من الضمير

الخامس عشر: كونه أهم من الضمير كقوله تعالى: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى (البقرة: ۲۸۲). و قال بعضهم: إنما أعيدت إِحْداهُما لتعادل الكلم و توازن الألفاظ «۳» [فى التركيب؛ و هو المعنى فى الترصيع البديعىّ بل هذا أبلغ من الترصيع، فإن الترصيع توازن الألفاظ] «۳» من حيث صيغها، و هذا من حيث تركيبها؛ فكأنه ترصيع معنوىّ، و قلما يوجد إلا فى نادر من الكلام، و قد استغرب أبو الفتح «۵» ما حكى عن المتنبى فى قوله: (_____۱) ساقطة من المخطوطة. (۲) فى المخطوطة (ذكرها). (۳) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة. (۵) ابن جنى. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۲ و قد صارت الأجفان قرحى من البكا و صار بهارا فى الخدود الشقائق «۱». ۲/ ۴۹۷ قال: سألته: هل هو «قرحى «۲»» أو «قرحا» منوّن؟ «۳» [فقال لى: «قرحا» منوّن «۳»، أ لا ترى أن بعدها «و عادت بهارا»! قال: يعنى أن «بهارا»: جمع بهار، و قرحى: جمع قرحة، ثم أطنب فى الثناء على المتنبى، و استغرب فطنته لأجل هذا. و بيان ما ذكرت فى الآية أنها متضمنة لقسمين: قسم الضلال و قسم التذكير، فأسند الفعل الثانى إلى ظاهر حيث أسند الأول، و لم يوصل بضمير مفصول لكون الأول لازما، فأتى بالثانى على صورته من التجرد عن المفعول، ثم أتى به خبرا بعد اعتدال الكلام و حصول التماثل فى تركيبه. و لو قيل: إن المرفوع حرف لكان أبلغ فى المعنى المذكور، و يكون الأخير بدلا أو نعتا على وجه «۵» البيان، كأنه «۶» قال: «إن كان ضلال من إحداهما «۷» كان تذكير من الأخرى»، و قدم على «الأخرى» لفظ «إحداهما» ليسند [۱۵۸/ أ] الفعل الثانى إلى مثل ما أسند إليه الأول لفظا و معنى. و اللّه أعلم.

السادس عشر كون ما يصلح للعود و لم يسق الكلام [له «۸».

السادس عشر كون ما يصلح للعود و لم يسق الكلام [له «۸». كقوله: رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ (الأنعام: ۱۲۴)، و كقول الشاعر: تبكى على زيد و لا زيد مثله برىء من الحمّى سليم الجوانح «۹».

(۱) البيت تصحف صدره و عجزه فى المطبوعة إلى (و قد عادت ... و عادت بهارا ...) و التصويب من الديوان بشرح أبى البقاء العكبرى ۲/ ۳۴۲. و تجد فى الشرح ما جرى بينه و بين ابن جنى. و البهار. زهر أصفر، و الشقائق: جمع شقيقة و هى زهر أحمر ينسب إلى النعمان. و قرحى: بغير تنوين جمع قريح كجرحى و جريح. (۲) تصحفت فى المخطوطة إلى (فرحى). (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۵) فى المخطوطة (جهة). (۶) فى المخطوطة (فإنه). (۷) فى المخطوطة (أحدهما). (۸) ساقطة من المخطوطة. (۹) البيت فى خزانة الأدب للبغدادى ۲/ ۹۸. و لم ينسبه لأحد. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۳

السابع عشر: الإشارة إلى عدم دخول الجملة فى حكم الأولى

اشارة

السابع عشر: الإشارة إلى عدم دخول الجملة فى حكم الأولى كقوله تعالى: فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلى قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ (الشورى: ۲۴) فى سورة الشورى، فإن يَمْحُ استئناف و ليس عطفا على الجواب؛ لأن المعلّق على الشرط عدم قبل وجوده؛ و هذا صحيح فى يَخْتِمْ عَلى قَلْبِكَ و ليس صحيحا فى يَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ (الشورى: ۲۴) لأنّ محو الباطل ثابت؛ فلذلك أعيد الظاهر، و أما حذف الواو من الخط فللفظ، و أما حذفها فى الوقف كقوله تعالى: يَدْعُ الدَّاعِ (القمر: ۶) و سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ (العلق: ۱۸) فللوقف؛ و يؤكد ذلك وقوف يعقوب عليها بالواو. و هذا ملخص «۱» كلام عبد العزيز «۲» فى كلامه على البزدوىّ «۳»، و فيما ذكره نزاع، و هذا أنا لا نسلم أن المعلّق هاهنا بالشرط هو موجود قبل الشرط؛ لأن الشرط هنا «۴» المشيئة و ليس المحو ثابتا قبل المشيئة؛ فإن قيل «۵»: إن الشرط هنا مشيئة خاصة و هى مشيئة الختم، و هذا و إن كان محذوفا فهو مذكور بالقوة. شائع فى كثير من الأماكن؛ كقوله [تعالى «۶»: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى (الأنعام: ۳۵)، «۷» [وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا] «۷» (الأنعام: ۱۰۷)، وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا (البقرة: ۲۵۳) «۷» [المعنى «و لو شاء اللّه جمعهم لجمعهم» و «لو شاء اللّه عدم ما أشركوا»] «۷» و «لو شاء اللّه عدم قتالهم ما اقتتلوا». قيل: لا يكاد يثبت مفعول المشيئة إلا نادرا كما سيأتى فى الحذف إن شاء اللّه تعالى، و إذا ۲/ ۴۹۹ ثبت هذا صحّ ما ادعيناه، فإن محو اللّه ثابت قبل مشيئة اللّه الختم. فإن قلت: سلّمنا أنّ الشرط مشيئة خاصة؛ لكنها إنما تختص بقرينة الجواب. و الجواب: هنا شيئان «۱۱»؛ فالمعنى: إن يشأ اللّه الختم و محو الباطل يختم على قلبك، و يمح الباطل، و حينئذ لا يتم ما ادّعاه.

(۱) فى المخطوطة (يلحظ). (۲) هو عبد العزيز بن أحمد البخارى تقدم التعريف به فى ۲/ ۹۶. (۳) هو على بن محمد بن عبد الكريم البزدوى الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم إمام الدنيا فى الفروع و الأصول له تصانيف معتبرة منها «المبسوط» و «الأصول» ت ۴۸۲ ه (الفوائد البهية: ۱۲۴). (۴) فى المخطوطة (هو). (۵) فى المخطوطة (قال). (۶) ليست فى المخطوطة. (۷) ما بين الحاصرتين ليس فى المخطوطة. (۱۱) فى المخطوطة (سياق). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۴ و جوابه أنّ الشرط لا «۱» بد أن يكون غير ثابت و غير ممتنع، و «يمحو الباطل» كان ثابتا فلا يصحّ دخوله فى جواب «۲» الشرط. و هذا أحسن جدّا. بقى أن يقال: إن الجواب ليس كلّا من الجملتين؛ بل مجموع الجملتين و المجموع معدوم قبل وجود الشرط؛ و إن كان أحدهما ثابتا.

[تنبيهان «۳»

[تنبيهان «۳» الأول: قد سبق أنه لا يشترط فى وضع الظاهر موضع المضمر أن يكون بلفظ الأول؛ ليشمل مثل قوله تعالى: إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (الكهف: ۳۰). و قوله [تعالى «۴»: ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ (البقرة: ۱۰۵)؛ لأنّ إنزال الخير هنا سبب للربوبية، و أعاده بلفظ «اللّه» لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للإلهية؛ لأن دائرة الربوبية أوسع. و مثله: وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ (الزمر: ۷۴) كما سبق. و من فوائده: التلذذ بذكره و تعظيم المنّة «۵» بالنعمة. و من فوائده: قصد الذمّ «۶»، و جعل [منه «۷» الزمخشرى «۸» قوله تعالى: يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ وَ يَقُولُ الْكافِرُ (النبأ: ۴۰)، فقال: المرء هو الكافر و هو ظاهر، وضع موضع الضمير لزيادة الذم. و قال ابن عبد السلام فى قوله تعالى: سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ

(_____ ۱) فى المخطوطة (أبدا) بدل (لا بد).

(۲) فى المخطوطة (حيز). (۳) ساقطة من المخطوطة. (۴) ليست فى المخطوطة. (۵) فى المخطوطة (أمره). (۶) فى المخطوطة (فى صدره) بدل (قصد الذم). (۷) ساقطة من المطبوعة. (۸) الكشاف ۴/ ۱۸۰. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۵ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (المنافقون: ۶). إنّ «الفاسقين» يراد بهم «۱» المنافقون، و يكون قد أقام الظاهر مقام المضمر، [۱۵۸/ ب و التصريح بصفة الفسق سبب لهم. و يجوز أن يكون المراد العموم لكل فاسق، و يدخل فيه المنافقون دخولا أوليّا، و كذا سائر هذه النظائر. و ليس من هذا الباب قوله تعالى: إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ (الإسراء: ۲۵)- أى فى معاملة «۲» «الأبوين» «۳» فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (الإسراء: ۲۵). و قوله [تعالى «۴»: مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ (البقرة: ۹۷) إلى قوله: فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ (البقرة: ۹۸). و كذلك كل ما «۵» فيه شرط فإن الشروط أسباب «۶» و لا يكون الإحسان للوالدين سببا «۶» لغفران اللّه لكل تائب، لأنه يلزم أن يثاب غير الفاعل بفعل «۸» غيره؛ و هو خلاف الواقع. و كذلك معاداة بعض الكفرة لا يكون سببا لمعاداة كلّ كافر، فتعيّن «۹» فى هذه المواضع أن يكون من باب إقامة الظاهر مقام المضمر ليس إلا. الثانى: قد مرّ أن سؤال وضع الظاهر موضع المضمر حقه أن يكون فى الجملة الواحدة؛ ۲/ ۵۰۱ نحو: الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ (الحاقة: ۱، ۲) فأما إذا وقع فى جملتين فأمره سهل و هو أفصح من وقوعه فى الجملة الواحدة، لأن الكلام جملتان، فحسن فيهما ما لا يحسن فى الجملة الواحدة، أ لا ترى إلى قوله: لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغّص الموت ذا الغنى و الفقيرا «۱۰» (_____ ». ۱) فى المخطوطة (به).

(۲) فى المخطوطة (مقابلة). (۳) فى المخطوطة (الأوابين). (۴) ليست فى المخطوطة. (۵) فى المخطوطة (كلما). بدل (كل ما). (۶) عبارة المخطوطة (و لا يكون إحسان الوالدين لوالديهم سبب ...). (۸) فى المخطوطة (بثبات). (۹) فى المخطوطة (فيتعين). (۱۰) تقدم الكلام عن البيت فى ۳/ ۶۱. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۶ فتكرار «الموت» فى عجز البيت أوسع من تكراره فى صدره «۱»؛ لأنا إذا عللنا هذا انما «۲» نقول: أعاد الظاهر موضع المضمر لما أراد من تعظيم الموت و تهويل أمره، فإذا علّلها مكررة «۳» فى عجزه عللناه بهذا، و بأن الكلام جملتان. إذا علمت هذا، فمثاله فى الجملتين كقوله تعالى: وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ (البقرة: ۲۸۲)، و قوله: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (العنكبوت: ۳۱). «۴» [و قد أشكل الإظهار هاهنا] «۴» و الإضمار فى المثل قوله: إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (القصص: ۳۲). و أجيب بأنه لما كان المراد فى مدائن لوط إهلاك القرى صرح فى الموضعين بذكر القرية التى يحلّ بها «۶» الهلاك؛ كأنها اكتسبت الظلم معهم و استحقت الهلاك معهم؛ إذ للبقاع تأثير فى الطباع، و لما كان المراد فى قوم فرعون إهلاكهم بصفاتهم، حيث كانوا و لم «۷» يهلك بلدهم، أتى بالضمير العائد على ذواتهم، من حيث هى من غير تعرض للمكان. ۲/ ۵۰۲ و اعلم أنه «۸» [متى طال الكلام حسن إيقاع الظاهر موضع المضمر كيلا يبقى الذهن متشاغلا بسبب ما يعود عليه اللفظ فيفوته ما شرع «۸» فيه، كما إذا كان ذلك فى ابتداء آية أخرى، كقوله تعالى: قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ ... (البقرة:

۱۴۰) الآية. و قوله: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ [لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ «۱۰» (البقرة: ۱۴۳). و قوله: يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ (النور: ۳۵). و قوله: رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ... (النور: ۳۷) الآية.

(_____ ۱) فى المخطوطة (هذه). (۲) فى المخطوطة (إنا). (۳) فى المخطوطة (تكرره). (۴) العبارة ساقطة من المخطوطة. (۶) فى المخطوطة (لها). (۷) فى المخطوطة (أو لم). (۸) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۱۰) تمام الآية ليس فى المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۷

القسم العاشر تجيء اللفظة الدالة على التكثير «۱» و المبالغة بصيغ من صيغ المبالغة

اشارة

القسم العاشر تجيء اللفظة الدالة على التكثير «۱» و المبالغة بصيغ من صيغ المبالغة كفعّال و فعيل و فعلان؛ فإنه أبلغ من «فاعل». و يجوز أن يعدّ هذا من أنواع الاختصار؛ فإن أصله وضع لذلك، فإن «ضروبا» ناب عن قولك: «ضارب و ضارب و ضارب». أما «فعلان» فهو أبلغ من «فعيل»، و من ثمّ قيل: الرحمن أبلغ من الرحيم- و إن كانت صيغة «فعيل» «۲»- من جهة أن «فعلان» من أبنية المبالغة؛ كغضبان للممتلئ غضبا؛ و لهذا لا يجوز التسمية به، و حكاه الزّجاج فى تأليفه «۳» المفرد على البسملة. و أما قول شاعر اليمامة: و أنت غيث الورى «۴» لا زلت رحمانا «۵» ۲/ ۵۰۳ فهو من كفرهم و تعنتهم كذا أجاب به الزمخشرى «۶». و ردّه [۱۵۹/ أ] بعضهم بأن التعنت لا يدفع وقوع إطلاقهم؛ و غايته أنّه ذكر السبب الحامل لهم على الإطلاق؛ و إنما الجواب أنهم لم يستعملوا الرحمن المعرّف بالألف و اللام؛ و إنما استعملوه مضافا و منكّرا، و كلامنا إنّما هو فى المعرّف باللام. و أجاب ابن مالك بأن الشاعر أراد: «لا زلت ذا رحمة»؛ و لم يرد الاسم المستعمل بالغلبة. و يدلّ على أن العرب كانت تعرف هذا الاسم قوله تعالى: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا

(_____ ۱) فى المخطوطة (التكرر). (۲) فى المخطوطة (فقيل). (۳) ألف الزجاج كتابا عن معانى البسملة سماه «الإبانة و التفهيم عن معانى بسم الله الرحمن الرحيم» و هو مخطوط بمكتبة جوتا بألمانيا رقم ۷۲۷. (بروكلمان مترجم ۲/ ۱۷۲). (۴) فى المخطوطة (الذرى). (۵) عجز بيت صدره: سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا* كذا فى «مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف» ص ۱۲۵ قافية النون. و نسبه لرجل من بنى حنيفة يمدح مسيلمة الكذاب. (۶) انظر الكشاف ۱/ ۶. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۸ الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى (الإسراء: ۱۱۰). و أما قوله: قالُوا] «۱» وَ مَا الرَّحْمنُ (الفرقان: ۶۰)، فقال «۲» ابن العربىّ: إنما جهلوا الصفة دون الموصوف، و لذلك لم يقولوا: «و من الرحمن». [و ذكر] «۳» البرزاباذانى «۴» أنهم غلطوا فى تفسير «الرحمن» حيث جعلوه بمعنى المتصف بالرحمة. قال: و إنما معناه الملك العظيم العادل «۵»، بدليل: الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ (الفرقان: ۲۶) إذ الملك يستدعى العظمة و القدرة و الرحمة لخلقه؛ لا أنه يتوقّف عليها. وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ (الفرقان: ۶۰) و إنما يصلح السجود لمن له العظمة و القدرة؛ و إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ (مريم: ۱۸) و لا يعاذ إلا بالعظيم القادر على الحفظ و الذبّ. ۲/ ۵۰۴ وَ ما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً (مريم: ۹۲)، أى و ما ينبغى للعظيم القادر على كل شىء المستغنى عن معاونة الولد و غيره أن يتخذ ولدا. الرَّحْمنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً (النبأ: ۳۷). وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ (طه: ۱۰۸). قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ (الأنبياء: ۴۲) و لا يحتاج الناس إلى حافظ يحفظهم من ذى الرحمة الواسعة. إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً (مريم: ۹۳).

(_____ ۱) ليست فى المطبوعة. (۲) فى المخطوطة (قال). (۳) ساقطة من المخطوطة. (۴) البرزاباذانى- بضم الباء و فتحها و سكون الراء و فتح الزاى- فى لسان الميزان ۴/ ۴۳۷. هو الفضل بن أحمد اللؤلؤى روى عن أبى حاتم الرازى و لعله واضع حديث الأعرابى على إسماعيل بن عمرو البجلى، و فى

الأنساب للسمعانى ۲/ ۱۴۶ هو الفضل بن أحمد أبو العباس القرشى البرزاباذانى و هى قرية من قرى أصبهان قال ابن مردويه ضعيف جدا، و فى أخبار أصبهان لأبى نعيم ۲/ ۱۵۴، الفضل بن أحمد المدينى أبو العباس من قرية برزفاذان يروى عن إسماعيل بن عمرو البجلى خلّط فى آخر عمره فترك حديثه. (۵) فى المخطوطة (القادر). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۷۹ إِنِّى أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ (مريم: ۴۵). وَ رَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ (الأنبياء: ۱۱۲). مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ (ق: ۳۳). و لا مناسبة لمعنى الرحمة فى شىء من هذه المواضع، و أما «رحيم» فهو من صفات الذات، كقولهم: «كريم». و ما ذكرناه من أن «الرحمن» أبلغ ذهب إليه أبو عبيد «۱» و الزمخشرى «۲» و غيرهما، و حكاه ابن عسكر «۳» فى «التكميل و الإفهام» عن الأكثرين. و فى كلام ابن جرير «۴» ما يفهم حكاية الاتفاق عليه. و نصره السهيلى «۵» بأنّه ورد على لفظ ۲/ ۵۰۵ ۲ لتنبيه، و التنبيه تضعيف. و كأن البناء تضاعفت فيه الصفة. و قال قطرب «۶»: المعنى فيهما واحد؛ و إنما جمع بينهما فى الآية للتوكيد. و كذلك قال ابن فورك: قال: «۷» و ليس قول «۸» من زعم أن «۸» «رحيما» أبلغ بجيّد؛ إذ لا فرق بينهما فى المبالغة. و لو قيل «فعلان» أشد مبالغة كان أولى؛ و لهذا خصّ «۱۰» باللّه فلا يوصف به غيره؛ و لذلك «۱۱» قال بعض التابعين: الرحمن اسم ممنوع؛ و أراد به منع الخلق أن يتّسموا به، و لا وجه لهذا الكلام إلا التوكيد و إتباع الأول ما هو فى معنى الثانى. و قال ابن عباس: «هما اسمان رقيقان؛ أحدهما أرقّ من الآخر» «۱۲».

(_____۱) هو القاسم بن سلام الهروى تقدم فى ۱/ ۱۱۹. (۲) انظر الكشاف ۱/ ۶. (۳) تصحف الاسم فى المطبوعة إلى ابن عساكر، و التصويب من المخطوطة، تقدم التعريف به و بكتابه فى ۱/ ۲۴۳. (۴) انظر تفسير الطبرى ۱/ ۴۲- ۴۳. (۵) هو أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى تقدم التعريف به فى ۱/ ۲۴۲. (۶) هو محمد بن المستنير، أبو على تقدم التعريف به فى ۲/ ۱۷۶. (۷) فى المخطوطة (قاله ابن فورك)، و هو محمد بن الحسن تقدم فى ۱/ ۳۲۴. (۸) عبارة المخطوطة (أن من زعم). (۱۰) فى المخطوطة (اختص). (۱۱) فى المخطوطة (و كذلك). (۱۲) أخرجه الطبرى فى التفسير ۱/ ۴۴. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۰ و عن الخطابى «۱» استشكال هذا، و قال: لعله أرفق، كما جاء فى الحديث «إن اللّه رفيق يحبّ الرّفق فى الأمر كله» «۲». و قال ابن الأنبارى «۳» فى «الزاهر»: الرحيم أبلغ من الرحمن. و رجّحه ابن عسكر «۴» بوجوه: منها أن الرحمن جاء متقدما على الرحيم؛ و لو كان أبلغ [منه «۵» لكان متأخرا عنه، لأنهم فى كلامهم إنما يخرجون من الأدنى إلى الأعلى؛ فيقولون: فقيه عالم، و شجاع باسل، و جواد فياض، و لا يعكسون هذا لفساد المعنى؛ لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثانى داخلا تحته، فلم «۶» يكن لذكره [۱۵۹/ ب معنى. [و هذا] «۷» قد ذكره الزمخشرىّ «۸» و أجاب عنه بأنه من باب الإرداف، و أنه أردف الرحمن الذى يتناول جلائل النعم و أصولها بالرحيم، ليكون كالتتمة و الرديف، ليتناول ما رق منها و لطف. ۲/ ۵۰۶ و فيه ضعف لا سيّما إذا قلنا: إن الرحمن علم لا صفة، و هو قول الأعلم «۹» و ابن مالك. و أجاب الواحدىّ «۱۰» فى «البسيط» بأنه لما كان الرحمن كالعلم- إذ لا يوصف [به «۱۱» إلا اللّه-

(_____۱) هو حمد بن محمد أبو سليمان الخطابى تقدم التعريف به فى ۱/ ۳۴۳. (۲) قطعة من حديث عن عائشة رضى الله عنها، أخرجه البخارى فى الصحيح ۱۲/ ۲۸۰، كتاب استتابة المرتدين ... (۸۸)، باب إذا عرض الذمى أو غيره بسب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و لم يصرح ... (۴)، الحديث (۶۹۲۷). و أخرجه مسلم فى الصحيح ۴/ ۲۰۰۳، كتاب البر و الصلة و الآداب (۴۵)، باب فضل الرفق (۲۳)، الحديث (۷۷/ ۲۵۹۳). (۳) هو أبو بكر محمد بن القاسم، ابن الأنبارى تقدم التعريف به فى ۱/ ۲۹۹، و كتابه «الزاهر فى معانى كلمات الناس» طبع بتحقيق حاتم الضامن فى بغداد- وزارة الثقافة و الإعلام- عام ۱۴۰۰ ه/ ۱۹۷۹ م، و عنه صورة فى بيروت بمؤسسة الرسالة عام ۱۴۰۵ ه/ ۱۹۸۴ م. (ذخائر التراث العربى ۱/ ۴۷). (۴) تصحفت فى المطبوعة إلى (ابن عساكر). (۵) ساقطة من المطبوعة. (۶) فى المخطوطة (لكن لم) بدل (فلم). (۷) ساقطة من المخطوطة. (۸) الكشاف ۱/ ۷. (۹) هو يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشنتمرى تقدم التعريف به فى ۲/ ۴۵۳. (۱۰) هو على بن أحمد تقدم التعريف به و بكتابه فى ۱/ ۱۰۵. (۱۱) ساقطة من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۱ قدّم، لأنّ

حكم الأعلام و غيرها من المعارف أن يبدأ بها، ثم يتبع الأنكر «۱»، و ما كان [فى «۲» التعريف أنقص. قال: و هذا مذهب سيبويه و غيره من النحويين، فجاء هذا على منهاج كلام العرب. و أجاب الجوينىّ «۳» بأن الرحمن للخلق، و الرحيم لهم بالرزق، و الخلق قبل الرزق. و منها أن أسماء اللّه تعالى إنما يقصد بها المبالغة فى حقه، و النهاية فى صفاته؛ و أكثر صفاته سبحانه جارية على «فعيل»، كرحيم، و قدير، و عليم، و حكيم، و حليم، و كريم؛ و لم يأت على «فعلان» إلا قليل. و لو كان «فعلان» أبلغ لكان صفات البارى تعالى عليه أكثر. قلت: و جواب هذا أن ورود «فعلان» بصيغة التكثير «۴» كان فى عدم تكرار الوصف به، بخلاف «فعيل» فإنه لمّا لم يرقّ فى الكثرة رقته كثر فى مجيء الوصف. و منها: أنه إن كانت المبالغة فى «فعلان» من جهة موافقة التثنية- كما زعم السهيلى- ففعيل «۵» من أبنية جمع الكثرة كعبيد. و كليب؛ و لا شك أن الجمع أكثر من التثنية- و هذا أحسنها. قال: و قول قطرب «۶» «إنهما بمعنى واحد» فاسد، لأنه لو كان كذلك لتساويا فى التقديم و التأخير، و هو ممتنع.

تنبيهات «۷» [صيغ المبالغة فى أسماء اللّه «۷»

تنبيهات «۷» [صيغ المبالغة فى أسماء اللّه «۷» الأول: نقل [عن «۹» الشيخ برهان الدين الرشيدى [رحمه اللّه «۱۰» أن صفات اللّه التى (_____ ۱) فى المخطوطة (الأمكن). (۲) ساقطة من المطبوعة. (۳) هو عبد الملك بن أبى عبد اللّه بن يوسف إمام الحرمين تقدم التعريف به فى ۱/ ۱۱۸. (۴) فى المخطوطة (التكرير). (۵) فى المخطوطة (فعيل). (۶) محمد بن المستنير، تقدم فى ۲/ ۱۷۶. (۷) كتب هذا العنوان على هامش المخطوطة. (۹) ساقطة من المخطوطة. (۱۰) ليست فى المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۲ هى صيغة المبالغة كغفار و رحيم و غفور و منان كلّها مجاز، إذ هى موضوعة للمبالغة؛ و لا مبالغة فيها، لأن المبالغة هى أن تثبت للشىء أكثر مما له، و صفات اللّه «۱» [متناهية فى الكمال، لا يمكن المبالغة فيها، و المبالغة أيضا تكون فى صفات تقبل الزيادة و النقصان، و صفات اللّه «۱» تعالى منزّهة عن ذلك. انتهى. و ذكر هذا للشيخ ابن «۳» الحسن السّبكى فاستحسنه، و قال: إنه صحيح إذا قلنا: إنها صفات. فإن قلنا: أعلام زال ذلك. قلت: و التحقيق أنّ صيغ المبالغة على قسمين: أحدهما: ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل. و الثانى: بحسب تعدّد المفعولات. و لا شك أن تعدّدها لا يوجب للفعل زيادة، إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعدّدين. و [على «۴» هذا التقسيم «۵» يجب تنزيل جميع أسماء اللّه تعالى التى وردت على صيغة المبالغة كالرحمن و الغفور و التواب و نحوها، و لا يبقى إشكال حينئذ، لهذا «۶» قال بعض المفسرين فى حكيم «۷» معنى المبالغة فيه تكرار «۸» حكمه بالنسبة إلى الشرائع. ۲/ ۵۰۸ و قال الزمخشرى «۹» فى سورة الحجرات: المبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب إليه «۱۰» من عباده، أو لأنه بليغ فى قبول التوبة، نزّل صاحبها منزلة من لم يذنب «۱۱» قط لسعة كرمه (_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة (أبو). (۴) ساقطة من المخطوطة. (۵) فى المخطوطة (القسم). (۶) فى المخطوطة (و لهذا). (۷) فى المخطوطة (حكم). (۸) فى المخطوطة (فتكرار) بدل (فيه تكرار). (۹) انظر الكشاف ۴/ ۱۶- ۱۷. (۱۰) فى المخطوطة (عليه). (۱۱) فى المخطوطة (يتب) و تصويبه من الكشاف. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۳ و قد أورد بعض الفضلاء سؤالا فى قوله تعالى: وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة: ۲۸۴)، و هو أن «قديرا» «۱» من صيغ المبالغة يستلزم الزيادة على معنى «قادر»، و الزيادة على معنى «قادر» محال، إذ الاتحاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل، باعتبار كلّ فرد فرد. و أجيب عنه بأن المبالغة لما لم يقدر حملها على كلّ فرد وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التى دلّ السياق عليها، و المبالغة إذن بالنسبة إلى تكثير التعلق لا بالنسبة إلى تكثير الوصف. و كذلك قوله تعالى: وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (البقرة: ۲۸۲)، [۱۶۰/ أ] يستحيل عود المبالغة إلى نفس الوصف، إذ العلم بالشىء لا يصح التفاوت فيه، فيجب صرف المبالغة فيه إلى المتعلق، إما لعموم كل أفراده، و إما لأن يكون المراد الشىء و لواحقه، فيكون من باب إطلاق الجزء و إرادة الكل. الثانى: سئل أبو على الفارسىّ: هل تدخل المبالغة فى صفات اللّه تعالى فيقال: «علّامة»؟ فأجاب بالمنع؛ لأن

اللّه تعالى ذمّ من نسب إليه الإناث لما فيه من النقص، فلا يجوز إطلاق اللفظ المشعر بذلك. حكاه الجرجانى «۲» فى «شرح الإيضاح». الثالث: أنه لو جرّد عن الألف و اللام لم يصرف «۳» لزيادة الألف و النون فى آخره مع ۲/ ۵۰۹ العلمية أو الصفة. و أورد الزمخشرىّ «۴» بأنه لا يمنع «فعلان» صفة من الصرف إلا إذا كان مؤنثة، «فعلى» كغضبان و غضبى، و ما لم يكن مؤنثة «فعلى» ينصرف، كندمان و ندمانة «۵» و تبعه «۶» ابن عسكر «۷» بأن «رحمن» و إن لم يكن له [مؤنث «۸» على «فعلى» فليس له مؤنث على

(_____ ۱) فى المخطوطة (قدير). (۲) تقدم التعريف به فى ۲/ ۴۲۰، و كتابه «شرح الإيضاح و التكملة» مخطوط بالإسكوريال ثانى ۴۴، و فى بايزيد ۴۰۱۵، و فى القاهرة ثانى ۲/ ۱۶۳. (بروكلمان مترجم ۲/ ۱۹۱). (۳) فى المخطوطة (يعرف). (۴) انظر الكشاف ۱/ ۶- ۷. (۵) تصحفت فى المخطوطة إلى (و ندمان). (۶) زيادة فى المخطوطة كما يلى (و أجاب و تبعه). (۷) تصحف الاسم فى المطبوعة إلى (عساكر). (۸) ساقطة من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۴ «فعلانة» لأنه اسم مختص باللّه تعالى فلا مؤنث له من لفظه، فإذا عدم ذلك رجع فيه إلى القياس، و كلّ ألف و نون زائدتان فهما محمولتان على منع الصرف. قال الجوينىّ «۱»: «و هذا فيه ضعف فى الظاهر، و إن كان حسنا فى الحقيقة، لأنه إذا لم يشبه «غضبان» و لم يشبه «ندمان» من جهة التأنيث فلما ذا ترك صرفه، مع أن الأصل الصرف، بل كان ينبغى أن يقال: ليس هو كغضبان؛ فلا يكون غير منصرف، و لا يصحّ أن يقال: ليس هو كندمان فلا يكون منصرفا، لأنّ الصرف ليس بالشبه، إنما هو بالأصل و عدم الصّرف بالشبه و لم يوجد». قلت: و التقدير الذى نقلناه عن ابن عسكر «۲» يدفع هذا عن الزمخشرىّ، نعم أنكر ابن مالك على ابن الحاجب تمثيله ب «رحمن» لزيادة الألف و النون فى منع الصرف، و قال: لم يمثل به غيره، و لا ينبغى التمثيل به، فإنه اسم علم بالغلبة للّه [تعالى «۳» مختص به، و ما كان كذلك لم يجرّد من «أل» و لم يسمع مجردا إلا فى النداء قليلا، مثل يا رحمن الدنيا، و رحيم الآخرة. قال: و قد أنكر على الشاطبى: [رحمه اللّه «۴»]. تبارك رحمانا رحيما و موئلا «۵» لأنّه أراد الاسم المستعمل بالغلبة. و لم يحضر الزمخشرى هذا الجواب؛ فذكر انه من تعنتهم فى كفرهم كما سبق. و أما «فعيل» فعند النحاة أنّه من صيغ المبالغة و التكرار، كرحيم، و سميع، و قدير، و خبير، و حفيظ، و حكيم، [و حليم «۶» و عليم؛ فإنه محوّل عن «فاعل» بالنسبة، و هو إنما «۷» [يكون «۶» كذلك للفاعل لا للمفعول «۹» به، بدليل قولهم: قتيل و جريح، و القتل لا يتفاوت.

(_____ ۱) تقدم التعريف به فى ۱/ ۱۱۸. (۲) تصحف الاسم فى المطبوعة إلى (عساكر). (۳) ليست فى المطبوعة. (۴) ليست فى المخطوطة. (۵) مطلع أرجوزته المسماة حرز الأمانى و وجه التهانى و هو عجز بيت صدره: بدأت بسم اللّه فى النّظم أوّلا انظر ص ۹ بشرح أبى شامة. (۶) ليست فى المخطوطة. (۷) فى المخطوطة (أنهما). (۹) فى المخطوطة (المفعول). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۵ و قد يجىء فى معنى الجمع كقوله تعالى: وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً (النساء: ۶۹)، و قوله: وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ (التحريم: ۴)، و قوله: خَلَصُوا نَجِيًّا (يوسف: ۸۰)، و غير ذلك. و من المشكل: وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (مريم: ۶۴)، فإن النفى متوجّه «۱» على الخبر و هو صيغة مبالغة، و لا يلزم من نفى المبالغة نفى أصل الفعل؛ فلا يلزم نفى أصل النسيان، و هو كالسؤال الآتى فى (ظلام للعبيد). و يجاب عنه بما سيأتى من الأجوبة. و يختص هذا بجواب آخر؛ و هو مناسبة رءوس الآى قبله. و أما فعّال، فنحو: غفّار، و منان، و توّاب، و وهّاب، فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (البروج: ۲/ ۵۱۱ ۱۶). عَلَّامُ الْغُيُوبِ (المائدة: ۱۱۶)، و نحو: لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (إبراهيم: ۵)، و نحو: نَزَّاعَةً لِلشَّوى (المعارج: ۱۶). و من المشكل قوله تعالى: وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (فصلت: ۴۶) و تقريره «۲» أنه لا يلزم [۱۶۰/ ب من نفى الظلم بصيغة المبالغة نفى أصل الظلم، و الواقع نفيه، قال اللّه تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً (يونس: ۴۴)، إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ (النساء: ۴۰). و قد أجيب عنه باثنى عشر جوابا «۳»: أحدها: أن «ظلاما» و إن كان يراد «۴» به الكثرة لكنه [جاء] «۵» فى مقابلة العبيد و هو جمع كثرة، إذا قوبل بهم [الظلم «۵» كان كثيرا. و يرشح هذا الجواب أنّه سبحانه و تعالى قال فى موضع آخر: عَلَّامُ الْغُيُوبِ (المائدة: ۱۱۶)، فقابل صيغة [«فعال»] «۵» بالجمع، و قال فى موضع آخر: عالِمُ الْغَيْبِ (الجن: ۲۶) فقابل صيغة «۸» «فاعل» الدالة على أصل الفعل بالواحد.

(_____ ۱) فی المخطوطة (یتوجه). (۲) فی المخطوطة (و تقدیره). (۳) لم یذکر المصنف فیما یلی سوی أحد عشر جوابا. (۴) فی المخطوطة (المراد). (۵) ساقطة من المخطوطة. (۸) فی المخطوطة (بصیغة). البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۶ و هذا قریب من الجواب عن قوله تعالی: لَنْ یَسْتَنْکِفَ الْمَسِیحُ أَنْ یَکُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لَا الْمَلائِکَةُ الْمُقَرَّبُونَ (النساء: ۱۷۲) حیث احتج به المعتزلة علی تفضیل الملائکة علی الأنبیاء. ۲/ ۵۱۲ و جوابه أنه قابل عیسی بمفرده بمجموع الملائکة، و لیس النزاع فی تفضیل الجمع علی الواحد. الثانی: أنه نفی الظلم الکثیر «۱»، فینتفی القلیل ضرورة، لأن [القلیل «۲» الذی یظلم إنما یظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترک الظلم الکثیر مع زیادة ظلمه فی حق من یجوز علیه النفع [و الضر] «۲»، کان الظلم القلیل فی المنفعة «۴» أکثر. الثالث: أنه علی النسب، و اختاره ابن مالک «۵»، و حکاه فی «شرح الکافیة» عن المحققین، أی ذا ظلم کقوله: «و لیس بنبّال» «۶» أی بذی نبل. أی لا ینسب إلی الظلم فیکون من باب بزّاز، و عطار. الرابع: أن فعّالا قد جاء غیر مراد به الکثرة کقول طرفة: و لست بحلّال التّلاع «۷» مخافة و لکن [متی «۸» یسترفد القوم أرفد «۹»

(_____ ۱) فی المخطوطة (الکبیر). (۲) ساقطة من المطبوعة. (۴) فی المخطوطة (نفعه). (۵) هو محمد بن عبد اللّه بن عبد اللّه بن مالک، العلامة جمال الدین الطائی الشافعی، تقدم التعریف به فی ۱/ ۳۸۱. و أما کتابه «شرح الکافیة فی النحو» فقد ذکر صاحب کشف الظنون فی ۲/ ۱۳۶۹ «أن الکافیة الشافیة فی النحو» کتاب منظوم لخّص منه ألفیته ثم شرحها و سمی هذا الشرح «الوافیة شرح الکافیة» و طبع شرح المؤلف باسم «شرح الکافیة الشافیة» بتحقیق عبد المنعم هریدی بدمشق دار المأمون للتراث (فهرس الکتب النحویة ص ۱۲۴). (۶) قطعة من عجز بیت لامرئ القیس و هو بتمامه: و لیس بذی رمح فیطعننی به و لیس بذی سیف و لیس بنبّال دیوانه ص ۱۴۲ (طبعة دار صادر). (۷) تصحفت فی المخطوطة إلی (البلاغ). (۸) ساقطة من المخطوطة. (۹) البیت من معلقته انظر دیوانه ص ۲۹ (طبعة دار صادر). البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۷ لا یرید أنّه یحل التلاع قلیلا، لأن ذلک یدفعه قوله: «یسترفد القوم أرفد»، هذا یدل علی نفی الحال فی کلّ حال، لأن «۱» تمام المدح لا یحصل بإیراد «۲» الکثرة. الخامس: أن أقل القلیل لو ورد منه سبحانه- و قد جلّ عنه- لکان کثیرا، لاستغنائه عنه کما یقال: «زلة العالم کبیرة». ذکره الحریری «۳» فی «الدرّة»، قال: و إلیه أشار المخزومیّ فی قوله: کفوفة الظّفر تخفی من حقارتها و مثلها فی سواد العین مشهور «۴» [فوقة الظفر شین فی ظفر الأحداث «۴». السادس: أن نفی المجموع یصدق بنفی واحد، و یصدق بنفی کل واحد، و یعیّن الثانی ۲/ ۵۱۳ فی الآیة للدلیل الخارجیّ، و هو قوله: إِنَّ اللَّهَ لا یَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ (النساء: ۴۰). السابع: أنه أراد: «لیس بظالم، لیس بظالم، [لیس بظالم «۶»» فجعل فی مقابلة ذلک وَ ما رَبُّکَ بِظَلَّامٍ (فصلت: ۴۶). الثامن: أنه جواب لمن قال: ظلّام، و التکرار إذا ورد جوابا لکلام خاص لم یکن له مفهوم کما إذا خرج مخرج الغالب. التاسع: أنه قال: «بظلّام»، لأنه قد یظن أن من یعذّب غیره عذابا شدیدا ظلّام قبل الفحص عن جرم المذنب.

(_____ ۱) فی المخطوطة (و إن). (۲) فی المخطوطة (بإرادة). (۳) هو القاسم بن علی الحریری تقدم التعریف به فی ۱/ ۱۶۴، و کتابه «درة الغواص فی أوهام الخواص» طبع بتحقیق دی ساسی باریس عام ۱۲۴۴ ه/ ۱۸۲۸ م و طبع فی القاهرة طبعة حجر عام ۱۲۷۳ ه/ ۱۸۵۶ م، و طبع فی القسطنطینیة بمطبعة الجوائب عام ۱۲۹۶ ه/ ۱۸۷۸ م، و طبع بتحقیق نوربک فی لیبسک عام ۱۳۸۹ ه/ ۱۹۶۸ م، و أعادت طبعه بالأوفست مکتبة المثنی فی بغداد عام ۱۳۸۹ ه/ ۱۹۶۸ م، و طبع بتحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم القاهرة بمطبعة نهضة مصر عام ۱۳۹۶ ه/ ۱۹۷۵ م (ذخائر التراث العربی: ۱/ ۴۷۰) و انظر درة الغواص ص: ۵۴. (۴) ما بین الحاصرتین ساقط من المطبوعة. (۶) ساقطة من المخطوطة. البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۸ العاشر: أنه لما کان صفات اللّه تعالی صیغة المبالغة [فیها و غیر المبالغة] «۱» سواء فی الإثبات جری النفی علی ذلک. الحادی عشر: أنه قصد التعریض بأن ثمة ظلّاما للعبید من ولاة الجور. و أما «فعال» بالتخفیف و التشدید، نحو عجاب و کبار، قال تعالی: إِنَّ هذا لَشَیْءٌ عُجابٌ (ص: ۵)، و قال: وَ مَکَرُوا مَکْراً کُبّاراً (نوح: ۲۲)، قال المعری «۲» فی «اللّامع العزیزی»: «۳» «فعیل» إذا

أريد به المبالغة نقل به إلى «فعال» و إذا أريد به الزيادة شدّدوا فقالوا: «فعّال»، ذلك من عجيب و عجاب و عجّاب، و قرأ أبو عبد الرحمن السلمى: ۲/ ۵۱۴ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ (ص: ۵) بالتشديد، و قالوا: طويل و طوّال؛ و يقال: نسب قريب، و قراب، و هو أبلغ، قال الحارث بن ظالم «۴»: و كنت إذا رأيت بنى لؤىّ عرفت الودّ و النسب القرابا و أما فعول: كغفور، و شكور، و ودود، فمنه قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ [۱۶۱/ أ] كَفَّارٌ «۵» (إبراهيم: ۳۴). و قوله تعالى فى نوح: إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً (الإسراء: ۳). و قد أطربنى قوله تعالى: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (سبأ: ۱۳) فقلت: الحمد للّه الذى [ما] «۵» قال: «الشاكر». فإن قيل: قوله تعالى: إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً (الإنسان: ۳)، كيف غاير بين الصفتين و جعل المبالغة من جانب الكفران؟.

(_____ ۱) ساقطة من المخطوطة. (۲) أبو العلاء، و كتابه قال القفطى عنه فى إنباه الرواة ۱/ ۱۰۰ «كتاب الفتحى و يعرف «باللامع العزيزى» فى شرح غريب شعر المتنبى، عمل للأمير عزيز الدولة، أبى الدوام ثابت بن الأمير تاج الأمراء ...، مقداره مائة و عشرون كراسة». و انظر (معجم الأدباء ۳/ ۱۶۲). (۳) زيادة فى المخطوطة فى هذا الموضع لا محل لها و هى (فعول). (۴) هو الحارث بن ظالم بن غيظ المرى أبو ليلى، أشهر فتاك العرب فى الجاهلية نشأ يتيما قتل أبوه و هو طفل، و شب فى نفسه أشياء من قاتل والده و آلت إليه سيادة غطفان و كان له فى كل حى يأوى إليه حادثة و شاع خبره فى القبائل فتحامت العرب شره، و انطلق فجعل يطوف فى البلاد حتى وصل إلى الشام فقتل فى حوران نحو ۲۲ ق ه. (الأعلام ۲/ ۱۵۶). (۵) ساقطة من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۸۹ قلت: هذا سأله الصاحب بن عباد للقاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى، فأجاب بأن نعم اللّه على عباده كثيرة، و كلّ شكر يأتى فى مقابلتها قليل، و كلّ كفر يأتى فى مقابلتها عظيم، فجاء شكور «۱» بلفظ «فاعل» و جاء كفور «۲» [بلفظ] «۳» «فعول» على وجه المبالغة. فتهلّل وجه الصاحب. و أما فعل: فكقوله تعالى: وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ (الشعراء: ۵۶). و قوله [تعالى «۴»: كَذَّابٌ أَشِرٌ (القمر: ۲۵)، قرن «فعلا» بفعّال. و أما فعل: فيكون صفة، كقوله تعالى: أَهْلَكْتُ مالًا لُبَداً (البلد: ۶)، [اللّبد] «۴»: الكثير «۶». و قوله [تعالى «۴»: إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ (المدثر: ۳۵). و يكون [مصدرا] «۸» كهدى و تقى، و يكون معدولا عن أفعل من كذا، كقوله تعالى: وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ (آل عمران: ۷) و قوله [تعالى: فَعِدَّةٌ] «۸» مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ (البقرة: ۱۸۴)، كما قال: أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى (الأنعام: ۱۹). و أما فعلى: فيكون اسما، كالشّورى و الرجعى، قال اللّه تعالى: إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى (العلق: ۸)، و قال تعالى: وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا (التوبة: ۴۰). و يكون صفة كالحسنى فى تأنيث الأحسن، و السوأى فى تأنيث الأسوأ، قال [تعالى «۱۰»: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى [أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ «۱۰» (الروم: ۱۰). قال الفارسىّ: يحتمل السوأى تأويلين. أحدهما: أن يكون تأنيث «الأسوأ»، و المعنى كان عاقبتهم لخلة «۱۲» السوأى، فتكون [«السوأى»] «۱۳» على هذا خارجة من الصلة، فتنصب على الموضع، و موضع «أن» ۲ / ۵۱۶

(_____ ۱) فى المخطوطة (شكر). (۲) فى المخطوطة (كفر). (۳) ساقطة من المطبوعة. (۴) ليست فى المخطوطة. (۶) فى المخطوطة (الكسر). (۸) ليست فى المخطوطة. (۱۰) ليست فى المخطوطة. (۱۲) فى المخطوطة (الخلة). (۱۳) ليست فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۰ نصب، فإنه مفعول له، أى كان عاقبتهم الخصلة «۱» السوأى لتكذيبهم. الثانى: أن يكون السّوأى مصدرا مثل الرّجعى، و على هذا فهى داخلة فى الصلة، و منتصبة بأساءوا، كقوله تعالى: وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (المزمل: ۸)، و يكون أَنْ كَذَّبُوا نصبا، لأنه خبر كان. و يجوز فى إعراب السُّواى وجه ثالث؛ و هو أن يكون فى موضع رفع صفة «العاقبة»؛ و تقديرها: ثم كان عاقبتهم المذمومة التكذيب. و «الفعلى» فى هذا الباب و إن كانت فى الأصل صفة، بدليل قوله تعالى: وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى (الأنفال: ۴۲)، و قوله [تعالى «۲»: فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرى (النازعات: ۲۰)، فجرت صفة على موصوفها، فإنها فى كثير من الأمور تجرى مجرى الأسماء؛ كالأبطح، و الأجرع، و الأدهم.

القسم الحادى عشر [إطلاق «۳» المثنى و إرادة الواحد.

القسم الحادى عشر [إطلاق «۳» المثنى و إرادة الواحد. كقوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ (الرحمن: ۲۲)؛ و إنما يخرج من أحدهما. و نظيره قوله تعالى: وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها، (فاطر: ۱۲)، و إنما تخرج الحلية من الملح، و قد غلط فى هذا المعنى أبو ذؤيب الهذلىّ «۴» حيث، قال يذكر الدّرة: «۵» فجاء بها ما شئت من لطميّة «۵» يدوم الفرات فوقها و يموج «۷» (_____». ۱) فى المخطوطة (الخلة). (۲) ليست فى المخطوطة. (۳) ساقطة من المطبوعة. (۴) هو خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب الهذلى، كان فصيحا، كثير الغريب متمكنا فى الشعر، و عاش فى الجاهلية دهرا، و أدرك الإسلام فأسلم، و عامة ما قال من الشعر فى إسلامه، توفى فى خلافة عثمان، و قيل استشهد غازيا بأرض الروم (ابن حجر الإصابة فى تمييز الصحابة ۴/ ۶۶). (۵) العبارة فى المخطوطة: (فاجأها من لطمه). (۷) البيت فى ديوان الهذليين ۱/ ۵۷. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۱ و الفرات لا يدوم فوقها؛ و إنما يدوم الأجاج. و قال أبو علىّ «۱» فى قوله تعالى: عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (الزخرف: ۳۱): « «۲» [إن ظاهر اللفظ يقتضى أن يكون من مكة و الطائف جميعا؛ و لما لم يمكن أن يكون منهما، دلّ المعنى على تقدير: «رجل من إحدى القريتين». و قوله [تعالى : وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً (نوح: ۱۶) «۲»». أى فى إحداهنّ. و قوله تعالى: نَسِيا حُوتَهُما (الكهف: ۶۱)، و الناسى كان يوشع «۴»، بدليل قوله ۳/ ۴ لموسى: فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ (الكهف: ۶۳)؛ و لكن أضيف النّسيان لهما جميعا لسكوت موسى عنه. و قوله [تعالى : فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ «۵» [فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ «۵»] (البقرة: ۲۰۳). و التعجيل يكون فى اليوم الثانى، و قوله: وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ (البقرة: ۲۰۳)، قيل: إنه من هذا أيضا، و إن موضع الإثم و التعجيل يجعل [المتأخر] «۷» الذى لم يقصّر مثل ما جعل للمقصّر. و يحتمل أن يراد: لا يقولنّ أحدهما لصاحبه: أنت مقصّر؛ فيكون المعنى: لا يؤثّم أحدهما صاحبه. و قوله [تعالى : وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ (النساء: ۱۱). و قوله [تعالى : جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ (الأعراف: ۱۹۰)، أى أحدهما، على أحد القولين. و قوله: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ (البقرة: ۲۲۹). فالجناح على الزّوج لأنه أخذ ما أعطى؛ قال أبو بكر الصيرفى «۸» المعنى: فإن (_____». ۱) هو أبو على الفارسى، كما فى الاتقان للسيوطى ۳/ ۱۱۸ فى النوع الثانى و الخمسين فى حقيقته و مجازه. تقدم ذكره فى ۱/ ۳۷۵. (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۴) هو فتى موسى عليه السلام، و هو من ذرية النبى يوسف عليه السلام، قال ابن الأثير: «و ولد يوسف افرايم و منشا فولد لافرايم نون و لنون يوشع» (الكامل فى التاريخ ۱/ ۸۸). (۵) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة و هو فى المطبوعة. (۷) فى المخطوطة «التأخير». (۸) هو محمد بن عبد اللّه، أبو بكر الصيرفى تقدم ذكره فى ۱/ ۳۸۰. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۲ [۱۶۱/ ب خيف من [أحدهما] «۱» ذلك جازت الفدية، و ليس الشرط أن يجتمعا على عدم الإقامة. و قوله تعالى: أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ (ق: ۲۴)، قيل هو خطاب للملك. و قال المبرد «۲»: ثنّاه على «ألق»، و المعنى: ألق ألق، و كذلك القول فى «قفا» و خالفه أبو إسحاق «۳»، و قال: بل هو مخاطبة للملكين. و قال الفراء «۴» فى قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (الرحمن: ۱۳) قال: يخاطب الإنسان مخاطبه بالتثنية. و جعل منه قوله تعالى: وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ (الرحمن: ۴۶): و قوله تعالى: [لِأَحَدِهِما] «۵» جَنَّتَيْنِ (الكهف: ۳۲) فقيل: [المراد] «۵» جنة واحدة بدليل قوله تعالى آخر الآية: وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ (الكهف: ۳۵) فأفرد بعد ما ثنى. و قوله: كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها (الكهف: ۳۳) فإنه ما ثنى هنا إلا للإشعار بأن لها وجهين، و أنك إذا نظرت عن يمينك و يسارك رأيت فى كلتا «۷» الناحيتين ما يملأ عينك قرّة «۷»، و صدرك مسرّة. و قوله تعالى: أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ (المائدة: ۱۱۶) و إنما المتخذ إلها عيسى دون مريم؛ فهو من باب «و النجوم الطوالع» «۹» قاله أبو (_____». ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة و هو فى المخطوطة. (۲) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس المبرّد، تقدم ذكره فى ۲/ ۴۹۷. (۳) هو إبراهيم بن السّرى بن سهل، أبو اسحاق الزجاج، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۰۵. (۴) هو يحيى بن زياد بن عبد اللّه الديلمى، أبو زكريا الفراء،

تقدمت ترجمته فی ۱/ ۱۵۹. (۵) ما بین الحاصرتین ساقط من المطبوعة و هو فی المخطوطة. (۷) فی المخطوطة «الجنتین ما لا عین رأت». (۹) من بیت للفرزدق تمامه: أخذنا بآفاق السّماء علیکم لنا قمراها و النّجوم الطّوالع و البیت فی دیوانه (طبعة دار صادر بیروت ۱/ ۴۱۹) من قصیدة «أولئک آبائی». البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۳ الحسن «۱»، و حکاه عنه ابن جنی «۲» فی کتاب «القدّ» و علیه حمل ابن جنی و غیره قول امرئ القیس: قفا نبک من ذکری حبیب و منزل «۳» و یؤیده قوله بعده: أ صاح تری برقا أریک ومیضه «۴». و قول الفرزدق: عشیّة سال المربدان کلاهما سحابة موت بالسّیوف الصّوارم «۵» و إنما هو مربد البصرة فقط. و قوله: «و دار لها بالرقمتین» «۶». و قوله: «ببطن المکتین» «۷».

(۱) هو سعید بن مسعدة المجاشعی البلخی البصری، تقدمت ترجمته (فی ۱/ ۱۳۴). (۲) هو عثمان بن جنّی، أبو الفتح النحوی تقدم ذکره فی ۱/ ۳۶۱. و کتابه «ذی القدّ فی النحو» ذکره (یاقوت الحموی فی معجم الأدباء ۱۲/ ۱۱۳). و قول ابن جنّی ذکره (السیوطیّ فی الاتقان ۳/ ۱۱۸). (۳) من بیت لامرئ القیس تمامه: قفا نبک من ذکری حبیب و منزل بسقط اللّوی بین الدّخول فحومل و البیت فی دیوانه (طبعة دار صادر. بیروت ص: ۲۹) من معلقته «قفانبک». (۴) صدر بیت له من آخر المعلقة، و تمامه: أ صاح تری برقا أریک ومیضه کلمع الیدین فی حبیّ مکلّل (دیوان امرئ القیس ص: ۵۹). (۵) البیت فی دیوانه (طبعة دار صادر بیروت ۲/ ۳۱۹) من قصیدة عنوانها «حقّنا دماء المسلمین». و فی الدیوان «عجاجة موت». (۶) من بیت لزهیر بن أبی سلمی. من معلقته و تمامه: و دار لها بالرّقمتین کأنّها مراجیع و شم فی نواشر معصم و البیت فی دیوانه (طبعة دار صادر بیروت ص: ۷۴). (۷) أورد المرتضی فی (أمالیه ۲/ ۱۸۴) بیتا قال فیه: فقولا لأهل المکّتین تحاشدوا و سیروا إلی آطام یثرب و النّخل البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۴ و قول جریر: لما مررت بالدّیرین أرقنی صوت الدّجاج و قرع بالنّواقیس «۱». قالوا: أراد «دیر الولید» «۲»؛ فثناه باعتبار ما حوله.

القسم الثانی عشر إطلاق الجمع و إرادة الواحد

القسم الثانی عشر إطلاق الجمع و إرادة الواحد کقوله تعالی: یا أَیُّهَا الرُّسُلُ کُلُوا مِنَ الطَّیِّباتِ (المؤمنون: ۵۱)، إلی قوله: ۳/ ۷ فَذَرْهُمْ فِی غَمْرَتِهِمْ حَتَّی حِینٍ (المؤمنون: ۵۴)، قال أبو بکر الصیرفی «۳»: فهذا خطاب للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم وحده؛ إذ لا نبیّ معه و لا بعده. و مثله: نَحْنُ قَسَمْنا بَیْنَهُمْ مَعِیشَتَهُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا ... (الزخرف: ۳۲) الآیة، و هذا مما لا شریک فیه، و الحکمة فی التعبیر بصیغة الجمع أنه لما کانت تصاریف أقضیته سبحانه و تعالی تجری علی أیدی خلقه «۴» نزّلت أفعالهم منزلة قبول القول بمورد الجمع «۴». و جعل منه ابن فارس «۶» قوله تعالی: وَ إِنِّی مُرْسِلَةٌ إِلَیْهِمْ بِهَدِیَّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ یَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (النمل: ۳۵)، و الرسول کان واحدا، بدلیل قوله تعالی: ارْجِعْ إِلَیْهِمْ (النمل: ۳۷). و فیه نظر؛ من جهة أنه یحتمل مخاطبة رئیسهم، فإنّ العادة جاریة- لا سیّما من الملوک ألّا یرسلوا واحدا. و منه: فَفَرَرْتُ مِنْکُمْ لَمَّا خِفْتُکُمْ (الشعراء: ۲۱) و غیر ذلک، و قد تقدم فی وجوه المخاطبات «۷».

(۱) البیت فی دیوانه (طبعة دار صادر بیروت) ص: ۲۴۹ من قصیدة عنوانها «نحمی و نغتصب الجبار» و فی الدیوان «لما تذکّرت بالدّیرین». انظر (معجم البلدان لیاقوت ۲/ ۵۴۰). (۲) «دیر الولید» بالشام. ذکره (یاقوت فی معجم البلدان ۲/ ۵۴۰). (۳) هو محمد بن عبد اللّه، أبو بکر الصیرفی- تقدمت ترجمته فی ۱/ ۳۸۰. (۴) اضطربت العبارة فی المخطوطة. (۶) هو أحمد بن فارس بن زکریا، تقدمت ترجمته فی ۱/ ۱۹۱. و قد ذکره السیوطی فی (الاتقان ۳/ ۱۱۸). (۷) فی المخطوطة «الخطاب». البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۵ و منه: یُنَزِّلُ الْمَلائِکَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ (النحل: ۲)، و المراد جبریل. و قوله: أَمْ یَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (النساء: ۵۴)؛ و المراد محمد صلّی اللّه علیه و سلّم. و قوله: الَّذِینَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ (آل عمران: ۱۷۳)؛ و المراد بهم ابن مسعود الثقفی «۱»؛ و إنما جاز إطلاق لفظ «الناس» علی الواحد؛ لأنه إذا قال الواحد قولا و له أتباع ۳/ ۸ یقولون مثل قوله، حسن إضافة ذلک الفعل إلی الکل، قال اللّه تعالی: وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً

فَادَّارَأْتُمْ فِيها (البقرة: ۷۲)، وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً (البقرة: ۵۵) و القائل ذلك رءوسهم. و قيل: «المراد بالناس ركب من عبد القيس دسّهم أبو سفيان إلى المسلمين و ضمن لهم عليه جعلا» «۲»، قاله ابن عباس و ابن إسحاق و غيرهما.

القسم الثالث عشر إطلاق لفظ التثنية و المراد الجمع

القسم الثالث عشر إطلاق لفظ التثنية و المراد الجمع كقوله تعالى: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ (الملك: ۴) فإنّه و إن كان لفظه «۳» لفظ التثنية فهو جمع، و المعنى «كرات» لأنّ البصر لا يحسر إلا بالجمع «۳». و جعل منه بعضهم قوله تعالى: الطَّلاقُ مَرَّتانِ (البقرة: ۲۲۹).

القسم الرابع عشر التكرار على وجه التأكيد

اشارة

القسم الرابع عشر التكرار على وجه التأكيد و هو مصدر كرر إذا ردّد و أعاد؛ هو «تفعال» بفتح التاء؛ و ليس بقياس، بخلاف التفعيل.

(_____ ۱) هو نعيم بن مسعود بن عامر، أبو سلمة الأشجعي رضى اللّه عنه. صحابى مشهور. له ذكر فى البخارى أسلم ليالى الخندق، و هو الذى أوقع الخلاف بين الحيّين قريظة و غطفان فى وقعة الخندق، قتل فى أول خلافة الامام على رضى اللّه عنه قبل قدومه البصرة فى وقعة الجمل، و قيل فى خلافة عثمان (ابن حجر الإصابة فى تمييز الصحابة ۳/ ۵۳۸). (۲) الخبر ورد ذكره فى السيرة النبوية لابن هشام ۳/ ۱۰۳ (بتحقيق مصطفى السقا و آخرين). عقب غزوة أحد. (۳) فى المخطوطة (... التثنية على معنى كرات لأنّ البصر لا يحسر إلا بالجمع). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۶ ۳/ ۹ و قال الكوفيون: هو مصدر «فعّل» و الألف عوض من الياء فى التفعيل. [۱۶۲/ أ] و الأول مذهب سيبويه. و قد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنا أنه لا فائدة له؛ و ليس كذلك بل هو من محاسنها، لا سيما إذا تعلّق بعضه ببعض؛ و ذلك أنّ عادة العرب فى خطاباتها إذ أبهمت بشىء إرادة لتحقيقه و قرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كرّرته توكيدا، و كأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد فى الدعاء عليه، حيث تقصد الدعاء؛ و إنما نزل القرآن بلسانهم، و كانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم و بعض، و بهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم فى عجزهم عن المعارضة. و على ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ و الوعد و الوعيد، لأنّ الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة، و كلّها داعية إلى الشهوات، و لا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ و القوارع، قال تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ (القمر: ۱۷) قال فى «الكشاف»: «أى سهّلناه للادّكار و الاتعاظ بأن شحنّاه «۱» بالمواعظ الشافية و صرّفنا فيه من الوعد و الوعيد «۲»». ثم تارة يكون التكرار مرتين؛ كقوله: فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (المدثر: ۱۹- ۲۰). و قوله: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (القيامة: ۳۴- ۳۵). و قوله: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ (التكاثر: ۶- ۷). و قوله: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (النبأ: ۴- ۵). و قوله تعالى: وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (آل عمران: ۷۸). و قوله: فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ (التوبة: ۶۹). و فائدته العظمى «۳» التقرير، و قد قيل: الكلام إذا تكرّر تقرر.

(_____ ۱) فى المطبوعة «نسجناه». (۲) الكشاف للزمخشرى ۴/ ۴۶. (۳) فى المخطوطة «و من الفوائد العظمى التقرير ...». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۷ و قد أخبر اللّه سبحانه بالسبب الذى لأجله كرّر الأقاصيص و الأخبار فى القرآن فقال: وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (القصص: ۵۱). و قال: وَ صَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً (طه: ۱۱۳). و حقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى؛ خشية تناسى الأول، لطول العهد به. فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه، كقوله تعالى: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ* وَ

أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ* قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ* قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي* فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ (الزمر: ۱۱- ۱۵). فأعاد قوله: قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (الزمر: ۱۴) بعد قوله: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، لا لتقرير الأول؛ بل لغرض آخر؛ لأن معنى الأول الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة للّه و الإخلاص له فيها، و معنى الثانى أنه يخصّ اللّه وحده دون غيره بالعبادة و الإخلاص؛ و لذلك قدّم المفعول على فعل العبادة فى الثانى، و أخّر فى الأول؛ ۳/ ۱۱ لأن الكلام أولا فى الفعل؛ و ثانيا فيمن فعل لأجله الفعل. و اعلم أنّه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل، أما إذا وافق الأصل فلا؛ و لهذا لا يتجه سؤالهم: لم كرر «إياك» فى قوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (الفاتحة: ۵). فقيل: إنما كررت للتأكيد، كما تقول: «بين زيد و بين عمرو مال». و قيل: إنما كررت لارتفاع أن يتوهم- إذا حذفت- أنّ مفعول «نستعين» ضمير متصل واقع بعد الفعل، فتفوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود، بتقديم المعمول على عامله. و التحقيق أنّ السؤال غير متجه؛ لأنّ هنا عاملين متغايرين، كلّ منهما يقتضى معمولا، فإذا ذكر معمول كلّ واحد منهما بعده فقد جاء الكلام على أصله، و الحذف خلاف الأصل، فلا وجه للسؤال عن سبب ذكر ما الأصل ذكره، و لا حاجة إلى تكلّف الجواب عنه، و قس بذلك نظائره. و له فوائد: البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۸ أحدها: التأكيد؛ و اعلم أنّ التكرير أبلغ من التأكيد، لأنه وقع فى تكرار [۱۶۲/ ب التأسيس؛ و هو أبلغ من التأكيد، فإنّ التأكيد يقرر إرادة معنى الأول و عدم التجوز، فلهذا قال الزمخشرى فى قوله تعالى: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (التكاثر: ۳- ۴): «إنّ الثانية تأسيس لا تأكيد؛ لأنه جعل الثانية أبلغ فى الإنشاء فقال: و فى ثُمَّ تنبيه على أن الإنذار الثانى أبلغ من الأول» «۱». ۳/ ۱۲ و كذا قوله: وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ* ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ (الانفطار: ۱۷- ۱۸)، و قوله: فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (المدثر: ۱۹- ۲۰) يحتمل أن يكون منه، و أن يكون من المتماثلين. و الحاصل أنه: هل هو إنذار تأكيد، أو إنذاران؟ فإن قلت: «سوف تعلم، ثم سوف تعلم» كان أجود منه بغير عطف؛ لتجريه على غالب استعمال التأكيد، و لعدم احتماله لتعدد المخبر به. و أطلق بدر الدين بن مالك «۲» فى «شرح الخلاصة» أن الجملة التأكيدية قد توصل بعاطف، و لم تختص بثم، و إن كان ظاهر كلام والده التخصيص؛ و ليس كذلك؛ فقد قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ (الحشر: ۱۸)، فإن المأمور فيهما واحد، كما قاله النّحاس «۳» و الزمخشرى و الإمام فخر الدين و الشيخ عزّ الدين «۴»، و رجّحوا ذلك على احتمال أن تكون «التقوى» الأولى مصروفة لشىء غير «التقوى» الثانية مع شأن إرادته. و قولهم: إنه تأكيد، «۵» فمرادهم تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء، لا أنّه تأكيد لفظىّ «۵»، و لو كان تأكيدا لفظيا لما فصل بالعطف، و لما فصل بينه و بين غيره: وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ (الحشر: ۱۸).

(_____ ۱) ذكره الزمخشرى فى الكشاف ۴/ ۲۳۱ «بتصرف». (۲) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك، الشافعى النحوى، تقدم التعريف به و بكتابه فى ۲/ ۱۸۸، و انظر قوله فى كتابه «شرح الألفية» ص ۵۰۹ عند كلامه عن التوكيد. (۳) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل تقدمت ترجمته فى ۱/ ۳۵۶. (۴) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم السلمى، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۳۲. (۵) اضطربت العبارة فى المخطوطة على الشكل التالى «فمرادهم تأكيد المأمور به بتأكيد الانشاء، لا- أنه تكرير لفظى ...». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۹۹ فإن قلت: «اتقوا» الثانية معطوفة على «و لتنظر». أجيب بأنهم قد اتفقوا على أنّ: وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً (البقرة: ۸۳)، معطوف ۳/ ۱۳ على لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ (البقرة: ۸۳)، لا- على قوله: وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً (البقرة: ۸۳)؛ و هو نظير ما نحن فيه. و قوله تعالى: يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ (آل عمران: ۴۲)، و قوله: فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ (البقرة: ۱۹۸) و يحتمل أن يكون «اصطفاءين» و «ذكرين»، و هو الأقرب فى الذكر، لأنّه محل طلب فيه تكرار الذكر. و كقوله تعالى حكاية عن موسى: كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً* وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً (طه: ۳۳- ۳۴). [و لم يقل «نسبّحك و نذكرك كثيرا»] «۱» و قوله: أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ (الرعد: ۵)، كرر «أولئك». و كذلك قوله: أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (البقرة: ۵). و كذا قوله: فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي [هُوَ عَدُوٌّ لَهُما] «۲» ... (القصص: ۱۹) إلى قوله: مِنَ الْمُصْلِحِينَ

(القصص: ۱۹)، كررت «أن» فى أربع مواضع تأكيدا. و قوله: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ* وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (الزمر: ۱۱- ۱۲). الثانى: زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة، ليكمل تلقّى الكلام بالقبول، و منه قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ* يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا ۳/ ۱۴ مَتاعٌ [وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ*] «۳»، (غافر: ۳۸- ۳۹)، فإنه كرر فيه النداء لذلك (_____. ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۰ الثالث: إذا طال الكلام و خشى تناسى الأول أعيد ثانيا تطرية له، و تجديدا لعهده «۱»، كقوله تعالى: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (النحل: ۱۱۹). و قوله: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ... [النحل: ۱۱۰] الآية. و قوله: وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (البقرة: ۸۹) ثم قال: فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا فهذا تكرار للأول، أ لا ترى أن لما لا تجيء بالفاء! و مثله: لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ (آل عمران: ۱۸۸)، ثم قال: فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ (آل عمران: ۱۸۸). و قوله: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ (البقرة: ۲۵۳)، ثم قال: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا (البقرة: ۲۵۳). و منه قوله: إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ (يوسف: ۴). و قوله: أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (المؤمنون: ۳۵) فقوله: أَنَّكُمْ الثانى بناء على الأول، إذكارا «۲» به خشية [۱۶۳/ أ] تناسيه. و قوله: وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ (الروم: ۷). و كذلك قوله: إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ* وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (الصافات: ۱۰۵ إلى ۱۰۷) إلى قوله: كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (الصافات: ۱۰۵). بغير إِنَّا و فى غيره من مواضع ذكر إِنَّا كَذلِكَ، لأنه يبنى على ما سبقه فى هذه الصّيغة «۳» من قوله إِنَّا كَذلِكَ؛ فكأنه صرّح «۴» فيما اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا. و لأن التأكيد بالنسبة، فاعتبر اللفظ من حيث هو دون توكيده «۵»_____».

(۱) فى المخطوط «و تجديد العهد». (۲) فى المخطوط «و إذكارا». (۳) فى المطبوعة «القصّة». (۴) فى المطبوعة «طرح». (۵) فى المخطوطة «تأكيده». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۱ و يحتمل أن يكون من باب الاكتفاء؛ و هذا أسلوب غريب، و قلّ فى القرآن وجوده، و أكثر ما يكون عند تقدم مقتضيات الألفاظ، كالمبتدإ، و حروف الشرطين الواقعين «۱» فى الماضى و المضارع. و يستغنى عنه عند أمر محذور «۲» التناسى. و قد يرد منه شيء يكون بناؤه بطريق الإجمال و التفصيل بأن تتقدم «۳» التفاصيل و الجزئيات فى القرآن، فإذا خشى عليها التناسى لطول العهد بها بنى على ما سبق بها بالذكر الجملىّ، كقوله تعالى: فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وَ كُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ وَ قَتْلِهِمُ «۴» [الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا* وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ «۴» (النساء: ۱۵۵) إلى قوله: وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً (النساء: ۱۶۱) فقوله فَبِظُلْمٍ بيان لذكر الجملىّ على ما سبق فى القول من التفصيل، و ذلك أن الظلم جملىّ على ما سبق من التفاصيل من النقض و الكفر و قتل الأنبياء، وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ (النساء: ۱۵۵) و القول على مريم بالبهتان، و دعوى قتل المسيح عليه السلام، إلى ما تخلل ذلك من أسلوب الاعتراض بها موضعين. و هما قوله: بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (النساء: ۱۵۵)، و قوله: وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ (النساء: ۱۵۷) إلى قوله: شَهِيداً (النساء: ۱۵۹) و [دون «۶» أنه لما ذكر بالبناء جملىّ الظلم من قوله فَبِظُلْمٍ لأنه يعم على كل ما تقدم و ينطوى عليه ذكر حينئذ متعلق الجملى من قوله: فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ (النساء: ۱۵۵) عقب الباء لأن العامل فى الأصل حقه أن يلى معموله، فقال: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا (النساء: ۱۶۰) هو متعلق بقوله: فَبِظُلْمٍ (النساء: ۳/ ۱۶ ۱۶۰)، و قد اشتمل الظلم على كلّ ما تقدم قبله، كما أنه أيضا اشتمل على كل ما تأخر من المحرّمات الأخر التى عددت بعد ما اشتملت على ذكر الشيء بالعموم و الخصوص؛ فذكرت الجزئيات الأولى بخصوص كلّ واحد، ثم ذكر العام المنطوى عليها؛ فهذا تعميم بعد تخصيص. ثم ذكرت جزئيات أخر بخصوصها، فتركيب الأساليب من وجوه كثيرة فى الآية؛ و هو التعميم بعد التخصيص، ثم التخصيص بعد التعميم، ثم البناء بعد الاعتراض. (_____۱) فى المخطوط «الواقع». (۲) فى

المخطوط «محدود». (۳) فى المخطوط «يتقدّم». (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۶) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۲ و منه قوله تعالى: وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ (الفتح: ۲۵) إلى قوله: عَذاباً أَلِيماً (الفتح: ۲۵)، فقوله: وَ لَوْ لا- رِجالٌ مُؤْمِنُونَ (الفتح: ۲۵) إلى قوله: بِغَيْرِ عِلْمٍ (الفتح: ۲۵) هو المقتضى الأول المتقدم، و قوله لَوْ تَزَيَّلُوا (الفتح: ۲۵) هو المقتضى الثانى و هو البناء، لأنه المذكّر بالمقتضى الأول الّذى هو «لو لا» خشية تناسيه، فهو مبنى على الأول، ثم أورد مقتضاها من الجواب بقوله: لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ (الفتح: ۲۵) ورودا واحدا من حيث أخذا معا، كأنهما مقتضى منفرد، من حيث هما واحد بالنوع؛ و هو الشرط الماضى. فقوله: لَوْ تَزَيَّلُوا (الفتح: ۲۵) بناء على قوله: وَ لَوْ لا رِجالٌ (الفتح: ۲۵) نظر فى المضارعة. و أما قوله: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (النحل: ۱۱۹) فيجوز أن يكون تكريرا، و يجوز أن يكون الكلام عند قوله: وَ أَصْلَحُوا و يكون الثانى بيانا لمجمل لا تكريرا. و قد جعل ابن المنيّر «۱» من هذا القسم قوله [۱۶۳/ ب تعالى. مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ (النحل: ۱۰۶) ثم قال: مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً (النحل: ۱۰۶). ۳/ ۱۷ و قوله: وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ ... (الفتح: ۲۵) ثم قال: لَوْ تَزَيَّلُوا (الفتح: ۲۵) و نازعه العراقى «۲» لأن المعاد فيهما أخصّ من الأول؛ و هذا يجىء فى كثير مما ذكرنا، و لا بد أن يكون وراء التكرير شىء أخصّ منه كما بيّنا. الرابع: فى مقام التعظيم و التهويل؛ كقوله تعالى: الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ (الحاقة: ۱- ۲) الْقارِعَةُ* مَا الْقارِعَةُ (القارعة: ۱- ۲). إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ (القدر: ۱- ۲). و قوله: وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ (الواقعة: ۲۷).

(_____ ۱) هو أحمد بن محمد بن منصور الجذامى، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۷۶. (۲) هو عبد الكريم بن على بن عمر الأنصارى، علم الدين العراقى، خطيب جامع مصر، ولد سنة (۶۲۲ ه) اعتنى علم الدين بالعلوم الشرعية فمهر فى الفقه و الأصول و العربية، و مهر فى الكتابة و الحساب و له نظم و نثر، كان حسن الفكاهة متواضعا لا يسأم من المذاكرة، له من التصانيف «الانتصار للزمخشرى من ابن المنير» أخذ عنه أبو حيّان و السبكى و آخرون توفى سنة (۷۰۴ ه) (ابن حجر، الدرر الكامنة ۲/ ۳۹۹). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۳ و قوله: فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ* وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ (الواقعة: ۸- ۹). و قوله: لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ (المدثر: ۳۱). الخامس: فى مقام الوعيد و التهديد، كقوله تعالى: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (التكاثر: ۴- ۵) و ذكر ثُمَّ فى المكرر دلالة على أن الإنذار الثانى أبلغ من الأول، و فيه تنبيه على تكرر ذلك مرة بعد أخرى، و إن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرّق إليه تغيير، بل هو مستمر دائما. السادس: التعجّب، كقوله تعالى: فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (المدثر: ۳/ ۱۸ ۱۹- ۲۰)، فأعيد تعجّبا من تقديره و إصابته الغرض، على حدّ: قاتله اللّه ما أشجعه! السابع: لتعدد المتعلق، كما فى قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (الرحمن: ۱۳)، فإنها و إن تعدّدت؛ فكلّ واحد منها متعلق بما قبله، و إنّ اللّه تعالى خاطب بها الثّقلين من الإنس و الجن، و عدّد عليهم نعمه التى خلقها لهم، فكلّما ذكر فصلا من فصول النّعم طلب إقرارهم و اقتضاهم الشكر عليه، و هى أنواع مختلفة، و صور شتى. فإن قيل: فإذا كان المعنىّ فى تكريرها عدّ النعم و اقتضاء الشكر عليها، فما معنى قوله: يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ (الرحمن: ۳۵)؟ و أىّ نعمة هنا! و إنما هو وعيد. قيل: إن نعم اللّه فيما انذر به و حذّر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها، نظير أنعمه على ما وعده، و بشر من ثوابه على طاعته؛ ليرغبوا فيها، و يحرصوا عليها؛ و إنما تتحقق معرفة الشىء بأن تعتبره بضدّه، و الوعد و الوعيد و إن تقابلا- فى ذواتهما، فإنهما متقاربان فى موضع النعم بالتوقيت على ملاك الأمر منها، و عليه قول بعض حكماء الشعراء: و الحادثات و إن أصابك بؤسها فهو الذى أنباك كيف نعيمها و إنما ذكرنا هذا، لتعلم الحكمة فى كونها زادت على ثلاثة، و لو كان عائدا لشىء واحد لما زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لا يقع به أكثر من ثلاثة. فإن قيل: فإذا كان المراد بكلّ ما قبله، فليس ذلك بإطناب، بل هى ألفاظ أريد بها غير ما أريد بالآخر. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۴ ۳/ ۱۹ قلت إن قلنا: العبرة بعموم اللفظ؛ فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر. و قد تكلف لتوجيه العدّة التى جاءت عليها هذه الآية مكررة، قال الكرمانىّ «۱»: جاءت آية واحدة فى هذه

السورة كرّرت نيّفا و ثلاثين مرة، لأن ست عشرة راجعة إلى الجنان، لأن لها ثمانية أبواب، و أربعة عشر منها راجعة إلى النعم و النقم، فأعظم النقم جهنم، و لها سبعة أبواب. و جاءت سبعة فى مقابلة تلك الأبواب، و سبعة عقب كل نعمة ذكرها للثّقلين. و قال غيره: نبّه فى سبع منها على ما خلقه اللّه للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدّة أمهات النعم [۱۶۴/ أ] و أفرد سبعا منها للتخويف، و إنذارا على عدة أبواب المخوف منه، و فصل بين الأول و السبع الثوانى بواحدة سوّى فيها بين الخلق كلهم فيما كتبه عليهم من الفناء، حيث اتصلت بقوله: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ (الرحمن: ۲۶)، فكانت خمس عشرة، أتبعت بثمانية فى وصف الجنان و أهلها على عدة أبوابها، ثم بثمانية أخر فى وصف الجنتين اللتين من دون الأوليين لذلك أيضا فاستكملت إحدى و ثلاثين. و من هذا النوع قوله تعالى: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (الآية: ۱۵)، فى سورة المرسلات عشر مرات، لأنه سبحانه ذكر قصصا مختلفة، و أتبع كلّ قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة: «ويل للمكذبين بهذه القصة! و كل قصة مخالفة لصاحبتها»، فأثبت الويل لمن كذّب بها. و يحتمل أنه لما كان جزاء الحسنة بعشر أمثالها، و جعل للكفّار فى مقابلة كلّ مثل من الثواب ويل. ۳/ ۲۰ و منها فى سورة الشعراء قوله تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ* وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (الآية: ۸- ۹) فى ثمانية مواضع؛ لأجل الوعظ، فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرة الواحدة. و أما قوله: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً، فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام، و العجب من تخلّف من لا يتأملها مع ظهورها. و أما مناسبة قوله: الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ فإنه تعالى نفى الإيمان عن الأكثر؛ فدلّ بالمفهوم

(_____ ۱) هو محمود بن حمزة بن نصر، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۲۰۶. و انظر قوله فى كتابه البرهان فى توجيه متشابه القرآن (بتحقيق: عبد القادر أحمد عطا) ص: ۱۷۹، بتصرّف. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۵ على إيمان الأقلّ، فكانت العزة على من لم يؤمن، و الرحمة لمن آمن، و هما مرتبتان كترتيب الفريقين. و يحتمل أن يكون من هذا النوع قوله تعالى: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ... (التكاثر: ۴- ۵) الآية، لأنّ علمهم يقع أولا و ثانيا على نوعين مختلفين بحسب المقام؛ و هذا أقرب للحقيقة الوضعية و حال المعبر عنه؛ فإن المعاملات الإلهيّة للطائع و العاصى متغيّرة الأنواع [الدنيوية] «۱» ثم البرزخية، ثم الحشرية، كما أن أحوال الاستقرار بعد الجميع فى الغاية؛ بل كل مقام من هذه أنواع مختلفة، و فى «ثم» دلالة على الترقى، إن لم يجعل الزمان مرتبا فى الإنذار على التكرار، و فى المنذر به على التنويع. و منه تكرار: فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ (القمر: ۳۹)، قال الزمخشرى: كرّر ليجدوا عند سماع كل نبإ منها اتعاظا و تنبيها، و أن كلا من تلك الأنباء مستحق باعتبار يختص به، و أن يتنبهوا كيلا يغلبهم السرور و الغفلة «۲». و منه قوله تعالى: قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ* لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ ... (الكافرون: ۱- ۲) إلى آخرها يحكى أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن علىّ رضى اللّه عنهما عن هذه الآية ۳/ ۲۱ فقال: «إنّى أجد فى القرآن تكرارا و ذكر له ذلك، فأجابه الحسن بما حاصله: إن الكفار قالوا: نعبد إلهك شهرا و تعبد آلهتنا شهرا»، فجاء النفى متوجها إلى ذلك. و المقصود أن هذه [الآية] «۳» ليست من التكرار فى شىء، بل هى بالحذف و الاختصار أليق؛ و ذلك لأن قوله: لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ (الكافرون: ۲)؛ أى لا أعبد فى المستقبل [ما تعبدون فى المستقبل «۴»، و قوله: وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ (الكافرون: ۴)، أى و لا أنا عابد فى الحال ما عبدتم فى المستقبل، [وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ (الكافرون: ۳) فى الحال ما أعبد فى المستقبل «۵». و الحاصل أن القصد نفى عبادته لآلهتهم فى الأزمنة الثلاثة: الحال، و الماضى،

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۲) الكشاف ۴/ ۴۶، بتصرّف. (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۵) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۶ و الاستقبال؛ و المذكور فى الآية النفى فى الحال و الاستقبال، و حذف الماضى من جهته و من جهتهم؛ و لا بد من نفيه، لكنه حذف لدلالة الأولين عليه. و فيه تقدير آخر؛ و هو أن الجملة الأولى فعلية، و الثانية اسمية، و قولك: [۱۶۴/ ب «لا أفعله و لا أنا فاعله» أحسن من قولك: «لا أفعله و لا أفعله»؛ فالجملة الفعلية نفى لإمكانه، و الاسمية نفى لاتّصافه، كما فى قوله تعالى: وَ ما أَنْتَ بِهادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ (الروم: ۵۳)، وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي

الْقُبُورِ (فاطر: ۲۲). و المعنى أنه تبرّأ من فعله و من الاتّصاف به، و هو أبلغ فى النفى؛ و أما المشركون فلم ينتف عنهم إلا- بصيغة واحدة؛ و هى قوله: وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ (الكافرون: ۳) فى الموضعين. و فرق آخر، و هو أنه قال فى نفيه الجملة الاسمية: وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ (الكافرون: ۴)، و قال فى النفى عنهم: وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ (الكافرون: ۳) عائد فى حقه بين الجملتين، و قال: لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ (الكافرون: ۲) بالمضارع، و فى الثانى: وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ (الكافرون: ۴) بالماضى، فإن المضارع يدل على الدوام، بخلاف الماضى، فأفاد ذلك أنّ ما عبدتموه و لو مرّة ما أنا عابد له البتّة، ففيه كمال ۳/ ۲۲ براءته و دوامها ممّا عبدوه و لو مرّة؛ بخلاف قوله: لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ (الكافرون: ۲)، فإن النفى من جنس الإثبات، و كلاهما مضارع يظهران جملة و منفردا. و منه تكرير الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام فى ثلاث آيات من سورة البقرة؛ لأن المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس: اليهود؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ فى أصل مذهبهم. و أهل النفاق أشدّ إنكارا له، لأنه كان أول نسخ نزل. و كفار قريش قالوا: ندم محمد على فراق ديننا فيرجع إليه كما رجع إلى قبلتنا، و كانوا قبل ذلك يحتجون عليه فيقولون: يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملّة إبراهيم و إسماعيل؛ و قد فارق قبلتهما و آثر عليها قبلة اليهود؛ و قال اللّه تعالى حين أمره بالصلاة إلى الكعبة: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ (البقرة: ۱۵۰) و الاستثناء منقطع، أى لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون و لا يهتدون. و قال سبحانه: الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا- تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (البقرة: ۱۴۷) أى الذين أشركوا فلا- تمتر فى ذلك، و قال تعالى: وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (البقرة: ۱۴۶)، أى يكتمون ما علموا أن الكعبة هى قبلة الأنبياء. و منه قوله تعالى: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ* وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (الصافات: البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۷ ۱۷۴- ۱۷۵:) و قال صاحب «الينبوع» «۱»: لم يبلغنى عن المفسرين فيه شىء. و قال المفسرون فى غريب القرآن: هما فى المعنى كالآيتين المتقدمتين، فكرّر «۲» ۳/ ۲۳ للتأكيد و تشديد الوعيد. و يحتمل أن يكون «الحين» فى الأوليين يوم بدر، و «الحين» فى هاتين يوم فتح مكة. و من فوائد قوله تعالى فى الأوليين: (و أبصارهم) و فى هاتين: (فأبصر) أن الأولى بنزول العذاب بهم يوم بدر قتلا و أسرا و هزيمة و رعبا، فما تضمنت التشفّى بهم قيل له: (أبصارهم)، و أما يوم الفتح فإنه اقترن بالظهور عليهم الإنعام بتأمينهم و الهداية إلى إيمانهم فلم يكن وفقا للتشفى بهم، بل كان فى استسلامهم، و إسلامهم لعينه قرّة، و لقلبه مسرّة، فقيل له: (أبصر). و يحتمل على هذا- إن شاء اللّه- أن يكون من فوائد قوله تعالى فى هذه: فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أى يبصرون منك عليهم بالأمان، و منّا عليهم بالإيمان. و منه قوله تعالى: لا- هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ (الممتحنة: ۱۰). و للتكرار فائدتان: إحداهما: أنّ التحريم قد يكون فى الطرفين؛ و لكن يكون المانع من إحداهما؛ كما لو [۱۶۵/ أ] ارتدّت الزوجة قبل الدخول؛ يحرم النكاح من الطرفين؛ و المانع من جهتهما «۳»، فذكر اللّه سبحانه الثانية، ليدل على أن التحريم كما هو ثابت فى الطرفين كذلك المانع منهما. و الثانية: أنّ الأولى دلّت على ثبوت التحريم فى الماضى؛ و لهذا أتى فيها بالاسم الدّال على الثبوت؛ و الثانية فى المستقبل، و لهذا أتى فيها بالفعل المستقبل. و منه تكرار الإضراب.

(_____ ۱) هو محمد بن أبى محمد بن محمد بن ظفر، أبو عبد اللّه الصقلى، تقدمت ترجمته و التعريف بكتابه فى ۲/ ۱۶۷. (۲) فى المخطوطة «فكرّرتا». (۳) فى المخطوطة «جهتها». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۸ و اعلم أن «بل» إذا ذكرت بعد كلام موجب فمعناها الإضراب. و هو إما أن يقع فى كلام الخلق؛ و معناه إبطال ما سبق على طريق الغلط من المتكلم؛ أو أنّ الثانى أولى. و إما أن يقع فى كلام اللّه تعالى، و هو ضربان: أحدهما: أن يكون ما فيها من الردّ راجعا إلى العباد؛ كقوله تعالى: قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ (الأنبياء: ۵). و الثانى: أن يكون إبطالا؛ و لكنه على أنه قد انقضى وقته؛ و أن الذى بعده أولى بالذكر، كقوله تعالى: بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ [بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ «۱» (النمل: ۶۶) و قوله: بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ (ص: ۸). و زعم ابن مالك فى شرح «الكافية» «۲» أن «بل» حيث وقعت فى القرآن فإنها للاستئناف لغرض آخر لا لإبطال الأول؛ و هو مردود بما سبق، و بقوله: وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ (الأنبياء: ۲۶)؛ فأضرب بها عن قولهم، و أبطل كذبهم. و قوله: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ

(الشعراء: ۱۶۶)، أضرب بها عن حقيقة إتيانهم الذكور و ترك الأزواج. و منه قوله تعالى: وَ أَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ (الطلاق: ۲)، ۳/ ۲۵ فالأول للمطلّقين و الثانى للشهود؛ نحو: وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ [أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ ...] «۳» (البقرة: ۲۳۲)، [أوّلها للأزواج «۴» و آخرها للأولياء. و منه تكرار الأمثال، كقوله تعالى: وَ ما يَسْتَوِى الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ* وَ لَا الظُّلُماتُ وَ لَا النُّورُ* وَ لَا الظِّلُّ وَ لَا الْحَرُورُ* وَ ما يَسْتَوِى الْأَحْياءُ وَ لَا الْأَمْواتُ (فاطر: ۱۹ - ۲۰ - ۲۱ - ۲۲).

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۲) هو محمد بن عبد اللّه بن مالك، العلّامة جمال الدين الطائى الشافعى، تقدم فى ۱/ ۳۸۱ و انظر التعريف بكتابه فى ۳/ ۸۶. (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۰۹ و كذلك ضرب مثل المنافقين أول البقرة «۱» ثنّاه اللّه تعالى. قال الزمخشرىّ: «و الثانى [أبلغ «۲» من الأول لأنه أدلّ على فرط الحيرة، و شدّة الأمر و فظاعته»، قال: «و لذلك أخّر]، و هم يتدرّجون فى نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ». و منه تكرار القصص فى القرآن؛ كقصة إبليس فى السجود لآدم، و قصة موسى و غيره من الأنبياء، قال بعضهم: ذكر اللّه موسى فى مائة و عشرين موضعا من كتابه، قال ابن العربى «۳» فى «القواصم»: ذكر اللّه قصة نوح فى خمسة و عشرين آية، و قصة موسى فى سبعين آية. انتهى. و إنما كررها لفائدة خلت عنه فى الموضع الآخر و هى أمور: أحدهما: أنه إذا كرّر القصة زاد فيها شيئا، أ لا ترى أنه ذكر الحية فى عصا موسى عليه ۳/ ۲۶ السّلام، و ذكرها فى موضع آخر ثعبانا، ففائدته أن ليس كل حية ثعبانا، و هذه عادة البلغاء، أن يكرر أحدهم فى آخر خطبته أو قصيدته كلمة [لصفة] «۴» زائدة. الثانية: أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين؛ و كان أكثر من آمن به مهاجريا؛ فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، و قصة عيسى إلى آخرين، و كذلك سائر القصص، فأراد اللّه سبحانه و تعالى اشتراك الجميع [۱۶۵/ ب فيها، فيكون فيه إفادة القوم، و زيادة تأكيد و تبصرة لآخرين و هم الحاضرون، و عبّر عن هذا ابن الجوزى «۵» و غيره. [بأن يقال كل من الصادرين عنه صلّى اللّه عليه و سلّم «۶» (_____ ». ۱) يشير المؤلف إلى قوله تعالى مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ... الآية. (البقرة: ۱۷- ۱۹). (۲) ذكره الزمخشرى فى الكشاف ۱/ ۴۱. (۳) هو محمد بن عبد اللّه بن محمد، الإمام أبو بكر ابن العربى الاندلسى الاشبيلى (ت ۵۴۳ ه) تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۰۹. و أما كتابه «القواصم» فقد طبع باسم «العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم» طبعة أولى فى الجزائر باشراف (عبد الحميد بن باريس) سنة ۱۳۴۶ ه/ ۱۹۲۷ م. و طبع ثانيا بتحقيق (محب الدين الخطيب) و نشرته لجنة الشباب عام ۱۳۷۱ ه/ ۱۹۵۱ م فى (۲۹۵) ص. و طبع بتحقيق (عمار الطالبى) بدار الغرب الإسلامى فى بيروت عام ۱۴۰۵ ه/ ۱۹۸۵ م. و لم نجد قوله فى الكتاب المطبوع. (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۵) هو عبد الرحمن بن على بن محمد أبو الفرج بن الجوزى، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۸۲. (۶) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۰ الثالثة: [تسليته لقلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم «۱» مما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم قال تعالى: وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ (هود: ۱۲۰). الرابعة: أن إبراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة و أساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة. الخامسة: أن الدّواعى لا تتوفر على نقلها [كتوفرها على نقل «۲» الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام. ۲/ ۲۷ السادسة: أن اللّه تعالى أنزل هذا القرآن، و عجز القوم عن الإتيان بمثل آية، لصحّة نبوّة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، ثم بين و أوضح الأمر فى عجزهم؛ بأن كرر ذكر القصة فى مواضع، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأىّ نظم جاءوا، بأى عبارة عبّروا، قال ابن فارس «۳»: و هذا هو الصحيح. السابعة: أنه لما سخر العرب بالقرآن قال: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ (البقرة: ۲۳)، و قال فى موضع [آخر: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ (هود: ۱۳)، فلو ذكر قصة آدم مثلا فى موضع واحد و اكتفى بها لقال العربىّ بما قال اللّه تعالى: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ «۴»، (البقرة: ۲۳)، «ايتونا أنتم بسورة من مثله»، فأنزلها سبحانه فى تعداد السور، دفعا لحجّتهم من كل وجه. الثامنة: أنّ القصة الواحدة من هذه القصص؛ كقصة موسى مع فرعون و إن ظنّ

أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد فى ألفاظها زيادة و نقصان و تقديم و تأخير، و تلك حال المعانى الواقعة بحسب تلك الألفاظ؛ فإن كلّ واحدة لا بدّ و أن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها؛ فكأنّ اللّه تعالى فرّق ذكر ما دار بينهما و جعله أجزاء، ثم قسّم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متفرقة فيها؛ و لو جمعت تلك القصص فى موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة؛ من انفراد كل قصة منها بموضع؛ كما وقع فى القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصّة، فاجتمعت فى هذه الخاصية؛ من نظم القرآن عدة معان عجيبة:

(۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) هو أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين القزوينى، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۹۱. (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۱ منها: أن التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يوقع فى اللفظ هجنة، و لا أحدث مللا، فباين بذلك كلام المخلوقين. و منها: أنه ألبسها زيادة و نقصانا و تقديما و تأخيرا؛ ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه ۳/ ۲۸ واحدة بأعيانها، فيكون شيئا معادا؛ فنزّهه عن ذلك بهذه التغييرات. و منها: أن المعانى التى اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة فى تارات التكرير فيجد البليغ لما فيها من التغيير ميلا إلى سماعها، لما جبلت عليه النفوس من حبّ التنقل فى الأشياء المتجددة التى لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفة. و منها: ظهور الأمر العجيب فى إخراج صور متباينة فى النظم بمعنى واحد؛ و قد كان المشركون فى عصر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يعجبون من اتساع الأمر فى تكرير هذه القصص و الأنباء مع تغاير أنواع النظم، و بيان وجوه التأليف، فعرّفهم اللّه سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية، و لا يقع على كلامه عدد؛ لقوله تعالى: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى [۱۶۶/ أ] وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً (الكهف: ۱۰۹) و كقوله: وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ ... (لقمان: ۲۷) الآية. و قال القفّال فى تفسيره «۱»: ذكر اللّه فى أقاصيص بنى إسرائيل وجوها من المقاصد: أحدها: الدلالة على صحة نبوّة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم؛ لأنه أخبر عنها من غير تعلّم؛ و ذلك لا يمكن إلا بالوحى. الثانى: تعديد النعم على بنى إسرائيل، و ما منّ اللّه على أسلافهم من الكرامة و الفضل؛ كالنجاة من آل فرعون، و فرق البحر لهم، و ما أنزل عليه فى التيه من المنّ و السلوى، و تفجّر الحجر و تظليل الغمام. الثالث: إخبار اللّه نبيّه بتقديم كفرهم و خلافهم و شقاوتهم و تعنتهم على الأنبياء، فكأنه تعالى ۳ / ۲۹

(۱) هو محمد بن على بن إسماعيل القفّال، تقدمت ترجمته فى ۲/ ۹۶. و تفسيره ذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ۱۶/ ۲۸۵ و قال: «قال أبو الحسن الصّفّار: سمعت أبا سهل الصعلوكى و سئل عن تفسير أبى بكر القفّال، فقال: قدّسه من وجه، و دنّسه من وجه، أى دنّسه من جهة نصره للاعتزال». و التفسير ذكره أيضا البغدادى فى هدية العارفين ۲/ ۴۸. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۲ يقول: إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيّهم الذى أعزهم اللّه به، و أنقذهم من العذاب بسببه؛ فغير بدع ما يعامله به أخلافهم محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم. الرابع: تحذير أهل الكتاب الموجودين فى زمن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم من نزول العذاب بهم؛ كما نزل بأسلافهم. و هنا سؤالان: أحدهما: ما الحكمة فى عدم تكرر قصة يوسف عليه السلام، و سوقها مساقا واحدا فى موضع واحد، دون غيرها من القصص؟ و الجواب من وجوه: الأول «۱»: [ما] «۲» فيها من تشبيب النسوة به، و تضمن الإخبار عن حال امرأة و نسوة افتتنّ بأبدع الناس جمالا، و أرفعهم مثالا، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء و الستر عن ذلك. و قد صحح الحاكم فى «مستدركه» «۳» حديثا مرفوعا: النهى عن تعليم النساء سورة يوسف. الثانى «۴»: أنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص، فإنّ مآلها إلى الوبال، كقصة إبليس، و قوم نوح، و قوم هود، و قوم صالح؛ و غيرهم، فلما اختصّت هذه القصة فى «۵» سائر القصص، بذلك اتفقت الدّواعى على نقلها لخروجها عن سمت «۶» القصص. الثالث «۷»: قاله الأستاذ أبو إسحاق الأسفراينى «۸» إنما كرر اللّه قصص الأنبياء، و ساق

(۱) فى المخطوطة «أحدها». (۲) ما

بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۳) هو محمد بن عبد اللّه بن حمدويه بن الحاكم النيسابورى ت (۴۰۵ ه). و أما كتابه «المستدرك على الصحيحين» فقد طبع بحيدرآباد عام ۱۳۴۳ ه/ ۱۹۲۴ م فى أربع مجلدات كبار. (۴) فى المخطوطة «ثانيها». (۵) فى المخطوطة «من بين». (۶) فى المخطوطة «سمة». (۷) فى المخطوطة «ثالثها». (۸) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الأسفراييني تقدم فى ۲/ ۱۷۹. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۳ قصة يوسف مساقا واحدا، إشارة إلى عجز العرب، كأنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال لهم: إن كان من تلقاء ۳/ ۳۰ نفسى تصديره على الفصاحة، فافعلوا فى قصة يوسف ما فعلت فى قصص سائر الأنبياء. السؤال الثانى: أنّه سبحانه و تعالى ذكر قصة قوم نوح، و هود، و صالح، و شعيب، و لوط، و موسى، فى سورة الأعراف و هود و الشعراء، و لم يذكر معهم قصة إبراهيم، و إنّما ذكرها فى سورة الأنبياء، و مريم، و العنكبوت، و الصافات. و السرّ فى ذلك أن تلك السّور الأول ذكر اللّه فيها نصر رسله بإهلاك قومهم، و نجاء الرسل و أتباعهم، و هذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم؛ بل كان المقصود ذكر الأنبياء و إن لم يذكر قومهم؛ و لهذا سميت سورة الأنبياء؛ فذكر فيها إكرامه للأنبياء؛ و بدأ [فيها] «۱» بقصة إبراهيم، إذ كان المقصود ذكر كرامته الأنبياء قبل محمد، و إبراهيم أكرمهم على اللّه، و هو خير البرية، و هو أب أكثرهم، و ليس هو أب نوح و لوط؛ لكن لوط من أتباعه، و أيوب من ذريته، بدليل قوله تعالى فى سورة الأنعام: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ (الآية: ۸۴). و أما سورة العنكبوت؛ فإنه سبحانه و تعالى ذكر فيها امتحانه للمؤمنين، و نصره لهم، و حاجتهم إلى الجهاد؛ و ذكر فيها حسن العاقبة لمن صبر، و عاقبة من كذب الرسل؛ فذكر قصة إبراهيم؛ لأنها من النّمط الأول. و كذلك فى سورة الصافات قال [۱۶۶/ ب فيها: وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ* وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ* فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (الآيات: ۷۱- ۷۲- ۷۳)؛ و هذا يقتضى أنها عاقبة رديئة؛ إما بكونهم غلبوا و ذلّوا؛ و إما بكونهم أهلكوا، و لهذا ذكر قصة إلياس دون غيرها و لم يذكر إهلاك قومه، بل قال: فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (الصافات: ۱۲۷). و قد روى أن اللّه رفع إلياس؛ و هذا يقتضى عذابهم فى الآخرة؛ فإن إلياس لم يقم ۱۳/ ۳۱ بينهم، و إلياس المعروف بعد موسى من بنى إسرائيل، و بعد موسى لم يهلك المكذبين بعذاب الاستئصال؛ و بعد نوح لم يهلك جميع النوع، و قد بعث اللّه فى كلّ أمة نذيرا، و اللّه سبحانه لم يذكر عن قوم إبراهيم أنهم أهلكوا كما ذكر ذلك عن غيرهم؛ بل ذكر أنّهم ألقوه فى النار فجعلها بردا و سلاما، و فى هذا ظهور برهانه و آياته؛ حيث أذلّهم و نصره؛ فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ (الصافات: ۹۸) و هذا من جنس المجاهد الذى [يعرض عدوّه، (_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۴ و القصص الأول من جنس المجاهد الذى «۱» قتل عدوه، و إبراهيم بعد هذا لم يقم بينهم بل هاجر و تركهم؛ و أولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين أظهرهم حتى هلكوا، و لم يوجد فى حق إبراهيم سبب الهلاك؛ و هو إقامته فيهم، و انتظار العذاب النازل؛ و هكذا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم مع قومه، لم يقم فيهم، بل خرج عنهم حتى أظهره اللّه عليهم بعد ذلك؛ و محمد و إبراهيم أفضل الرسل؛ فإنهم إذا علموا حصل المقصود، و قد يتوب منهم من تاب، كما جرى لقوم يونس؛ فهذا و اللّه أعلم هو السرّ فى أنّه سبحانه لم يذكر قصة إبراهيم مع هؤلاء؛ لأنها ليست من جنس واقعتهم. فإن قيل: فما وجه الخصوصية بمحمد و إبراهيم بذلك؟ فالجواب: أمّا حالة إبراهيم فكانت إلى الرحمة أميل؛ فلم يسع فى هلاك قومه [لا بالدعاء و لا بالمقام و دوام «۲» إقامة «۳» الحجة عليهم؛ و قد قال اللّه تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا فَأَوْحى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ* وَ لَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ (إبراهيم: ۱۳- ۱۴)، و كان كلّ قوم يطلبون هلاك نبيّهم فعوقبوا؛ ۳/ ۳۲ و قوم إبراهيم و إن أوصلوه إلى العذاب؛ لكن جعله اللّه عليه بردا و سلاما، و لم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به العذاب؛ إذ الدنيا ليست دار الجزاء العام؛ و إنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة و المصلحة؛ كما فى العقوبات الشرعية، فمن أرادوا عداوة [أحد] «۴» من أتباع الأنبياء ليهلكوه فعصمه اللّه، و جعل صورة الهلاك نعمة فى حقه؛ و لم يهلك أعداءه بل أخزاهم و نصره؛ فهو أشبه بإبراهيم عليه السلام؛ إذ عصمه اللّه من كيدهم، و أظهره حتى صارت الحرب بينهم و بينه سجالا، ثم كانت له العاقبة

فهو أشبه بحال محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، فإن محمدا سيد الجميع، و هو خليل اللّه، كما أن إبراهيم عليه السلام خليله، و الخليلان هما أفضل الجميع، و فى طريقهما من الرأفة و الرحمة ما ليس فى طريق غيرهما، و لم يذكر اللّه عن قوم إبراهيم ذنبا غير الشرك، و كذلك عن قوم نوح، و أما عاد فذكر عنهم التجبّر، و عمارة الدنيا، و قوم صالح ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الأنبياء، و أهل مدين الظلم فى الأموال مع الشرك، و قوم لوط استحلال الفاحشة، و لم يذكر أنهم أقروا بالتوحيد، بخلاف سائر الأمم، و هذا يدل [۱۶۷/ أ] على أنهم لم يكونوا مشركين، و إنما كان دينهم استحلال الفاحشة و توابع ذلك، و كانت عقوبتهم أشدّ.

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة «لإقامة». (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة.

البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۵

و هذه الأمور تدل على حكمة الرب و عقوبته لكل قوم بما يناسبهم؛ و لما لم يكن فى قوم نوح خير يرجى غرق الجميع. و اللّه المستعان. فتأمل هذا الفصل و عظم فوائده و تدبر حكمته، فإنه سر عظيم من أسرار القرآن العظيم، كقوله تعالى: أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَ أَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَ أَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى (محمد: ۱۵)، فأعاد ذكر «الأنهار» مع كل صنف؛ و كان يكفى أن يقال فيها: «أنهار من ماء، و من لبن، و من خمر، و من عسل»؛ لكن لما ۳/ ۳۳ كانت الأنهار من الماء حقيقة؛ و فيما عدا الماء مجازا للتشبيه؛ فلو اقتصر على ذكرها مع الماء و عطف الباقى عليه لجمع بين الحقيقة و المجاز. فإن قلت: فهلّا أفرد ذكر الماء و جمع الباقى صيغة واحدة؟ قيل: لو فعل ذلك لجمع بين محامل من المجاز مختلفة فى صيغة واحدة، و هو قريب فى المنع من الذى قبله.

فائدة

فائدة قد يستثقلون تكرار اللفظ فيعدلون [عنه «۱» لمعناه؛ كقوله تعالى: فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (الطارق: ۱۷)؛ فإنه لما أعيد اللفظ غيّر «فعّل» إلى «أفعل» فلما ثلّث ترك اللفظ أصلا، فقال: «رويدا». و قوله تعالى: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً (الكهف: ۷۴)، ثم قال: إِمْراً (الكهف: ۷۱). قال الكسائى «۲»: معناه شيئا منكرا كثير الدهاء من جهة الإنكار؛ من قولهم: أمر القوم إذا كثروا. قال الفارسىّ «۳»: و أنا أستحسن قوله هذا. و قوله تعالى: ارْجِعُوا وَراءَكُمْ (الحديد: ۱۳)، قال الفارسى: وَراءَكُمْ (الحديد: ۱۳) فى موضع فعل الأمر أى تأخروا؛ و المعنى ارجعوا تأخروا؛ فهو تأكيد و ليست ظرفا؛ لأن الظروف لا يؤكّد بها.

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۲) هو علىّ بن حمزة الكسائى انظر ترجمته فى ۱/ ۴۷۷. (۳) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، الإمام أبو على الفارسى، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۳۷۵.

البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۶

۳/ ۳۴ و إذا تكرر اللفظ بمرادفه جازت الإضافة؛ كقوله تعالى: عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (سبأ: ۵)، و القصد المبالغة، أى عذاب مضاعف، و بالعطف كقوله تعالى: إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ (يوسف: ۸۶)، و قوله: فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا (البقرة: ۱۰۹).

القسم الخامس عشر الزيادة فى بنية الكلمة

القسم الخامس عشر الزيادة فى بنية الكلمة و أعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه؛ فلا بدّ أن يتضمّن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا؛ لأن الألفاظ أدلّة على المعانى؛ فإذا زيدت فى الألفاظ وجب زيادة المعانى ضرورة. و منه قوله تعالى: فَأَخَذْناهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (القمر: ۴۲)؛ فهو أبلغ من «قادر» لدلالته على أنه قادر متمكّن القدرة؛ لا يردّ شىء عن اقتضاء قدرته؛ و يسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى. و كقوله تعالى: وَ اصْطَبِرْ (القمر: ۲۷) فإنّه أبلغ من الأمر بالصبر من «اصبر». و قوله: لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ (البقرة: ۲۸۶) لأنه لما كانت السيئة ثقيلة و فيها تكلّف زيد فى لفظ فعلها. و قوله تعالى: وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ

فِیها (فاطر: ۳۷)؛ فإنّه أبلغ من «یتصارخون». و قوله تعالی: فَکَبْکِبُوا فِیها (الشعراء: ۹۴) و لم یقل «و کبوا» قال الزمخشری «۱»: و الکبکبة تکریر الکبّ، جعل التکریر فی اللفظ دلیلا علی التکریر فی ۳/ ۳۵ المعنی، کأنه إذا ألقی فی جهنم کبه مرة بعد أخری حتی یستقرّ فی قعرها، اللّهم أجرنا منها خیر مستجار! و قریب من هذا قول الخلیل «۲» فی قول العرب: صرّ الجندب، و صرصر البازی،

(_____ ۱) فی الکشاف تفسیر آیة فَکُبْکِبُوا فِیها هُمْ ... الآیة ۳/ ۱۱۹. بتصرّف. (۲) هو العالم الأدیب، الخلیل بن أحمد بن عمر، أبو عبد الرحمن الفراهیدی، تقدم ذکره فی ۱/ ۳۰۵ و انظر قوله فی: کتابه العین ۷/ ۸۱ (بتحقیق د. مهدی المخزومی و د. إبراهیم السامرائی و نشرته دار الهجرة فی قم- إیران). البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۷ کأنهم توهموا فی صوت [۱۶۷/ ب الجندب استطالة، فقالوا: صرّ صریرا، فمدوا و توهموا فی صوت البازی تقطیعا، فقالوا: «صرصر». و منه الزیادة بالتشدید أیضا؛ فإنّ «ستّارا» و «غفّارا» أبلغ من «ساتر» و «غافر»؛ و لهذا قال تعالی: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ إِنَّهُ کانَ غَفَّاراً (نوح: ۱۰)؛ و من هذا رجّح بعضهم معنی «الرحمن» علی معنی «الرحیم»؛ لما فیه من زیادة البناء، و هو الألف و النون، و قد سبق فی السادس. و یقرب منه التضعیف- و یقال التکثیر- و هو أن یؤتی بالصیغة دالة علی وقوع الفعل مرة بعد مرة. و شرطه أن یکون فی الأفعال المتعدّیة قبل التضعیف؛ و إنما جعله متعدیا تضعیفه؛ و لهذا ردّ علی الزمخشری فی قوله تعالی: وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا (البقرة: ۲۳)؛ حیث جعل نَزَّلْنا؛ هنا للتضعیف. و قد جاء التضعیف دالا علی الکثرة فی اللازم قلیلا، نحو: موّت المال. و جاء حیث لا یمکن فیه التکثیر، کقوله تعالی: لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَةٌ مِنْ رَبِّهِ (الرعد: ۷) لَنَزَّلْنا عَلَیْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَکاً رَسُولًا (الإسراء: ۹۵). فإن قلت: فَأُمَتِّعُهُ قَلِیلًا (البقرة: ۱۲۶) مشکل علی هذه القاعدة، لأنه إذا کان «فعّل» للتکثیر، فکیف جاء «قلیلا» نعتا لمصدر «متّع» و هذا وصف کثیر بقلیل، و إنه ممنوع. قلت: وصف بالقلّة من حیث صیرورته إلی نفاد و نقص و فناء. ۳/ ۳۶ و اعلم أن زیادة المعنی فی هذا القسم مقید بنقل صیغة الرباعیّ غیر موضوعة لمعنی؛ فإنه لا یراد به ما أرید من نقل الثلاثی إلی مثل تلک الصیغة؛ فقوله تعالی: وَ کَلَّمَ اللَّهُ مُوسی تَکْلِیماً (النساء: ۱۶۴)؛ لا یدلّ علی کثرة صدور الکلام منه؛ لأنه غیر منقول عن ثلاثیّ. و کذا قوله: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا (المزمل: ۴) [لا] «۱» یدلّ علی کثرة القراءة علی هیئة التأنی و التدبّر.

(_____ ۱) ما بین الحاصرتین ساقط من المطبوعة. البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۸ و کذا قوله تعالی: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ (یس: ۶۹) لیس النفی للمبالغة؛ بل [نفی «۱» أصل الفعل.

القسم السادس عشر التفسیر

اشارة

القسم السادس عشر التفسیر و تفعله «۲» العرب فی مواضع التعظیم، کقوله تعالی: اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ (البقرة: ۲۵۵)، قال البیهقی «۳» فی شرح الأسماء الحسنی: «قرأت فی تفسیر الجنیدی «۴» أن قوله: لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ (البقرة: ۲۵۵)، تفسیر للقیّوم». و قوله تعالی: إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَ إِذا مَسَّهُ الْخَیْرُ مَنُوعاً (المعارج: ۱۹- ۲۰- ۲۱). و قوله تعالی: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِیمٌ (المائدة: ۹) فإن هذا تفسیر للوعد. ۳/ ۳۷ و قوله تعالی: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ (النور: ۵۵) [فقوله لیستخلفنهم «۵» تفسیر للوعد و تبیین له، لا مفعول ثان؛ فلم یتعدّ الفعل منها إلا إلی واحد. و قوله تعالی: إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللَّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ (آل عمران: ۵۹). ف «خلقه» تفسیر للمثل.

(_____ ۱) ما بین الحاصرتین ساقط من المخطوطة. (۲) فی المخطوطة «و تفضّله». (۳) هو الإمام أحمد بن الحسین بن علی أبو بکر البیهقی النیسابوری، تقدمت ترجمته فی ۱/

۱۰۰ و أما كتابه «شرح الأسماء الحسنى» ذكره حاجى خليفة فى كتابه كشف الظنون ۲/ ۱۰۳۲. (۴) هو أبو بكر محمد بن عبدوس بن أحمد بن الجنيد المقرئ المفسّر الواعظ الجنيدى، من أهل نيسابور، كان إماما فاضلا بالقراءات عالما بمعانى القرآن، سمع «الحسين بن الفضل» و السرىّ بن خزيمة و غيرهما و سمع منه «الحاكم الحافظ» و ذكره فى التاريخ و قال: «أبو بكر المفسر الواعظ، كان إمام خراسان بلا مدافعة فى القراءات و معانى القرآن». توفى فى شهر ربيع الأول سنة (۳۳۸ ه). (السمعانى، الأنساب ۳/ ۳۲۷). (۵) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۱۹ و قوله تعالى: يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ (البقرة: ۴۹)، ف «يذبّحون» و ما بعده تفسير للسّوم، و هو فى القرآن كثير. قال أبو الفتح بن جنى «۱»: «و متى كانت الجملة تفسيرا لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها لأن تفسير الشىء لاحق به، و متمّم له، و جار مجرى بعض أجزائه؛ كالصلة من الموصول، و الصفة من الموصوف». و قد يجىء لبيان العلّة و السبب، كقوله تعالى: فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ (يس: ۷۶)؛ و ليس هذا من قولهم، «۲» [و إلّا لما حزن الرسول؛ و إنما يجىء به لبيان السبب فى أنه لا يحزنه قولهم. و كذلك قوله: وَ لا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ «۲» إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً (يونس: ۶۵). و لو جاءت الآيتان على حد ما جاء قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا [۱۶۸/ أ] [وَ عَمِلُوا] «۴» الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (المائدة: ۹)، لكانت «أن» مفتوحة، لكنها جاءت على حد قوله ...

فائدة

فائدة ۳/ ۳۸ قيل: الجملة التفسيرية لا موضع لها من الإعراب. و قيل: يكون لها موضع إذا كان للمفسّر موضع؛ و يقرب منها ذكره تفصيلا، كما سبق فى قوله: وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (الأعراف: ۱۴۲). و مثل: فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ (البقرة: ۱۹۶).

القسم السابع عشر خروج اللفظ مخرج الغالب

القسم السابع عشر خروج اللفظ مخرج الغالب كقوله تعالى: وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ (النساء: ۲۳)، فإن

(_____۱) هو أبو الفتح، عثمان بن جنّى النحوى. تقدمت ترجمته فى ۱/ ۳۶۱. (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۰ الحجر ليس بقيد عند العلماء؛ لكنّ فائدة التقييد تأكيد الحكم فى هذه الصورة مع ثبوته عند عدمها؛ و لهذا قال بعده: فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ (النساء: ۲۳) و لم يقل: «فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ (النساء: ۲۳) و لم يكنّ فى حجوركم» فدلّ على أن الحجر خرج مخرج العادة. و اعترض بأن الحرمة إذا كانت بالمجموع فالحلّ يثبت بانتفاء المجموع، و المجموع ينتفى بانتفاء جزئه، كما ينتفى بانتفاء كل فرد من المجموع. و أجيب بأنه إذا نفى أحد شطرى العلّة كان جزء العلة ثابتا؛ فيعمل عملها. فإن قيل: لما قال: مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ (النساء: ۲۳)، «۱» [قال فى ۳/ ۳۹ الآية بعدها] «۱»: وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ (النساء: ۲۴) علم من مجموع ذلك أن الربيبة لا تحرم إذا لم يدخل بأمّها؛ فما فائدة قوله تعالى: فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ (النساء: ۲۳)؟ قيل: فائدته ألّا يتوهم أن قيد الدخول خرج مخرج الغالب لا مخرج الشرط؛ كما فى الحجر المفهوم إذا خرج مخرج الغالب، فلا تقييد فيه عند الجمهور، خلافا لإمام الحرمين «۳» و الشيخ عز الدين بن عبد السلام «۴» و العراقى «۵»، حيث قالوا: «إنه ينبغى أن يكون حجة بلا خلاف إذا لم تغلب»؛ لأن الصفة إذا كانت غالبة دلّت العادة عليها؛ فاستغنى المتكلم بالعادة عن ذكرها، فلما ذكرها مع استغنائه عنها دلّ ذلك على أنه لم يرد الإخبار بوقوعها للحقيقة؛ بل ليترتب عليها نفى الحكم من المسكوت «۶»؛ أما إذا لم تكن غالبة أمكن أن يقال: إنما ذكرها ليعرف السامع أن هذه الصفة تعرض لهذه الحقيقة. و منه قوله تعالى: وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ (الإسراء: ۳۱). و قوله تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ (البقرة: ۲۸۳)، و جوّزوا أنّ

الرهن لا يختصّ بالسفر، لكن ذكر لأن فقد الكاتب يكون [فيه «۷» (_____ ۱) فى المخطوطة «ثم قال فى آخر الآية». (۳) هو عبد الملك بن عبد اللّه بن يوسف بن محمد الجوينى، أبو المعالى تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۱۸. (۴) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم السلمى تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۳۲. (۵) هو عبد الكريم بن على بن عمر الأنصارى، علم الدين العراقى، تقدمت ترجمته فى ۳/ ۱۰۲. (۶) فى المخطوطة «عن السكوت». (۷) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۱ غالبا، فلما كان السفر مظنة إعواز الكاتب و الشاهد الموثوق بهما، أمر على سبيل الإرشاد بحفظ مال المسافرين بأخذ الوثيقة الأخرى؛ و هى الرهن. و قوله تعالى: فَلَيسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ (النساء: ۱۰۱)، و القصر جائز مع أمن السفر، لأن ذلك خرج مخرج الغالب لا الشرط، و غالب أسفار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه لم تخل من خوف العدوّ. و منهم من جعل الخوف هنا شرطا إن حمل القصر على ترك الركوع و السجود و النزول عن الدابّة و الاستقبال و نحوه؛ لا فى عدد الركعات، لكن ذلك شدة خوف لا خوف، و سبب ۳/ ۴۰ النزول لا- يساعده. و كقوله تعالى: فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً (النور: ۳۳).

القسم الثامن عشر القسم

اشارة

القسم الثامن عشر القسم و هو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر، حتى إنهم جعلوا قوله تعالى: وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ (المنافقون: ۱) قسما و إن كان فيه إخبار، إلا أنه لما جاء توكيدا للخبر سمّى قسما. [۱۶۸/ ب و لا- يكون إلا- باسم معظم، كقوله: فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ (الذاريات: ۲۳). و قوله: قُلْ إِى وَ رَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ (يونس: ۵۳). و قوله: قُلْ بَلى وَ رَبِّى لَتُبْعَثُنَّ (التغابن: ۷). و قوله: فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ (مريم: ۶۸). و قوله: فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (الحجر: ۹۲). و قوله: فَلا- وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (النساء: ۶۵). و قوله: فَلا- أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ (المعارج: ۴۰). فهذه سبعة مواضع أقسم اللّه فيها بنفسه و الباقى كله أقسم بمخلوقاته. كقوله: وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ (التين: ۱). فَلا- أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ* وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (الواقعة: ۷۵- ۷۶). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۲ فَلا- أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ* الْجَوارِ «۱» الْكُنَّسِ (التكوير: ۱۵- ۱۶). و إنما يحسن فى مقام الإنكار. فإن قيل: ما معنى القسم منه سبحانه؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن يصدّق مجرّد «۲» الإخبار؛ و إن كان لأجل الكافر فلا يفيده. [فالجواب «۳»: قال الأستاذ أبو القاسم القشيرىّ «۴»: «إنّ اللّه ذكر القسم لكمال الحجة و تأكيدها، و ذلك أن الحكم يفصل باثنين: إمّا بالشّهادة، و إمّا بالقسم، فذكر اللّه تعالى [فى كتابه «۵» النوعين حتى لا يبقى لهم حجة» «۶» [فقال: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ [آل عمران: ۱۸] و قال قُلْ إِى وَ رَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ «۶» (يونس: ۵۳). «۸» [و قوله: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (الحجر: ۷۲). و عن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: وَ فِى السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ* فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ «۸» (الذاريات: ۲۲- ۲۳) صاح و قال: من الذى أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين؟ قالها ثلاثا، ثم مات. فإن قيل: كيف أقسم بمخلوقاته و قد ورد النهى علينا ألّا نقسم بمخلوق؟ قيل: فيه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنّه حذف مضاف، أى «و رب الفجر» و «رب التين»، و كذلك الباقى. و الثانى: أن العرب كانت تعظّم هذه الأشياء و تقسم بها؛ فنزل القرآن على ما يعرفون. ۳/ ۴۲ و الثالث: أن الأقسام إنما تجب بأن يقسم الرجل بما يعظّمه، أو بمن يجلّه؛ و هو فوقه_____

(۱) فى المطبوعة «الجوارى». (۲) فى المخطوطة «بمجرد الإخبار [من غير قسم » و ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۴) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك تقدم ذكره فى ۱/ ۳۶۰. (۵) ما بين الحاصرتين ساقط

من المطبوعة. (۶) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۸) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۳ و اللّه تعالى ليس شيء فوقه؛ فأقسم تارة بنفسه، و تارة بمصنوعاته، لأنها تدلّ على بارئ و صانع؛ و استحسنه ابن خالويه «۱». و قسمه بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى قوله: لَعَمْرُكَ (الحجر: ۷۲) ليعرّف الناس عظمته عند اللّه، و مكانته لديه، قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى «كنز اليواقيت» «۲»: «و القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة أو لمنفعة؛ فالفضيلة كقوله تعالى: وَ طُورِ سِينِينَ* وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (التين: ۲- ۳)، و المنفعة نحو: وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ» (التين: ۱). و أقسم سبحانه بثلاثة أشياء: أحدها: بذاته، كقوله تعالى: فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ (الذاريات: ۲۳) فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (الحجر: ۹۲). و الثانى: بفعله، نحو: وَ السَّماءِ وَ ما بَناها* وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها* وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها (الشمس: ۵- ۶- ۷). و الثالث: مفعوله، نحو: وَ النَّجْمِ إِذا هَوى (النجم: ۱)، وَ الطُّورِ* وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ (الطور: ۱ - ۲). و هو ينقسم باعتبار آخر إلى مظهر و مضمر: فالمظهر كقوله تعالى: فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ (الذاريات: ۲۳) و نحوه. و المضمر على قسمين: قسم دلّت عليه لام القسم، كقوله: لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ ۳/ ۴۳ وَ أَنْفُسِكُمْ (آل عمران: ۱۸۶) و قسم دلّ عليه المعنى، كقوله تعالى: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها (مريم: ۷۱) تقديره «و اللّه». و قد أقسم تعالى بطوائف [من «۳» الملائكة فى أول سورة الصافات، و المرسلات، و النازعات.

(۱) هو الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالويه تقدم فى ۲/ ۳۶۹. (۲) أبو القاسم القشيرى تقدمت ترجمته فى ۱/ ۳۶۰ و أما كتابه «كنز اليواقيت» فقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون» ۲/ ۱۵۲۰. (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۴

فوائد

فوائد الأولى: أكثر الأقسام المحذوفة الفعل فى القرآن؛ لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل؛ كقوله تعالى: وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ [جَهْدَ أَيْمانِهِمْ «۱» (النحل: ۳۸) و يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ (التوبة: ۶۲). و لا تجيء «۲» الباء و الفعل محذوفا إلا قليلا؛ و عليه حمل ۳/ ۴۴ بعضهم قوله: يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ (لقمان: ۱۳) «۳» [و قال: الباء باء القسم؛ و ليست متعلّقة ب «تشرك»، و كأنّه يقول: يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ ثم «۳» ابتدأ فقال: بِاللَّهِ لا تشرك؛ و حذف «لا تشرك» لدلالة الكلام عليه: و كذلك قوله: ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ (الزخرف: ۴۹)؛ قيل: إن قوله: [۱۶۹/ أ] «بِما عَهِدَ» قسم؛ و الأولى أن يقال: إنه سؤال لا قسم. و قوله: ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ (المائدة: ۱۱۶) فتقف على لِي و تبتدئ بِحَقٍّ فتجعله قسما. هذا مع قول النحويين: إن الواو فرع الياء؛ لكنه قد يكثر الفرع فى الاستعمال و يقلّ الأصل. الثانية: قد علمت أن القسم إنما جيء به لتوكيد المقسم عليه؛ فتارة يزيدون فيه للمبالغة فى التوكيد، و تارة يحذفون منه للاختصار و للعلم بالمحذوف. فما زادوه لفظ «إى» بمعنى «نعم» كقوله تعالى: قُلْ إِي وَ رَبِّي (يونس: ۵۳). و مما يحذفونه فعل القسم و حرف الجر، و يكون الجواب مذكورا، كقوله تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ (الأحزاب: ۲۱) أى «و اللّه». و قوله: لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ (الشعراء: ۴۹)، لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (العلق: ۱۵)، لَيُسْجَنَنَّ وَ لَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ (يوسف: ۳۲). ۳/ ۴۵ و قد يحذفون الجواب و يبقون القسم للعلم به، كقوله تعالى: ص وَ الْقُرْآنِ ذِي

(۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۲) فى المخطوطة «تجد». (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۵ الذِّكْرِ (ص: ۱) على أحد الأقوال؛ أن الجواب حذف لطول الكلام؛ و تقديره «لأعذّبنهم على كفرهم». و قيل: الجواب: إن ذلك لحق. و مما حذف فيه المقسم به قوله تعالى: قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ (المنافقون: ۱)، أى نحلف إنك لرسول اللّه؛ لأن الشهادة بمعنى اليمين، بدليل قوله: أَيْمانَهُمْ جُنَّةً (المنافقون: ۲). و أما قوله تعالى: فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ (ص: ۸۴) «۱» [فالأول قسم بمنزلة «و الحقّ» و جوابه «لأملأنّ»، و قوله: وَ الْحَقَّ أَقُولُ «۱» (ص: ۸۴) توكيد للقسم. و أما قوله: وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ (البروج: ۱)، ثم قال: قُتِلَ أَصْحابُ

الْأُخْدُودِ (البروج: ۴) قالوا: و هو جواب القسم، و أصله «لقد قتل» ثم حذف اللام و قد. الثالثة: قال الفارسى «۳» فى «الحجّة»: «الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان: أحدهما: ما تكون جارية كغيرها من الأخبار التى ليست بقسم، فلا تجاب بجوابه، كقوله تعالى: وَ قَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (الحديد: ۸)، وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ (البقرة: ۶۳)، فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ (المجادلة: ۱۸)؛ فهذا و نحوه يجوز أن يكون قسما و أن يكون حالا- لخلوّه من الجواب. و الثانى: ما يتعلق بجواب القسم، كقوله تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ (آل عمران: ۱۸۷)، وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ (النحل: ۳۸). ۳/ ۴۶ الرابعة: القسم و الشرط، يدخل كلّ منهما على الآخر؛ فإن تقدم القسم و دخل الشرط بينه و بين الجواب كان الجواب للقسم؛ و أغنى عن جواب الشرط؛ و إن عكس فبالعكس؛ و أيهما تصدّر كان الاعتماد عليه و الجواب له. (_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار تقدمت ترجمته فى ۱/ ۳۷۵. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۶ و من تقدّم القسم قوله تعالى: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ (مريم: ۴۶)، تقديره «و اللّه لئن لم تنته»، فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم، و لكنها زائدة، و تسمى الموطّئة للقسم و يعنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم منتظر؛ أى الشرط لا يصلح أن يكون «۱» [جوابا؛ لأن الجواب لا- يكون إلا خبرا] «۱». و ليس دخولها على الشرط بواجب، بدليل حذفها فى قوله تعالى: وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (المائدة: ۷۳). و الذى يدلّ على الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه؛ و أنه ليس بمجزوم، بدليل قوله تعالى: لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ (الإسراء: ۸۸) و لو كان جواب الشرط لكان مجزوما. و أما قوله تعالى: وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (آل عمران: ۱۵۸)؛ فاللام فى «و لئن» هى الموطّئة للقسم، و اللام فى لَإِلَى اللَّهِ هى لام القسم؛ و لم تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه و بين اللام بالجار و المجرور. و الأصل «لئن متم أو قتلتم لتحشرون إلى اللّه» فلما قدم معمول الفعل عليه حذف منه. ۳/ ۴۷

القسم التاسع عشر [۱۶۹/ ب إبراز الكلام فى صورة المستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جمله.

القسم التاسع عشر [۱۶۹/ ب إبراز الكلام فى صورة المستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جمله. كقول العرب: لا أكلمك حتى يبيض القار، و حتى يشيب الغراب، و كقوله تعالى: وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ (الأعراف: ۴۰)، يعنى و الجمل لا يلج فى السّم، فهؤلاء «۳» لا يدخلون، فهو فى المعنى متعلق بالحال، فالمعنى أنهم لا يدخلون الجنة أصلا، و ليس للغاية هنا مفهوم، و وجه التأكيد فيه كدعوى الشىء ببينة، لأنه جعل ولوج الجمل فى السّم غاية لنفى دخولهم الجنة، و تلك غاية لا توجد، فلا يزال دخولهم الجنة منتفيا (_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة «فهم». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۷ و غالى بعض الشعراء فى وصف جسمه بالنحول، فجاء بما يزيد على الآية، فقال: و لو أنّ ما بى من جوى و صبابة على جمل لم يبق فى النّار خالد و هذا على طريقة الشعراء فى اعتبار المبالغة، و إلا فمعارضات القرآن لا تجوز، كما سبق التنبيه عليه. و منه قوله تعالى: وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ (النساء: ۲۲). فإن المعنى: إن كان ما سلف فى الزمن السالف يمكن رجوعه فحلّه ثابت، لكن لا يمكن رجوعه أبدا، و لا يثبت حلّه أبدا، و هو أبلغ فى «۱» النهى المجرد. و منه قوله تعالى: قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ (الزخرف: ۸۱)، أى و لكن ليس له ولد، فلا أعبد سواه. و قوله تعالى: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلَّا سَلاماً (مريم: ۶۲)، أى إن كان تسليم ۳/ ۴۸ بعضهم على بعض، أو تسليم الملائكة عليهم لغوا، فلا يسمعون لغوا إلا ذلك؛ فهو من باب قوله: و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب «۲». و منه قوله: لا- يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى (الدخان: ۵۶)، فإن الناس استشكلوا وجه الاستثناء، مع أنهم لا يذوقون فيها الموت مطلقا. و مقتضى استثنائها من النفى أنهم يذوقونها فى الجنة و ليس كذلك. و وجهه الزمخشرى «بأنه من التوكيد

فى الدلالة، و الموتة الأولى لا يذوقونها أصلا؛ إذ يستحيل عود ما وقع؛ فلا يذوقون فيها الموت أصلا، أى إن كانوا يذوقون فلا يكون ذلك إلا الموتة الأولى، و إن [كان «۳» إيقاع الموتة الأولى فى الجنة مستحيلا، فعرّض بالاستثناء إلى استحالة الموت فيها» «۴».

(_____ ۱) فى المخطوطة «من». (۲) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة مطلعها «كلينى لهم». (ديوان النابغة الذبيانى ص: ۱۱) طبعة دار صادر، بيروت. (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۴) الكشاف ۳/ ۴۳۵ بتصرف. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۸ هذا إن جعلنا الاستثناء متصلا، فإن كان منقطعا، فالمعنى: «لكن الموتة الأولى قد ذاقوها». و يحتمل على الاتصال أن يكون المعنى فيها، أى فى مقدّماتها، لأن الذى يرى مقامه فى الجنة عند الجنة عند موته ينزّل منزلة من هو فيها، بتأويل الذوق على معنى المستحيل. فهذه ثلاثة أوجه.

القسم الموفى العشرين الاستثناء و الاستدراك

القسم الموفى العشرين الاستثناء و الاستدراك ۳/ ۴۹ و وجه التأكيد فيه أنه ثنّى ذكره مرتين، مرة فى الجملة و مرة فى التفصيل. فإذا قلت: قام القوم إلا زيدا، فكأنه كان فى جملتهم، ثم خرج منهم؛ كقوله تعالى: فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ (الحجر: ۳۰- ۳۱)؛ فإنّ فيه معنى زائدا على الاستثناء، هو تعظيم أمر الكبيرة التى أتى بها إبليس، من كونه خرق إجماع الملائكة، و فارق جميع الملأ الأعلى بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم؛ و هو بمثابة قولك: أمر الملك بكذا فأطاع أمره جميع الناس، من أمير و وزير إلا فلانا، فإن الإخبار عن معصية الملك بهذه الصيغة، أبلغ من قولك: [أمر الملك «۱» فعصاه فلان. و فى ضمن ذلك [۱۷۰/ أ] وصف اللّه سبحانه بالعدل فيما ضربه على إبليس من خزى الدنيا، و ختم عليه من عذاب الآخرة. و منه قوله تعالى: فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً (العنكبوت: ۱۴) فإنّ فى الإخبار عن المدة بهذه الصيغة «۲» [تهويلا على السامع؛ ليشهد عذر نوح عليه السلام فى الدعاء على قومه. و حكمة الإخبار عن المدة بهذه الصيغة] «۲» تعظيم للمدّة؛ ليكون أوّل ما يباشر السمع ذكر «الألف» و اختصار اللفظ؛ فإنّ لفظ القرآن أخصر من «تسعمائة و خمسين عاما»؛ و لأن لفظ القرآن يفيد حصر العدد المذكور و لا يحتمل الزيادة عليه و لا النقص. و منه قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ* خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ (هود: ۱۰۶ - ۱۰۷) فإنه سبحانه لما علم أن

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۲۹ وصف الشقاء يعمّ المؤمن العاصى و الكافر، استثنى من حكم بخلوده فى النار بلفظ مطمع، حيث أثبت الاستثناء المطلق، و أكده بقوله: إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (هود: ۱۰۷)؛ أى أنه لا اعتراض عليه فى إخراج أهل الشقاء من النار. و لما علم أنّ أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة أكّد خلودهم بعد الاستثناء بما يرفع أصل الاستثناء، حيث قال: عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (هود: ۱۰۸) أى غير منقطع؛ ليعلم أن عطاءه لهم الجنة غير منقطع. و هذه ۳/ ۵۰ المعانى زائدة على الاستثناء اللغوىّ. و قيل: وجه الاستثناء فيه الخروج من الجنة إلى منزلة أعلى كالرضوان و الرؤية و يؤيّده قول بعض الصحابة «۱»: و إنا لنرجو فوق ذلك مظهرا و صوبه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم؛ و جعل الزمخشرى الاستثناء الأول لخروج أهل النار إلى الزمهرير، أو إلى نوع آخر من العذاب «۲» [بناء على مذهبه من تخليد أهل الكبائر فى النار، و جعل الاستثناء الثانى دالّا على نجاة أهل الكبائر من العذاب «۲»، فكأنه تصوّر أن الاستثناء الثانى لمّا لم يحمل على انقطاع النعيم، لقوله تعالى: عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (هود: ۱۰۸) فكذا الاستثناء الأول لا يحمل على انقطاع عذاب الجحيم لتناسب أطراف الكلام. و قال: معنى قوله: إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (هود: ۱۰۷) عقب الاستثناء الأول فى مقابلة قوله: عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (هود: ۱۰۸) عقب الثانى، أنّ اللّه تعالى يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب، كما يعطى لأهل الجنة عطاءه الذى لا انقطاع له «۴». قيل: و ما أصدق فى سياق الزمخشرى فى هذا الموضع قول القائل: حفظت شيئا و غابت عنك أشياء

(_____ ۱) هو الصحابى الجليل عبد اللّه بن قيس، النابغة الجعدىّ، رضى اللّه عنه، و يكنى أبا ليلى و هو جاهلى جاء إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أنشده: أتيت رسول اللّه إذ جاء بالهدى و يتلو كتابا كالمجرة نيّرا بلغنا السّماء مجدنا و جدودنا و إنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم «لا يفضض اللّه فاك» فبقى عمره لم تنقضّ له سنّ. (ابن قتيبة، الشّعر و الشّعراء أو طبقات الشّعراء ص: ۱۷۷). (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۴) الكشاف ۲ / ۲۳۵- ۲۳۶، بتصرف. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۰ ۳/ ۵۱ و ذلك لأن ظاهر الاستثناء؛ هو الإخراج عن حكم ما قبله، و لا موجب للعدول عن الظاهر فى الاستثناء الأول، فحمل على النجاة. و لما كان إنجاء المستحق العذاب «۱» محلّ تعجب و إنكار، عقّبه بقوله: إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (هود: ۱۰۷)؛ أى من العذاب و الإنجاء منه، بفضله، و لا «۲» يتوجّه عليه اعتراض أحد؛ يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد. و أما الاستثناء الثانى فلما لم يكن على ظاهره، كان إخراج أهل الجنة المستحقين «۳» [للثواب و قطع النعيم «۳» لا يناسب إنجاء أهل النار المستحقين للعذاب، فلذا «۵» عقّب بقوله: عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (هود: ۱۰۸) بيانا للمقصود. و رعاية هذا الباب أولى من رعاية الباب الذى توهم «۶» الزمخشرى؛ فإنّ حاصله يرجع إلى أن الاستثناء الثانى لمّا لم يكن على ما هو الظاهر فى باب الاستثناء، ينبغى ألّا يكون الاستثناء الأول أيضا على ما هو الظاهر. و لا يخفى على المنصف أنّه تعسّف. و أما قوله تعالى: لَيْسَ لَهُمْ [۱۷۰/ ب طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (الغاشية: ۶) فالمعنى لا طعام لهم أصلا؛ لأن الضريع ليس بطعام البهائم فضلا عن الإنس؛ و ذلك كقولك: ليس لفلان ظل إلا الشمس؛ تريد بذلك نفى الظلّ عنه على التوكيد، و الضريع نبت ذو شوك يسمى الشّبرق فى حال خضرته و طراوته، فإذا يبس سمّى الضريع، و الإبل ترعاه طريّا لا يابسا. و قريب منه تأكيد المدح بما يشبه الذمّ، بأن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشىء صفة مدح، بتقدير دخولها فيها، كقوله تعالى: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا تَأْثِيماً* إِلَّا قِيلًا سَلاماً سَلاماً (الواقعة: ۲۵ - ۲۶) التأكيد فيه من وجهين: على الاتصال فى الاستثناء و الانقطاع.

(_____ ۱) فى المخطوطة «للعذاب». (۲) فى المخطوطة «لا». (۳) فى المخطوطة «للتوبة دفع النعيم عنهم». (۵) فى المخطوطة «فلهذا». (۶) فى المخطوطة «توهّمه». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۱

القسم الحادى و العشرون المبالغة

اشارة

القسم الحادى و العشرون المبالغة و هى أن يكون للشىء صفة ثابتة؛ فتزيد فى التعريف بمقدار شدته أو ضعفه؛ فيدّعى له ۳/ ۵۲ من الزيادة فى تلك الصفة ما يستبعد عند السماع «۱»؛ أو يحيل عقله ثبوته. و من أحسنها قوله تعالى: أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ (النور: ۴۰)، و هى ظلمة البحر و ظلمة الموج فوقه و ظلمة السحاب فوق الموج. و قوله تعالى: بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ (الأحزاب: ۱۰)، أى كادت تبلغ؛ لأن القلب إذا زال عن موضعه مات صاحبه. و قيل: هو حقيقة، و إن الخوف و الروع يوجب للخائف أن تنفخ رئته، و لا يبعد أن ينهض بالقلب نحو الحنجرة. ذكره الفراء «۲» و غيره. أو أنها لما اتصل وجيبها و اضطرابها بلغت الحناجر. و ردّ ابن الأنبارى «۳» تقدير «كادت» فإنّ «كاد» لا تضمر. و قوله تعالى: وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ (إبراهيم: ۴۶). و قوله تعالى: تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً (مريم: ۹۰- ۹۱). و منه المبالغة فى الوصف بطريق التشبيه؛ كقوله تعالى: إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ* كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ (المرسلات: ۳۲- ۳۳). و قد يخرج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة و هو مجاز، كقوله تعالى: ۳/ ۵۳ وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (الفجر: ۲۲)، فجعل مجىء جلائل آياته، مجيئا له سبحانه، على المبالغة.

(_____ ۱) فى المخطوطة «السامع». (۲) هو يحيى بن زياد بن عبد اللّه الدّيلمى، أبو زكريا الفراء تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۵۹. (۳) هو محمد بن القاسم بن بشار، أبو بكر ابن الانبارى النحوى اللغوى. تقدمت ترجمته فى ۱/ ۲۹۹. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۲ و كقوله سبحانه: وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ (النور: ۳۹)؛ فجعل نقله بالهلكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجدانا للمجازى. و منه ما جرى مجرى الحقيقة، كقوله تعالى: يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ (النور: ۴۳)، فإن اقتران هذه ب «يكاد صرفها إلى الحقيقة، فانقلب من الامتناع إلى الإمكان. و قد تجىء المبالغة مدمجة، كقوله تعالى: سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ (الرعد: ۱۰)، فإن المبالغة فى هذه الآية مدمجة فى المقابلة، و هى بالنسبة إلى المخاطب، لا إلى المخاطب؛ معناه أن علم ذلك متعذّر عندكم؛ و إلا فهو بالنسبة إليه سبحانه ليس بمبالغة. و أما قوله تعالى: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى ... (الكهف: ۱۰۹) الآية، فقيل: سببها أن اليهود جاءوا إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فقالوا له: كيف عنّفنا بهذا القول: وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (الإسراء: ۸۵)، و نحن قد أوتينا التوراة، و فيها كلام اللّه و أحكامه، و نور و هدى! فقال لهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «التوراة قليل من كثير» «۱»، و نزلت «۲» هذه الآية. ۳/ ۵۴ و قيل: إنما نزلت: وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ (لقمان: ۲۷). قال المفسرون: و الغرض من ذلك الإعلام بكثرة كلماته؛ و هى فى نفسها غير (_____ ۱) أخرجه من رواية عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنه: ابن جرير الطبرى فى تفسيره ۲۲/ ۵۱ عند تفسير قوله تعالى وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ... الآية، و أخرجه بلفظ مقارب من رواية عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنه: أحمد بن حنبل فى المسند ۱/ ۲۵۵، و الترمذى فى السنن كتاب (۴۸) باب (۱۸) «و من سورة بنى إسرائيل» الحديث (۳۱۴۰)، و أخرجه النسائى فى السنن الكبرى كتاب التفسير عزاه له المزّى فى تحفة الاشراف ۵/ ۱۳۳ الحديث (۶۰۸۳)، و أخرجه ابن حبان ذكره ابن بلبان فى الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ۱/ ۱۵۵ الحديث (۹۹)، و أخرجه الحاكم فى المستدرك ۲/ ۵۳۱ كتاب التفسير، و ذكره الواحدى فى أسباب النزول بدون إسناد ص: ۲۲۳ و ۲۶۰، و ذكره السيوطى فى الدر المنثور ۴/ ۱۹۹ عند تفسير قوله تعالى وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ... الآية. (۲) فى المخطوطة «فنزلت». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۳ [۱۷۱/ أ] متناهية و إنما قرّب الأمر على أفهام البشر «۱» [بما يتناهى؛ لأنه غاية ما يعهده البشر] «۱» من الكثرة. و قال بعض المحققين: إن ما تضمنت الآية أن كلمات اللّه تعالى لم تكن لتنفذ، و لم تقتض الآية أنها تنفذ بأكثر من هذه الأقلام و البحور؛ و كما قال الخضر عليه السلام: «ما نقص علمى و علمك من علم اللّه إلا كما نقص هذا العصفور من ماء البحر حين غمس «۳» منقاره فيها «۴». و عدّ بعضهم من هذا القبيل ما جاء من المبالغة فى القرآن من الإغضاء عن العيوب، و الصفح عن الذنوب، و التغافل عن الزلات، و الستر على أهل المروءات، كقوله تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلّم: خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (الأعراف: ۱۹۹). و قيل فى تفسيره: أن تصل من قطعك، و تعطى من حرمك و تعفو عمن ظلمك. و قوله تعالى: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... (فصلت: ۳۴) الآية.

تنبيه

تنبيه ۳/ ۵۵ تحصّل مما سبق أن قصد المبالغة يستلزم فى الحال الإيجاز؛ إما بالحذف، و إما بجعل الشىء نفسى «۵» الشىء، أو بتكرر لفظ يتم بتكرره التهويل و التعظيم، و يقوم مقام أوصاف، كقوله تعالى: الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ (الحاقة: ۱- ۲). و قد نص سيبويه على هذا كله فى مواضع شتى من كتابه لافتراقها فى أحكام.

فائدة

فائدة اختلف فى المبالغة على «۶» أقوال: أحدها: إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستحالة.

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة «غمز». (۴) فى المخطوطة «فيه». (۵) فى المخطوطة «نفس». (۶) فى المخطوطة «فى». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۴ و الثانى: أنها الغاية فى الحسن؛ و أعذب الكلام ما بولغ فيه؛ و قد قال النابغة: لنا الجفنات الغرّ يلمعن فى الضّحى و أسيافنا يقطرن من نجدة دما «۱» و الثالث: و هو الأصح؛ أنها من محاسن الكلام؛ و لا ينحصر الحسن فيها فإن فضيلة الصدق لا تنكر و لو كانت معيبة لم ترد فى كلام اللّه تعالى؛ و لها طريقان: [أحدهما] «۲»: أن يستعمل اللفظ فى غير معناه لغة، كما فى الكناية و التشبيه و الاستعارة و غيرها، من أنواع المجاز. و الثانى: أن يشفع ما يفهم المعنى بالمعنى على وجه يقتضى زيادة؛ فترادف «۳» ۳/ ۵۶ الصفات بقصد التهويل، كما فى قوله تعالى: فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ (النور: ۴۰).

القسم الثانى و العشرون الاعتراض

اشارة

القسم الثانى و العشرون الاعتراض و أسماه [قدامة] «۴»: «التفاتا»، و هو أن يؤتى [فى أثناء] «۵» كلام أو كلامين متصلين معنى، بشىء يتم الغرض الأصلى بدونه، و لا يفوت بفواته، فيكون فاصلا بين الكلام و الكلامين، لنكتة. و قيل: هو إرادة وصف شيئين: الأول منهما قصدا، و الثانى بطريق الانجرار؛ و له تعليق بالأول بضرب «۶» من التأكيد.

(_____ ۱) عزو هذا البيت للنابغة خطأ لأنه من شعر حسان بن ثابت رضى اللّه عنه و قد أورده الزركشى فى كتابه ثانية فى ۳/ ۴۱۷ مع عزوه إلى حسان و لكن عقب عليه باعتراض للنابغة على حسان و هذا هو الصواب و انظر البيت فى ديوانه ۱/ ۳۵، فى قصيدة مطلعها: أ لم تسأل الرّبع الجديد التّكلّما ... (۲) ساقط من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة «فتزداد». (۴) هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب توفى سنة (۳۳۷) تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۵۶ و ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۵) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۶) فى المخطوطة «لضرب». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۵ و عند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكيد. و قال الشيخ عز الدين فى [أماليه «۱»: «الجملة المعترضة تارة تكون مؤكدة، و تارة تكون مشددة، لأنها إمّا ألّا تدلّ على معنى زائد «۲» [على ما دل عليه الكلام بل دلت عليه فقط، فهى مؤكدة. و إمّا أن تدل عليه و على معنى زائد] «۲»، فهى مشدّدة». انتهى. و ذكر النحاة مما تتميز به الجملة الاعتراضية عن الحالية كونها طلبيّة، كقوله تعالى: وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ (آل عمران: ۱۳۵)، فإنه معترض بين: فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ۳/ ۵۷ (آل عمران: ۱۳۵)، و بين: وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا (آل عمران: ۱۳۵). و له أسباب: منها تقرير الكلام، كقولك: فلان أحسن بفلان و نعم ما فعل. و رأى من الرأى كذا و كان صوابا. و منه قوله تعالى: تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ (يوسف: ۷۳)، لَقَدْ عَلِمْتُمْ اعتراض؛ و المراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة. و قوله: وَ آمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ وَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ (محمد: ۲). وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَ كَذلِكَ يَفْعَلُونَ (النمل: ۳۴)، و اعترض بقوله: وَ كَذلِكَ يَفْعَلُونَ (النمل: ۳۴)، بين كلامها. و قوله: وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً (البقرة: ۲۵_____).

(۱) ساقط من المخطوطة. و الشيخ عز الدين هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمى تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۳۲ و أما كتابه أمالى عز الدين بن عبد السلام فهو مخطوط يوجد منه خمس نسخ: نسخة فى المتحف البريطانى بعنوان (مسائل و أجوبة فى علوم متعددة من القرآن و الحديث و الفقه) رقم ۷۷۱۳/ ۵۷۰، و نسخة فى المتحف البريطانى بدون عنوان، رقم- ۹۶۹۱- dda و نسخة فى دار الكتب المصرية رقم (۷۷ تفسير م) عنوانها (فوائد العز بن عبد السلام، و تسمى أيضا إعجاز القرآن) ۱۶۶ ورقة. و نسخة فى الخزانة الآلوسية

فى مكتبة المتحف العراقى و عنوانها (فوائد فى علوم القرآن) رقم ۸۷۵۴- ۲۳۴ صفحة. و نسخة فى مكتبة كوبرللى باستنبول رقم ۴۴- ۹۳ صفحة. (العز بن عبد السلام حياته للوهيبى ص: ۱۱۹). (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوط. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۶ [۱۷۱/ ب و منها قصد التنزيه، كقوله تعالى: وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ (النحل: ۵۷)، فاعتراض «۱» سُبْحانَهُ لغرض التنزيه و التعظيم، و فيه الشناعة على من جعل البنات للّه. و منها قصد التبرك، و كقوله تعالى: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (الفتح: ۲۷). و منها قصد التأكيد: كقوله: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ* وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (الواقعة: ۷۵- ۷۶). و فيها اعتراضان؛ فإنه اعترض بقوله؛ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ (الواقعة: ۷۶) بين القسم و جوابه، و اعترض بقوله: لَوْ تَعْلَمُونَ (الواقعة: ۷۶) بين الصفة و الموصوف؛ و المراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم، و تأكيد إجلاله فى النفوس، لا سيما بقوله: لَوْ تَعْلَمُونَ (الواقعة: ۷۶). و قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا* أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ (الكهف: ۳۰- ۳۱) ف «أولئك» الخبر و «إنّا لا نضيع» اعتراض. و منها كون الثانى بيانا للأول، كقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (البقرة: ۲۲۲)، فإنه اعتراض وقع بين قوله: فَأْتُوهُنَّ (البقرة: ۲۲۲)، و بين قوله: نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ (البقرة: ۲۲۳)، و هما متصلان معنى؛ لأنّ الثانى بيان للأول؛ كأنه قيل: فأتوهنّ من حيث يحصل منه الحرث. و فيه اعتراض بأكثر من جملة. و منها تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر علق بهما، كقوله تعالى: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ (لقمان: ۱۴)، فاعترض بقوله: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ (لقمان: ۱۴) بين و وصّينا، و بين الموصّى به، و فائدة ذلك إذكار الولد بما كابدته أمه من المشقة فى حمله و فصاله، فذكّر الحمل و الفصال يفيد زيادة التوصية بالأم، لتحمّلها من المشاق و المتاعب فى حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد، و لهذا جاء فى الحديث التوصية بالأم ثلاثا، و بالأب مرة. (_____ ۱) فى المخطوطة «فاعترض». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۷ و منها زيادة الردّ على الخصم، كقوله تعالى: وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها ... (البقرة: ۳/ ۵۹ ۷۲) الآية فقوله: وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ (البقرة: ۷۲) اعتراض بين المعطوف و المعطوف عليه. و فائدته أن يقرّر «۱» [فى أنفس المخاطبين أن تدارؤ بنى إسرائيل فى قتل تلك «۱» الأنفس «۳» لم يكن نافعا لهم فى إخفائه و كتمانه، لأن اللّه تعالى مظهر لذلك و مخرجه، و لو جاء الكلام خاليا من هذا الاعتراض لكان وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها (البقرة: ۷۲) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها (البقرة: ۷۳). و قوله: وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ (النحل: ۱۰۱)، فاعترض بين «إذ» و جوابها بقوله: وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ (النحل: ۱۰۱)؛ فكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضا. قوله «۴»: وَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ (الزمر: ۴۵) إلى قوله: بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (الزمر: ۴۹). و قوله: قُلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ (الزمر: ۴۶) إلى قوله: وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (الزمر: ۴۸) اعتراض فى أثناء الكلام. و هو قوله: وَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ (الزمر: ۴۵) الآية، و ذلك لأن قوله: فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ (الزمر: ۴۹) سبب عن قوله: وَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ (الزمر: ۴۵) على معنى أنهم يشمئزّون من توحيد اللّه تعالى، و يستبشرون بالشرك الذى هو ذكر الآلهة؛ فإذا مسّ أحدهم ضرّ أو أصابته شدّة تناقض فى دعواه، فدعا من اشمأز من ذكره و انقبض من توحيده و لجأ إليه دون الآلهة، فهو اعتراض بين السبب و المسبب، فقيّد القول بما فيه من دعاء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بأمره بذلك، و بقوله أَنْتَ تَحْكُمُ [۱۷۲/ أ] بَيْنَ عِبادِكَ (الزمر: ۴۶) ثم عقبه من الوعيد العظيم أشدّ التأكيد و أعظمه و أبلغه؛ و لذلك كان اتصال قوله: وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ (الزمر: ۸) للسبب الواقع ۳/ ۶۰ فيها، و خلوّ الأول، منه من الأمر اشتراك «۵» جملة مع جملة، و مناسبة أوجبت العطف بالواو الموضوعة لمطلق الجمع، كقولهم: قام زيد و عمرو. و تسبيب السبب مع ما فى ظاهر الآية من (_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة «النفس». (۴) فى المخطوطة «و قوله». (۵) فى المخطوطة «اشتراكه». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۸ اشمئزازهم ليس يقتضى التجاءهم إلى اللّه تعالى، و إنما يقتضى إعراضهم عنه من جهة أن سياق الآية

يقتضى إثبات التناقض؛ و ذلك أنك تقول: زيد يؤمن باللّه تعالى: فإذا مسه الضرّ لجأ إليه «۱» [فهذا سبب ظاهر مبنىّ على اطراد الأمر و تقول: زيد كافر باللّه، فإذ مسّه ضر لجأ إليه «۱»، فتجيء بالفاء هنا كالأول لغرض التزام التناقض، أو العكس، حيث أنزل الكافر كفره منزلة الإيمان فى فصل سبب الالتجاء؛ فأنت تلزمه «۳» العكس؛ بأنك «۴» إنما تقصد بهذا الكلام الإنكار و التعجب من فعله. و قوله: وَ يُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (الزمر: ۶۱) بقوله: اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ* لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ (الزمر: ۶۲- ۶۳) اعتراض واقع فى أثناء كلام متصل؛ و هو قوله: وَ يُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (الزمر: ۶۱)، وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (الزمر: ۶۳)، و هو على مهيع أسلوب القرآن؛ من ذكر الضدّ عقب الضد [كثير] «۵» كما قيل: و بضدها تتبين الأشياء و منها الإدلاء بالحجة؛ كقوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ* بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ (النحل: ۴۳- ۴۴)، فاعترض بقوله: فَسْئَلُوا بين قوله نُوحِي إِلَيْهِمْ (النحل: ۴۳) و بين قوله: بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ (النحل: ۴۴) إظهارا لقوة الحجة عليهم. ۳/ ۶۱ و بهذه الآية ردّ ابن مالك «۶» على أبى على الفارسىّ «۷» قوله: «إنه لا يعترض بأكثر من جملة واحدة».

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة «فإنه يلزمه». (۴) فى المخطوطة «فإنك». (۵) ساقط من المطبوعة. (۶) هو محمد بن عبد اللّه بن مالك جمال الدين الطائى الشافعى، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۳۸۱. (۷) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار تقدمت ترجمته فى ۱/ ۳۷۵. و فى المخطوطة «أبو موسى الفارسى» و هو تصحيف واضح. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۳۹ و ردّ: بأن جملة الأمر دليل [على «۱» للجواب عند الأكثرين و نفسه عند آخرين، فهو «۲» مع جملة الشرط، كالجملة الواحدة. نعم جوّزوا فى قوله تعالى: مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ (الرحمن: ۵۴)، أن يكون حالا- من قوله: وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ (الرحمن: ۴۶)، فلزم الاعتراض بسبع جمل مستقلّات؛ إن كان: ذَواتا أَفْنانٍ (الرحمن: ۴۸)، خبر مبتدأ محذوف؛ و إلا فيكون بست جمل. و قال الزمخشرى فى قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ* أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى ... (الأعراف: ۹۶- ۹۷) الآية: «إن فى هذه الآية الكريمة سبع جمل معترضة: جملة الشرط، و «اتقوا» و «فتحنا» و «كذّبوا» و «أخذناهم» و «بما كانوا يكسبون». و زعم أن أَ فَأَمِنَ (الأعراف: ۹۷) معطوف على فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً» (الأعراف: ۹۵)، و كذا نقله ابن مالك عن الزمخشرى و تبعه أبو حيان «۳»، و لم يوجد ذلك فى كلام الزمخشرىّ! قال ابن مالك: «ورد عليه من ظن أن الجملة و الكلام مترادفان، قال: و إنما «۴» اعترض بأربع جمل؛ و زعم أنّ من عند وَ لَوْ أَنَّ (الأعراف: ۹۶) إلى وَ الْأَرْضِ (الأعراف: ۹۶) جملة؛ لأن الفائدة إنما تتم بمجموعه». [انتهى «۵». و فى القولين نظر؛ أما على قول ابن مالك فينبغى أن يكون بعدها ثمان جمل؛ أحدها: وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (الأعراف: ۹۵) و أربعة فى حيّز «لو» و هى آمَنُوا و اتَّقَوْا و «فتحنا»، ۳/ ۶۲ و المركبة مع أنّ وصلتها مع «ثبت» مقدرا على الخلاف فى أنها فعلية أو اسمية، و السادسة وَ لكِنْ كَذَّبُوا (الأعراف: ۹۶) و السابعة فَأَخَذْناهُمْ (الأعراف: ۹۶) و الثامنة بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (الأعراف: ۹۶). «۶» [و أما قول المعترض فلأنه كان من حقه أن يعدها ثلاث جمل؛ أحدها: وَ هُمْ لا

(_____ ۱) ساقط من المطبوعة، و فى المخطوطة «على الجواب». (۲) فى المخطوطة «فهى». (۳) هو محمد بن يوسف بن على الغرناطى أثير الدين. تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۳۰. (۴) فى المخطوطة «إنّما». (۵) ساقط من المطبوعة. (۶) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۰ يَشْعُرُونَ (الأعراف: ۹۵)؛ لأنها حال مرتبطة بعاملها و ليست مستقلة برأسها؛ و الثانية «لو» و ما فى حيّزها، جملة واحدة فعلية إن قدر: «و لو ثبت أنّ أهل القرى آمنوا و اتقوا»، أو اسمية و فعلية إن قدر إيمانهم، و اتقوا ثابتان، و الثالثة وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (الأعراف: ۹۶) كله جملة. و ينبغى على قواعد البيانيين أن يعدّوا لكل جملة واحدة لارتباط بعضها ببعض، و على رأى النحاة ينبغى أن يكون وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا (الأعراف: ۹۶) جملة [۱۷۲/ ب واحدة «۱» [لأن جملة «و اتقوا» معطوفة على

خبر «أنّ» و «لفتحنا» جملة ثانية و ما بعدها جملة واحدة] «۱» لارتباط الشرط بالجزاء لفظا، وَ لكِنْ كَذَّبُوا (الأعراف: ۹۶) ثانية أو ثالثة فَأَخَذْناهُمْ (الأعراف: ۹۶) ثالثة أو رابعة، و بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (الأعراف: ۹۶) متعلق ب «أخذناهم» فلا يعدّ اعتراضا. و قوله: وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ (هود: ۴۴)، فهذه ثلاث جمل معترضة بين وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ (هود: ۴۴) و بين وَ قِيلَ بُعْداً (هود: ۴۴). و فيه اعتراض فى اعتراض، فإنّ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ (هود: ۴۴) معترض بين وَ غِيضَ الْماءُ (هود: ۴۴) و بين وَ اسْتَوَتْ (هود: ۴۴). و لا مانع من وقوع الاعتراض فى الاعتراض، كقوله: وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (الواقعة: ۷۶). ۳/ ۶۳ و منه قوله تعالى فى سورة العنكبوت ذاكرا عن إبراهيم قوله: اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ (الآية: ۱۶) ثم اعترض تسلية لقلب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بقوله: وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (العنكبوت: ۱۸)، و ذكر آيات، إلى أن قال: فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ (العنكبوت: ۲۴) يعنى قوم إبراهيم، فرجع إلى الأول. و جعل الزمخشرىّ «۳» قوله تعالى: فَاسْتَفْتِهِمْ (الصافات: ۱۴۹)، و فى آخر الصافات (_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۳) ذكر قوله فى الكشاف ۳/ ۳۱۲ عند تفسير قوله تعالى فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّكَ الْبَناتُ ... الآية [۱۴۹: الصافات ، بتصرف. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۱ معطوفا على فَاسْتَفْتِهِمْ (الآية: ۱۱) فى أول السورة؛ و قال فى قول بعضهم [فى «۱»: نَذِيراً لِلْبَشَرِ (المدثر: ۳۶): إنه حال من فاعل قُمْ (المدثر: ۲) فى أول هذه السورة، هذا من بدع التفاسير و هذا الذى ذكره فى الصافات منه. و من العجب دعوى بعضهم كسر همزة «إن» فى قوله تعالى: إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (ص: ۶۴) على جواب القسم فى قوله تعالى: وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (ص: ۱)، حكاه الرمانىّ «۲». فإن قيل: أين خبر «إن» فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ ... [الآية] «۳» (فصلت: ۴۱) قيل الخبر: أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (فصلت: ۴۴).

فوائد

فوائد ۳/ ۶۴ قال ابن عمرون «۴»: لا يجوز وقوع الاعتراض بين واو العطف و ما دخلت عليه؛ و قد أجازه قوم فى «۵» «ثم» و «أو» «۵» فتقول: «زيد قائم ثم و اللّه عمرو». و قوله تعالى: إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما «۷» [فَلا تَتَّبِعُوا. (النساء: ۱۳۵) جواب الشرط فقوله: فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما] «۷» (النساء: ۱۳۵) اعتراض بين الشرط و جوابه مع أن فيه فاء و الجملة مسندة ل «يكن». قال الطيبى «۹»: سئل الزمخشرىّ عن قوله تعالى: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (المدثر: ۵۵): أ هو (_____ ۱) ساقط من المخطوطة. (۲) هو على بن عيسى بن على، أبو الحسن النحوى المعروف بالرّمانى تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۱۱. (۳) ساقط من المطبوعة. (۴) هو محمد بن محمد بن أبى على، جمال الدين، ابن عمرون، تقدم التعريف به فى ۳/ ۲۲. (۵) اضطربت العبارة فى المخطوطة كما يلى (و أو لأنّ أو لا يقمن معا بأنفسهنّ). (۷) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. (۹) هو الحسين بن محمد بن عبد اللّه الطيبى الإمام المشهور، كان ذا ثروة من الإرث و التجارة فلم يزل ينفق ذلك فى وجوه الخيرات إلى أن كان فى آخر عمره فقيرا، و كان كريما متواضعا حسن المعتقد شديد الردّ على الفلاسفة و المبتدعة مظهرا فضائحهم، كثير الحياء ملازما للجماعة من تصانيفه «شرح المشكاة» و «شرح الكشاف» و غيرها توفى سنة (۷۴۳ ه) (ابن حجر، الدرر الكامنة ۲/ ۶۸). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۲ اعتراض؟ قال: لا، لأن من شرط الاعتراض أن يكون بالواو و نحوها؛ و أما بالفاء فلا. و فهم صاحب «فرائد القلائد» «۱» من هذا اشتراط الواو، فقال: و قد ذكر الزمخشرى: إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا (مريم: ۴۱ و ۵۶) هذه الجملة اعتراض بين البدل و بين المبدل منه، أعنى «إبراهيم» و «إذ» قال: هذا معترض لأنه اعتراض «۲» بدون الواو بعيد عن الطبع و عن الاستعمال، و ليس كما قال، فقد يأتى بالواو كما سبق فى الأمثلة، و بدونها «۳» كقوله سبحانه: وَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ (النحل: ۵۷). و قد اجتمعا فى قوله: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ* وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (الواقعة: ۷۵- ۷۶- ۷۷).

القسم الثالث و العشرون الاحتراس

اشارة

القسم الثالث و العشرون الاحتراس ۳/ ۶۵ و هو أن يكون الكلام محتملا لشيء بعيد، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال؛ كقوله تعالى: اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (القصص: ۳۲)، فاحترس سبحانه بقوله: مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (القصص: ۳۲) عن إمكان أن يدخل فى ذلك البهق «۴» و البرص. و قوله تعالى: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ (المائدة: ۵۴) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة و هو السهولة لتوهّم أن ذلك لضعفهم، فلما قيل: أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ (المائدة: ۵۴) علم أنها منهم تواضع؛ و لهذا عدّى «الذل» بعلى لتضمنه معنى العطف (_____. ۱) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، البدر أبو محمد العينى، الحلبى الأصل العينتابى المولد ثم القاهرى الحنفى ولد فى السابع عشر من رمضان سنة (۷۶۲ ه) فى عينتاب فنشأ بها و قرأ القرآن، و أكمل الدين و نظر فى الصرف و العربية و المنطق، و سمع عن العسقلانى «الشاطبية» و على الزين العراقى «صحيح مسلم» و «الإلمام»، و هو إمام عالم فاضل مشارك فى علوم و عنده حشمة و مروءة و عصبية و ديانة و لم يزل ملازما للجمع و التصنيف حتى مات سنة (۸۵۵ ه) من مصنفاته «عمدة القارى شرح صحيح البخارى» و «فرائد القلائد» (السخاوى، الضوء اللّامع ۵/ ۱۳۱) و أما كتابه فقد طبع فى مصر باسم «فرائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد» و هو المعروف بالشواهد الصغرى، سنة ۱۲۹۷ ه/ ۱۸۷۹ م (سركيس، معجم المطبوعات ص: ۱۴۰۴). (۲) فى المخطوطة «لأن الاعتراض». (۳) فى المخطوطة «و بدونه». (۴) البهق: بياض دون البرص، يعترى الجسد بخلاف لونه ليس من البرص (ابن منظور، لسان العرب ۱۰/ ۲۹). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۳ و كذلك قوله تعالى [۱۷۳/ أ]: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ (الفتح: ۲۹). و قوله تعالى: لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (النمل: ۱۸) فقوله: وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (النمل: ۱۸) احتراس بيّن أنّ من عدل سليمان و فضله و فضل جنوده أنّهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألّا يشعروا بها. و قد قيل: إنما كان تبسم سليمان سرورا بهذه الكلمة منها؛ و لذلك أكّد التبسم بالضحك؛ لأنهم يقولون: تبسّم كتبسم الغضبان، لينبه على أن تبسمه تبسم سرور. و مثله قوله تعالى: فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ (الفتح: ۲۵) التفات إلى أنهم لا يقصدون ضرر مسلم. و قوله تعالى: وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (هود: ۴۴)؛ فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان، عقّبهم «۱» بالدعاء عليهم، و وصفهم بالظلم، ليعلم أن جميعهم كان مستحقّا للعذاب، احتراس من ضعف يوهم أنّ الهلاك بعمومه ربما شمل من لا يستحق العذاب؛ فلما ۳/ ۶۶ دعا على الهالكين، و وصفهم بالظلم علم استحقاقهم لما نزل بهم و حل بساحتهم، مع قوله أولا: وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (هود: ۳۷). و أعجب احتراس «۲» [وقع فى القرآن «۲» قوله تعالى مخاطبا لنبيّه عليه السلام: وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ ... الآية (القصص: ۴۴). و قال حكاية عن موسى: وَ نادَيْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ (مريم: ۵۲)، فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذى قضى لموسى فيه الأمر عرّف المكان بالغربىّ و لم يقل فى هذا الموضع الْأَيْمَنِ كما قال: وَ نادَيْناهُ مِنْ جانِبِ «۴» [الطُّورِ الْأَيْمَنِ «۴» (مريم: ۵۲) أدبا مع النبى «۶» صلّى اللّه عليه و سلّم أن ينفى عنه كونه بالجانب الأيمن، أو يسلب عنه لفظا مشتقّا من اليمن، أو «۷» مشاركا لمادته «۷»، و لما أخبر عن موسى عليه السلام ذكر الجانب الأيمن تشريفا (_____ ۱) فى المخطوطة «عقّبه». (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۴) ساقط من المخطوطة. (۶) فى المخطوطة «للنبى». (۷) اضطربت العبارة فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۴ لموسى؛ فراعى فى المقامين حسن الأدب معهما، تعليما للأمة، و هو أصل «۱» عظيم فى الأدب فى الخطاب. و قوله: إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ (المنافقون: ۱) فإنه لو اختصر لترك: وَ اللَّهُ يَعْلَمُ؛ لأن سياق الآية لتكذيبهم فى دعوى الإخلاص فى الشهادة، لكن حسن ذكره رفع

توهم أن التكذيب للمشهود به فى نفس الأمر. و قوله حاكيا عن يوسف عليه السلام: وَ قَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ (يوسف: ۱۰۰) و لم يذكر الجبّ مع أن النعمة فيه أعظم [من السجن «۲» لوجهين: ۳/ ۶۷ أحدهما: لئلا يستحيى إخوته، و الكريم يغضى؛ و لا سيّما فى وقت الصفاء. و الثانى: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الجب. و قوله: تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَ كَهْلًا (المائدة: ۱۱۰)؛ و إنما ذكر الكهولة مع أنه لا إعجاز فيه؛ لأنه كان فى العادة، أنّ من يتكلم فى المهد أنه لا يعيش و لا يتمادى به العمر، فجعل الاحتراس بقوله: وَ كَهْلًا (المائدة: ۱۱۰). و منه قوله: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ (النحل: ۲۶)، و السقف لا يكون إلا من فوق؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذى يتوهم من أن السقف قد يكون من تحت بالنسبة؛ فإن كثيرا من السقوف يكون أرضا لقوم و سقفا لآخرين؛ فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين و هما قوله: عَلَيْهِمُ (النحل: ۲۶)، و لفظة (خر) لأنها لا تستعمل إلا فيما [۱۷۳/ ب هبط أو سقط من العلوّ إلى سفل. و قيل: إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالّين «۳» تحته، و العرب تقول: خرّ علينا سقف و وقع علينا حائط، «۴» [فجاء بقوله: مِنْ فَوْقِهِمْ (النحل: ۲۶)، ليخرج هذا الشك الذى فى كلامهم، فقال: مِنْ فَوْقِهِمْ، أى عليهم وقع «۴»؛ و كانوا تحته، فهلكوا و ما قتلوا (_____. ۱) ساقط من المخطوطة.

(۲) ساقط من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة «خالدين». (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۵ و قوله تعالى: فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ (البقرة: ۲۲۳)؛ لأنه لمّا كان يحتمل معنى «كيف» و «أين» احترس بقوله: حَرْثُكُمْ؛ لأن الحرث لا يكون إلا حيث [تنبت «۱» البذور، و ينبت الزرع، و هو المحل المخصوص. و قوله: وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ (الزخرف: ۳۹)؛ و ذلك لأن الاشتراك فى المصيبة يخفف منها، و يسلى عنها؛ فأعلم سبحانه أنه لا ينفعهم ذلك.

فائدة

فائدة ۳/ ۶۸ عاب قدامة «۲» على ذى الرّمة «۳» قوله: ألا يا اسلمى يا دار ميّ على البلى و لا زال منهلّا بجرعائك القطر فإنه لم يحترس، و هلّا «۴» قال كما قال طرفة: فسقى ديارك غير مفسدها [صوب الغمام و ديمة تهمى «۵» و أجيب بأنه قدّم الدعاء بالسلامة للدار. و قيل: لم يرد بقوله: «و لا زال منهلّا» اتصال الدوام بالسّقيا من غير إقلاع، و إنّما ذلك بمثابة من يقول: ما زال فلان يزورنى، إذا كان متعاهدا له بالزيارة (_____. ۱) ساقط من المخطوطة. (۲) هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۵۶. (۳) هو غيلان بن عقبة بن بهيس بن مسعود العدوى من مضر، أبو الحارث ذو الرمة شاعر من فحول الطبقة الثانية فى عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: «فتح الشعر بامرئ القيس و ختم بذى الرمّة» و كان شديد القصر دميما يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب و بكاء أطلال، و امتاز بإجادة التشبيه. توفى بأصبهان و قيل بالبادية سنة (۱۱۷- ه) (ابن قتيبة، الشعر و الشعراء ص: ۳۵۰) و (الزركلى، الأعلام ۵/ ۱۲۴) (۴) فى المخطوطة «و هذا». (۵) هو طرفة بن العبد بن سفيان و هو صاحب المعلقة المشهورة و مطلعها «لخولة أطلال ببرقة ثمهد» و له بعدها شعر حسن و ليس عند الرواة من شعره إلا القليل و كان فى حسب من قومه جريئا على هجائهم و هجاء غيرهم، و كان قد تناول بهجائه عمرو بن هند فأرسل إليه و كتب إلى عامله فى البحرين فقتله (ابن قتيبة، الشعر و الشعراء ۱۰۳ و أما بيت الشّعر فى (ديوانه، طبعة دار صادر ص: ۸۸). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۶

القسم الرابع و العشرون التذييل

القسم الرابع و العشرون التذييل مصدر «ذيّل» للمبالغة؛ و هى لغة، جعل الشيء ذيلا للآخر. و اصطلاحا أن «۱» يؤتى بعد تمام «۱» الكلام بكلام مستقل فى معنى الأول؛ تحقيقا لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم؛ و يكمل عند من فهمه. كقوله تعالى: ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا (سبأ: ۱۷)، ثم قال عز من قائل: ۳/ ۶۹ وَ هَلْ نُجازِى إِلَّا الْكَفُورَ (سبأ:

۱۷)، أى هل يجازى ذلك الجزاء الـذى يستحقه الكفور إلا الكفور؛ فإن جعلنا الجزاء عاما كان الثانى مفيدا فائدة زائدة. و قوله: وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً (الإسراء: ۸۱). و قوله: وَ ما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ (الأنبياء: ۳۴). و قوله: وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ* إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (فاطر: ۱۳- ۱۴). فقوله: وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (فاطر: ۱۴) تذييل لاشتماله على ... «۳» و قوله «۴»: فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ (المؤمنون: ۴۶). و قوله: فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (الأعراف: ۱۳۳). و جعل القاضى أبو بكر فى كتابه «الإعجاز» «۵» منه قوله تعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (القصص: ۴). و قوله؛ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ (القصص: ۸).

(_____۱) عبارة المخطوطة «أن يأتى بتمام».

(۳) بياض فى المطبوعة. (۴) فى المخطوطة (قوله). (۵) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البصرى المالكى الأصولى تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۱۷، و أما كتابه «الإعجاز» فقد تقدم ذكره فى ۱/ ۱۴۵. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۷ و يحتمل أن يكون من التعليل. و قوله: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ (الزخرف: ۲۲)، فقوله: وَ كَذلِكَ (الزخرف: ۲۳)، تذييل، أى فذلك شأن الأمم مع الرسل، و قوله: ۳/ ۷۰ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ (الزخرف: ۲۳) [تفسير للتذييل جعل «۱» التذييل هنا من التفسير.

القسم الخامس و العشرون التتميم

القسم الخامس و العشرون التتميم و هو أن يتم الكلام، فيلحق به ما يكمّله، إما مبالغة، أو احترازا، أو احتياطا. و قيل: هو أن يأخذ فى معنى فيذكره غير مشروح؛ و ربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلّم إليه شارحا؛ كقوله تعالى: وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً (الإنسان: ۸)، فالتتميم فى قوله: عَلى حُبِّهِ (الإنسان: ۸)، جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهائه. و كذلك قوله: وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ (البقرة: ۱۷۷). و كقوله تعالى [۱۷۴/ أ]: وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ (النساء: ۱۲۴)، فقوله: وَ هُوَ مُؤْمِنٌ (النساء: ۱۲۴) تتميم فى غاية الحسن.

القسم السادس و العشرون الزيادة

اشارة

القسم السادس و العشرون الزيادة و الأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة فى كتاب اللّه، و يسمونه التأكيد. و منهم من يسميه بالصلة. و منهم من يسميه المقحم. قال ابن جنى: «كل حرف زيد فى كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة ۳/ ۷۱ أخرى. و بابها الحروف و الأفعال (_____». ۱) فى المخطوطة «فجعل» و ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۸ كقوله تعالى: فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ (المائدة: ۱۳). فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ (آل عمران: ۱۵۹). و قوله: قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (مريم: ۲۹) «۱» [قيل: كانَ هاهنا زائدة؛ و إلا لم يكن فيه إعجاز؛ لأن الرجال كلهم كانوا فى المهد،] «۱» و انتصب صَبِيًّا على الحال. و قال ابن عصفور «۳»: هى فى كلامهم زيدت فى وسط الكلام للتأكيد؛ و هى مؤكدة للماضى فى قالُوا. و منه زيادة «أصبح»، قال حازم «۴»: «إن كان الأمر الذى ذكر أنه أصبح فيه [لم «۵» يكن أمسى فيه، فليست زائدة، و إلا فهى زائدة؛ كقولك: أصبح العسل حلوا». و أجاب الرمّانى «۶» عن قوله: فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ

(المائدة: ۵۳)، «فإن العادة أن من به علة تزاد عليه بالليل يرجو الفرج عند الصباح، فاستعمل «أصبح» لأن الخسران جعل لهم فى الوقت الذى يرجون فيه الفرج، فليست زائدة». و هو معنى قول غيره: «إنها تأتى للدوام و استمرار الصفة، كقوله تعالى: فَأَصْبَحُوا لا يُرى إِلَّا مَساكِنُهُمْ (الأحقاف: ۲۵)، وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ (القصص: ۸۲). و أما قوله تعالى: ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ (النحل: ۵۸) [فهو على «۷» الأصل، لظهور الصفة نهارا، و المراد الدوام أيضا، أى استقرت له الصفة نهاره. ۳/ ۷۲ و اعلم أن الزّيادة و اللغو من عبارة البصريين، و الصلة و الحشو من عبارة الكوفيين، (_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) هو على بن مؤمن أبو الحسن ابن عصفور تقدمت ترجمته فى ۱/ ۴۶۶. (۴) هو حازم بن محمد. تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۵۵. (۵) ساقط من المطبوعة. (۶) هو على بن عيسى أبو الحسن الرمّانى تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۱۱. (۷) عبارة المخطوط «فعلى». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۴۹ قال سيبويه عقب قوله تعالى: فَبِما نَقْضِهِمْ (النساء: ۱۵۵): إن «ما» لغو، لأنها لم تحدث شيئا. و الأولى اجتناب مثل هذه العبارة فى كتاب اللّه تعالى، فإنّ مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب، لا من جهة المعنى، فإن قوله: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ (آل عمران: ۱۵۹) معناه: «ما لنت لهم إلا رحمة»؛ و هذا قد جمع نفيا و إثباتا، ثم اختصر على هذه الإرادة، و جمع فيه بين لفظى الإثبات و أداة النفى التى هى «ما». و كذا قوله تعالى: إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ (النساء: ۱۷۱) ف «إنّما» هاهنا حرف تحقيق و تمحيق، إنّ هنا للتحقيق، و ما للتمحيق فاختصر، و الأصل: «ما اللّه اثنان فصاعدا، و أنه إله واحد». و قد اختلف فى وقوع الزائد فى القرآن؛ فمنهم من أنكره، قال الطرطوشى فى «العمد» «۱»: «زعم المبرّد «۲» و ثعلب «۳» ألّا صلة فى القرآن، و الدّهماء من العلماء و الفقهاء و المفسّرين على إثبات الصّلات فى القرآن، و قد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره فذكر كثيرا». و قال ابن الخباز فى «التوجيه» «۴»: «و عند ابن السراج «۵» أنه ليس فى كلام العرب زائد، لأنه تكلّم بغير فائدة، و ما جاء منه حمله على التوكيد». و منهم من جوّزه و جعل وجوده كالعدم؛ و هو أفسد الطرق. ۳/ ۷۳ و قد ردّ على فخر الدين الرازى «۶» قوله: إنّ المحققين على أن المهمل لا يقع فى كلام (_____ ۱) تصحفت عبارة المطبوعة إلى (الطرطوسى فى العمدة). و التصويب من المخطوطة، و هو محمد بن الوليد الطرطوشى تقدم التعريف به فى ۲/ ۱۱۳، و بكتابه فى ۲/ ۴۱۲. (۲) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس المبرد تقدم ذكره فى ۲/ ۴۹۷. (۳) هو أحمد بن يحيى بن يسار أبو العباس ثعلب تقدمت ترجمته فى ۱/ ۳۰۹. (۴) ابن الخباز هو أحمد بن الحسين بن أحمد الإربلى تقدم ذكره فى ۳/ ۱۴. و أما كتابه «التوجيه» فقد ذكره صاحب كشف الظنون ۱/ ۵۰۴ باسم «التوجيه فى النحو». (۵) هو محمد بن السرى تقدمت ترجمته فى ۲/ ۴۳۸. (۶) هو محمد بن عمر بن الحسين الرازى الشافعى، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۱۶. و انظر قوله فى التفسير ۹/ ۶۲ عند قوله تعالى فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ... الآية. بتصرف. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۰ اللّه سبحانه؛ «۱» [فأما فى قوله تعالى: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ (آل عمران: ۱۵۹) فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب، و التقدير «فبأى رحمة»؟ فجعل الزائد مهملا،] «۱» و ليس كذلك، لأن الزائد ما أتى [به «۳» لغرض التقوية و التوكيد، و المهمل ما لم تضعه العرب، و هو ضدّ المستعمل، و ليس المراد من الزيادة [ما أتى «۴» حيث ذكرها النحويون إهمال اللفظ، و لا كونه لغوا فتحتاج إلى التنكّب «۵» عن التعبير بها إلى غيرها؛ فإنّهم «۶» إنما سمّوا «ما» «۶» زائدة هنا لجواز تعدّى العامل قبلها إلى ما بعدها، [لا] «۸» لأنها ليس لها معنى. و أما ما قاله فى الآية: إنّها للاستفهام [۱۷۴/ ب التعجّبى، فقد انتقد عليه بأن قيل: تقديره «فبأى رحمة» دليل على أنه جعل «ما» مضافة للرحمة، و أسماء الاستفهام التعجبى لا يضاف منها غير «أىّ»؛ و إذا لم تصح الإضافة كان ما بعدها بدلا منها، و المبدل من اسم الاستفهام يجب معه ذكر همزة الاستفهام، و ليست الهمزة مذكورة، فدل على بطلان هذه الدعوى؛ و سنبين فى فصل زيادة الحروف الفائدة فى إدخال «ما» هاهنا، فانظره هناك.

تنبيهات

تنبيهات الأول: أهل الصناعة يطلقون الزائد على وجوه: منها ما يتعلق به هنا و هو ما أقحم تأكيدا «۹»، نحو: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ (آل عمران: ۱۵۹) إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً (البقرة: ۲۶) لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (الشورى: ۱۱). ۳/ ۷۴ و معنى كونه زائدا أنّ أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد، و الواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة. و سئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف، و ما معناه؛ إذ إسقاط الحرف لا يخلّ بالمعنى؟ فقال: هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا- (_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) ساقطة من المخطوطة. (۴) ساقط من المطبوعة. (۵) فى المخطوطة «التنكيت». (۶) عبارة المخطوطة «ما سمّوها». (۸) ساقطة من المخطوطة. (۹) فى المخطوطة للتأكيد. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۱ يجدونه بإسقاط الحرف، قال: و مثال ذلك مثال العارف بوزن الشعر طبعا؛ فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره و قال: أجد نفسى على خلاف ما أجده بإقامة الوزن، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها، و يجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه. الثانى: حق الزيادة أن تكون فى الحرف «۱» و فى الأفعال كما سبق؛ و أما الأسماء فنصّ أكثر النحويين على أنها لا تزاد. و وقع فى كلام كثير من المفسّرين الحكم عليها فى بعض المواضع بالزيادة، كقول الزمخشرى فى قوله تعالى: يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا (البقرة: ۹) إن اسم الجلالة «۲» مقحم، و لا- يتصوّر مخادعتهم للّه تعالى. الثالث: حقها أن تكون آخرا و حشوا؛ و أما وقوعها أوّلا فلا لما فيه من التناقض، إذ قضية الزيادة إمكان اطّراحها، و قضية التصدير الاهتمام، و من ثم ضعّف قول بعضهم [بزيادة «لا»] «۳» فى قوله تعالى: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ (القيامة: ۱). و أبعد منه قول آخر: إنها بمعنى «إلّا»، و الظاهر أنها ردّ لكلام تقدّم فى إنكار البعث، أى ليس الأمر كما تقولون، ثم قال بعده: أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ (القيامة: ۱)، و عليه فيجوز الوقف على «لا» و فيه بعد.

فصل

فصل ۳/ ۷۵ الزيادة إما أن تكون لتأكيد النفى، كالباء فى خبر ليس و ما، أو لتأكيد الإيجاب كاللام الداخلة على المبتدإ. و حروف الزيادة سبعة: إنّ، و أن، و لا، و ما، و من، و الباء، و اللام. بمعنى أنها تأتى فى بعض الموارد زائدة؛ لا أنّها «۴» لازمة للزيادة. ثم ليس المراد حصر الزوائد «۵» فيها، فقد زادوا الكاف و غيرها؛ بل المراد أن الأكثر فى الزيادة أن تكون بها. (_____ ۱) فى المخطوط «الحروف». (۲) فى المخطوط «اللّه». (۳) ساقطة من المخطوطة. (۴) فى المخطوطة «لأنها». (۵) فى المخطوطة «الزيادة». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۲ فأما إن الخفيفة فتطّرد زيادتها مع ما النافية، كقول امرئ القيس «۱»: حلفت لها باللّه حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث و لا صال أى فما حديث. فزاد «إن» للتوكيد، قال الفراء «۲»: إن الخفيفة زائدة، فجمعوا بينها و بين ما النافية، تأكيدا للنفى، فهو بمنزلة تكرارها «۳»، فهو عند الفراء من التأكيد اللفظى، و عند سيبويه من [التأكيد] «۴» المعنوى. [و قيل «۵»: قوله تعالى: وَ لَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ (الأحقاف: ۲۶): أنها زائدة. و قيل نافية؛ و الأصل «فى الذى ما مكناكم فيه» بدليل: مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ (الأنعام: ۶)؛ و كأنه إنما عدل عن «ما» لئلا تتكرر فيثقل اللفظ. و وهم ابن الحاجب «۶»؛ حيث زعم أنها تزاد بعد «لما» الإيجابية؛ و إنما تلك فى «أن» المفتوحة. ۳/ ۷۶ و أما أن المفتوحة [۱۷۵/ أ] فتزاد بعد لما الظرفية، كقوله تعالى: وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ، (العنكبوت: ۳۳) و إنما حكموا بزيادتها؛ لأن «لما ظرف زمان؛ و معناها وجود الشيء لوجود غيره؛ و ظروف الزمان غير المتمكنة لا تضاف إلى المفرد «و أن» المفتوحة تجعل الفعل بعدها فى تأويل المفرد، فلم تبق «لمّا» مضافة إلى الجمل «۷»؛ فلذلك حكموا بزيادتها. و جعل الأخفش «۸» من زيادتها قوله تعالى: وَ ما لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ (_____ ۱) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندى و هو من أهل نجد من الطبقة الأولى قال لبيد بن ربيعة: «أشعر الناس ذو القروح» يعنى امرأ القيس (الترجمة

وافية فى «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة الدينورى ص: ۴۹). و أما بيت الشّعر فهو من قصيدة مطلعها «ألا عم صباحا» فى ديوانه ص: ۱۴۱ طبعة دار صادر. بيروت. (۲) هو يحيى بن زياد بن عبد اللّه الفرّاء تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۵۹. (۳) فى المخطوطة «تكررها». (۴) ساقطة من المخطوطة. (۵) ساقطة من المخطوطة. (۶) هو عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس، أبو عمرو بن الحاجب الكردى، تقدمت ترجمته فى ۱/ ۴۶۶. (۷) فى المخطوطة «الجملة». (۸) هو الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى تقدم ذكره فى ۱/ ۱۳۴. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۳ (إبراهيم: ۱۲)، وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (البقرة: ۲۴۶). و قيل: بل هى مصدرية؛ و الأصل «و ما لنا فى ألّا نفعل كذا»! فليست زائدة؛ لأنها عملت النصب فى المضارع. و أما «ما» فتزاد بعد خمس كلمات من حروف الجر؛ فتزاد بعد «من» و «عن» غير كافة لهما عن العمل، و تزاد بعد الكاف، و ربّ، و الباء؛ كافة تارة و غير كافة أخرى. [فأما] «۱» الكافة إما أن تكفّ عن عمل النصب و الرفع؛ و هى المتصلة بإنّ و أخواتها؛ نحو: إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ (النساء: ۱۷۱). كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ (الأنفال: ۶). و جعلوا منها: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ (فاطر: ۲۸)؛ و يحتمل أن تكون موصولة بمعنى «الذى» و «العلماء» خبر، و العائد مستتر فى «يخشى»، و أطلقت «ما» على جماعة العقلاء، كما فى قوله تعالى: أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ (النساء: ۳). ۳/ ۷۷ و إما أن تكفّ عن عمل الجر، كقوله تعالى: اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ (الأعراف: ۱۳۸) «۲» [و قيل: بل موصولة؛ أى «كالذى هو لهم آلهة»] «۲». و غير الكافة تقع بعد الجازم؛ نحو [قوله تعالى «۴»: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ (الأعراف: ۲۰۰)، أَيًّا ما تَدْعُوا (الإسراء: ۱۱۰)، أَيْنَما تَكُونُوا (النساء: ۷۸). و بعد الخافض؛ حرفا كان [نحو] «۵»: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ (آل عمران: ۱۵۹). فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ (المائدة: ۱۳) عَمَّا قَلِيلٍ (المؤمنون: ۴۰)، مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ (نوح: ۲۵)، أو اسما، نحو: أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ (القصص: ۲۸). «و تزاد بعد أداة الشرط؛ جازمة كانت، نحو: «۶» [أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ (النساء: ۷۸). أو غير جازمة، نحو] «۶»: حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ (فصلت: ۲۰ (_____). ۱) ليست فى المطبوعة. (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۴) ساقط من المخطوطة. (۵) ساقط من المخطوطة. (۶) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۴ و بين المتبوع و تابعه؛ نحو: مَثَلًا ما بَعُوضَةً (البقرة: ۲۶)، قال الزّجاج «۱»: «ما حرف زائد للتوكيد عند جميع البصريين» [انتهى «۲». و يؤيّده سقوطها فى قراءة ابن مسعود و «بعوضة» بدل. و قيل «ما» اسم نكرة صفة ل «مثلا»، أو بدل و «بعوضة» [عطف بيان » «۳» و قيل فى قوله: فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ (البقرة: ۸۸) بأنها زائدة لمجرد تقوية الكلام؛ نحو: ۳/ ۷۸ فَبِما رَحْمَةٍ (آل عمران: ۱۵۹) و «قليلا» فى معنى النفى، أو لإفادة التقليل كما فى نحو أكلت أكلا ما»، و على هذا فيكون «فقليلا بعد قليل» «۴». و أما «لا» فتزاد مع الواو بعد النفى، كقوله تعالى: وَ لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ (فصلت: ۳۴)؛ لأن «استوى» من الأفعال التى تطلب اسمين أى لا تليق بفاعل واحد؛ نحو «اختصم»، فعلم أن «لا» زائدة. و قيل: دخلت فى السيئة لتحقّق أنه «۵» لا تساوى الحسنة «۶» [السيئة، و لا السيئة الحسنة] «۶». و تزاد بعد «أن» المصدرية؛ كقوله: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ (الحديد: ۲۹)؛ أى ليعلم؛ و لو لا تقدير الزيادة لانعكس المعنى، فزيدت «لا» لتوكيد النفى. قاله ابن جنى «۸». و اعترضه ابن ملكون «۹»: «بأنه ليس هناك نفى حتى تكون هى مؤكدة له». ورد عليه الشّلوبين «۱۰»: «بأن هنا ما معناه النفى»؛ و هو ما وقع عليه العلم من قوله: أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلى (_____ ۱) هو إبراهيم بن السرى بن سهل تقدم ذكره فى ۱/ ۱۰۵. (۲) ساقط من المطبوعة. (۳) هذا كلام ابن هشام فى كتابه مغنى اللبيب ۱/ ۳۱۴ (بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد). و ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوط. (۴) مغنى اللبيب لابن هشام ۱/ ۳۱۶، و عبارة المخطوط «تقليلا بعد تقليل» و هو الصواب. (۵) فى المخطوطة «أنها». (۶) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۸) هو عثمان بن جنّى، أبو الفتح النحوى تقدم ذكره فى ۱/ ۳۶۱. (۹) هو إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون، أبو إسحاق الحضرمى، قال ابن الزبير: «أستاذ نحوى جليل» روى عن أبى الحسن شريح و أبى مروان بن محمد، و أجاز له القاسم بن بقى روى عنه ابن حوط اللّه و ابن خروف و الشلوبين من تصانيفه «شرح الحماسة» و «النكت على تبصرة الصّيمرى». توفى سنة (۵۸۴ ه) (السيوطى، بغية الوعاة ۱/ ۴۳۱). (۱۰) عبارة المطبوع

«السّكونى» و التصويب ما جاء فى المخطوطة. و الشلوبين تقدم ذكره فى ۲/ ۳۶۴. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۵ شَيْءٍ (الحديد: ۲۹)؛ و يكون هذا من وقوع النفى على العلم، «۱» [و المراد ما وقع عليه العلم «۱» كقوله: «ما علمت أحدا يقول ذلك إلا زيدا» فأبدلت من الضمير الذى فى «يقول» ما بعد «إلا»؛ و إن كان البدل لا يكون إلا فى النفى؛ فكما كان النفى هنا واقعا على العلم، و حكم لما وقع عليه العلم «۳» [بحكمه، كذلك يكون تأكيد النفى أيضا على ما وقع عليه العلم، و يحكم للعلم بحكم النفى، فيدخل على العلم توكيد النفى، و المراد تأكيد نفى ما دخل عليه العلم «۳». و إذا كانوا قد زادوا «لا» فى الموجب المعنى لما توجه عليه فعل منفىّ فى المعنى؛ كقوله ۳/ ۷۹ تعالى: ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ (الأعراف: ۱۲)، المعنى «أن تسجد»، فزاد «لا» تأكيدا للنفى المعنوى الذى تضمنه «منعك»؛ فكذلك تزاد «لا» فى العلم الموجب توكيدا للنفى الذى تضمنه الموجّه عليه. قال الشّلوبين «۵»: و أما زيادة [۱۷۵/ ب «لا» فى قوله: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ (الحديد: ۲۹)؛ فشىء متفق عليه؛ و قد نصّ عليه سيبويه، و لا يمكن أن تحمل الآية إلا على زيادة «لا» فيها، لأن ما قبله من الكلام و ما بعده يقتضيه. و يدل عليه قراءة ابن عباس و عاصم الجحدرى «۶»: «ليعلم أهل الكتاب» و قرأ ابن مسعود و ابن جبير «لكى يعلم» «۷» و هاتان القراءتان تفسير لزيادتها؛ و سبب النزول يدل على ذلك أيضا؛ و هو أن المشركين كانوا يقولون: إن الأنبياء منّا، و كفروا مع ذلك بهم «۸»، فأنزل اللّه تعالى: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ ... (الحديد: ۲۹) الآية.

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۵) تقدم ذكره فى ۲/ ۳۶۴. (۶) فى المطبوعة «عاصم و الحميدى» و التصويب ما ورد فى المخطوطة «عاصم الجحدرى» و الجحدرى هو: عاصم بن أبى الصباح العجاج تقدم ذكره فى ۱/ ۳۴۷. ذكر قراءته ابن خالويه فى كتابه «مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع» ص: ۱۵۳ قال: «ليى يعلم بياءين الجحدرى كأنه قلب الهمزة ياء» انتهى. و ذكره أبو حيّان فى البحر المحيط ۸/ ۲۲۹ عند تفسير قوله تعالى لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ ... الآية قال: «... و الجحدرى لينيعلم أصله «لأن يعلم» قلب الهمزة ياء لكسرة ما قبلها و أدغم النون فى الياء بغير غنة». (۷) ذكرها ابن خالويه فى كتابه «مختصر فى شواذ القرآن» ص: ۱۵۲. «شواذ سورة الحديد» و أبو حيّان فى «البحر المحيط» ۸/ ۲۲۹. آخر تفسير سورة الحديد. (۸) أورد سبب النزول بمعناه الطبرى فى جامع البيان ۲۷/ ۱۴۳ عند تفسير الآية. و القرطبى أيضا فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن ۱۷/ ۲۶۸، و لكن ورد فى الموضعين أن اليهود هم الذين قالوا ذلك و هو الصواب. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۶ و [منه «۱»: ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ (الأعراف: ۱۲)، بدليل الآية الأخرى: ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ (ص: ۷۵)؛ و ليس المعنى: ما منعك من ترك السجود؟ فإنه ترك، فلا يستقيم التوبيخ عليه. و قيل: ليست بزائدة من وجهين: أحدهما: أنّ التقدير ما دعاك إلى ألّا تسجد؟ لأنّ الصارف عن الشىء داع إلى تركه، فيشتركان فى كونهما من أسباب عدم الفعل. ۳/ ۸۰ الثانى: أنّ التقدير ما منعك من ألّا تسجد، و هذا أقرب مما قبله؛ لأن فيه إبقاء المنع على أصله، و عدم زيادتها أولى؛ لأن حذف حرف الجر مع «أن» كثير كثرة لا تصل إلى المجاز، و الزيادة فى درجته. قالوا: و فائدة زيادتها تأكيد الإثبات؛ فإن وضع «لا» نفى ما دخلت عليه، فهى معارضة للإثبات؛ و لا يخفى أنّ حصول الحكم مع المعارض أثبت مما إذا لم يعترضه المعارض، أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط. و منه: ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا* أَلَّا تَتَّبِعَنِ (طه: ۹۲- ۹۳). و قيل: و قد تزاد قبل القسم، نحو: فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ (المعارج: ۴۰) فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ (الواقعة: ۷۵)، لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ (القيامة: ۱)؛ أى أقسم بثبوتها. و ضعّف فى الأخيرة، بأنها «۲» وقعت صدرا، بخلاف ما قبلها، لوقوعها بين الفاء و معطوفها. و قيل: زيدت توطئة لنفى الجواب؛ أى لا أقسم بيوم القيامة، فلا يتركون سدى. ورد بقوله تعالى: لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ ... (البلد: ۱) الآيات، فإن جوابه مثبت، و هو: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ (البلد: ۴). و قيل غير زائدة.

(_____ ۱) ساقط من المخطوطة. (۲) فى المخطوطة «لأنها». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۷ و قيل: هى ردّ لكلام قد تقدّم من الكفّار، فإنّ القرآن كلّه كالسورة الواحدة، فيجوز أن يكون الادّعاء فى سورة، و الردّ عليهم فى أخرى؛ فيجوز الوقف على «لا» هذه. و اختلف فى قوله تعالى: قُلْ تَعالَوْا

أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ (الأنعام: ۳/ ۸۱ ۱۵۱). فقيل: زائدة ليصحّ المعنى؛ لأنّ المحرّم الشّرك. و قيل: نافية أو ناهية. و قيل: الكلام تمّ عند قوله: حَرَّمَ رَبُّكُمْ (الأنعام: ۱۵۱)، ثم ابتدأ: عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ (الأنعام: ۱۵۱). و قوله تعالى: وَ ما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ (الأنعام: ۱۰۹)؛ فيمن فتح الهمزة «۱»، فقيل «لا» زائدة، و إلا لكان عذرا للكفار. و ردّه الزّجاج «۲» بأنها نافية فى قراءة الكسر، فيجب ذلك فى قراءة الفتح. و قيل: نافية و حذف المعطوف؛ أى و أنهم يؤمنون. و قوله تعالى: وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ (الأنبياء: ۹۵). و قيل: «لا» زائدة، و المنع «۳»: ممتنع على أهل قرية قدّرنا إهلاكهم [لكفرهم «۴» أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة. و على هذا ف «حرام» خبر مقدم وجوبا لأن المخبر عنه «أن وصلتها». و قوله تعالى: ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا ۳/ ۸۲ عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ* وَ لا (_____ ۱) قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو بكر بخلاف عنه أَنَّها إِذا جاءَتْ ... بكسر الهمزة، و الباقون بفتحها. (الدانى، التيسير ص: ۱۰۶). (۲) هو إبراهيم بن السرى بن سهل تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۰۵. و قوله ورد فى كتابه إعراب القرآن ۱/ ۱۳۲. و انظر تفصيلا للمسألة فى المغنى لابن هشام ۱/ ۲۵۱. (۳) فى المخطوطة «و المعنى». (۴) ساقط من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۸ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْباباً (آل عمران: ۷۹- ۸۰) على قراءة من نصب يَأْمُرُكُمْ «۱» عطفا على يُؤْتِيَهُ ف «لا» زائدة مؤكّدة لمعنى النفى السابق. و قيل: عطف على يَقُولَ، و المعنى: ما كان لبشر أن ينصبه اللّه للدعاء إلى عبادته و ترك الأنداد، ثم يأمر الناس [۱۷۶/ أ] بأن يكونوا عبادا له، و يأمركم أن تتخذوا الملائكة و النبيين أربابا. و قيل: ليست زائدة لأنه عليه الصلاة و السلام كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة، و أهل الكتاب عن عبادة عزير و عيسى؛ فلما قالوا له: أ نتخذك ربّا؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يؤتيه اللّه الكتاب و الحكمة، ثم يأمر الناس بعبادته، و ينهاهم عن عبادة الملائكة و الأنبياء. و أما «من» فإنّها تزاد فى الكلام الوارد بعد نفى أو شبهه؛ نحو: وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها (الأنعام: ۵۹). ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ (الملك: ۳). مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ (المؤمنون: ۹۱). ۳/ ۸۳ و جوّز الأخفش «۲» زيادتها مطلقا؛ محتجّا بنحو قوله تعالى: وَ لَقَدْ جاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (الأنعام: ۳۴). يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ (نوح: ۴). يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ (الحج: ۲۳، الكهف: ۳۱). وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ (البقرة: ۲۷۱). و أما «ما» فى نحو قوله تعالى: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ (آل عمران: ۱۵۹)، و قوله: فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ (المائدة: ۱۳) ف «ما» فى هذين الموضعين زائدة؛ إلّا أنّ فيها فائدة جليلة؛ و هى أنه لو قال: فبرحمة «۳» [من اللّه لنت لهم، و بنقضهم لعنّاهم، جوّزنا أنّ اللين و اللعن كانا للسببين المذكورين و لغير ذلك، فلما أدخل «ما» فى الموضوعين قطعنا بأن اللين لم يكن إلّا للرحمة، و أن اللعن لم يكن إلا لأجل نقض الميثاق «۳». و أما الباء فتزاد فى الفاعل؛ نحو «كفى باللّه»، أى كفى اللّه، و نحو «أحسن بزيد»! إلا أنها فى التعجب لازمة. و يجوز حذفها فى فاعل كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً (الرعد: ۴۳)، وَ كَفى بِنا (_____ ۱) عاصم و حمزة و ابن عامر «و لا يأمركم» بنصب الراء، و الباقون برفعها، و أبو عمرو على أصله فى الاختلاس و الإسكان. (الدانى، التيسير ص: ۸۹). (۲) هو سعيد بن مسعدة المجاشعى أبو الحسن الأخفش تقدم ذكره فى ۱/ ۱۳۴. (۳) اضطربت العبارة فى المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۵۹ حاسِبِينَ (الأنبياء: ۴۷) و إنما هو «كفى اللّه» و «كفانا» «۱». و قال الزجاج «۲»: «دخلت لتضمّن «كفى» معنى اكتفى؛ و هو حسن». و فى المفعول، نحو: وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (البقرة: ۱۹۵)؛ لأن الفعل يتعدّى بنفسه؛ بدليل قوله: وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ (الحجر: ۱۹)، و نحو: وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ (مريم: ۲۵). أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى (العلق: ۱۴). فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ (الحج: ۱۵)، وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ (الحج: ۲۵). فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ ۳/ ۸۴ وَ الْأَعْناقِ (ص: ۳۳)، أى يمسح السوق مسحا. و قيل فى الأول: ضمّن «تلقوا» معنى «تفضوا». و قيل: المعنى لا تلقوا أنفسكم بسبب أيديكم؛ كما يقال: لا تفسد أمرك برأيك. و قيل فى قوله تعالى: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ (المؤمنون: ۲۰): إن الباء زائدة؛ و المراد: «تنبت الدهن». و فى المبتدإ؛ و هو قليل؛ و منه عند سيبويه: بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (ن:

۶). و قال أبو الحسن «۳»: بِأَيِّكُمُ متعلّق باستقرار محذوف مخبر عنه بالمفتون؛ ثم اختلف فقيل: «المفتون» مصدر بمعنى الفتنة، و قيل: الباء ظرفية، أى فى أيّكم الجنون». و فى خبر المبتدإ؛ نحو: جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها (يونس: ۲۷). و قال أبو الحسن: «الباء زائدة، بدليل قوله فى موضع آخر: وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» (الشورى: ۴۰). و فى خبر ليس؛ كقوله تعالى: أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (القيامة: ۴۰). أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ (الزمر: ۳۶).

(۱) فى المخطوطة «وكيلا». (۲) هو إبراهيم بن السرى تقدم ذكر ترجمته فى ۱/ ۱۰۵ و قوله ورد فى كتابه إعراب القرآن ۳/ ۸۵۵. و انظر المغنى لابن هشام ۱/ ۱۰۶. (۳) هو سعيد بن مسعدة المجاشعى، أبو الحسن الأخفش تقدمت ترجمته فى ۱/ ۱۳۴ و أما قوله فقد أورده ابن هشام فى كتاب مغنى اللبيب ۱/ ۱۱۰- ۱۱۱، و عبارة المغنى جاءت على الشكل التالى «... فقيل المفتون مصدر بمعنى الفتنة، و قيل الباء ظرفية، أى فى أىّ طائفة منكم المفتون». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۰ و قال ابن عصفور فى «المقرّب» «۱»: و تزاد فى نادر كلام لا يقاس عليه، كقوله تعالى: بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (القيامة: ۴۰) و (الأحقاف: ۳۳) انتهى. ۳/ ۸۵ و مراده الآية التى أولها: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ (الأحقاف: ۳۳)، و لذا «۲» صرّح به ابن أبى الربيع «۳» فى القراءتين. و يدلّ على الزيادة الآية التى فى (الاسراء) «۴»: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لا رَيْبَ فِيهِ (الآية: ۹۹). و زعم «۵» ابن النحاس «۶» أنه أراد الآية الأولى، أعنى قوله: أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (القيامة: ۴۰)، فاعتذر عنه بأنه: إنما قال ذلك و إن كان فى خبر ليس لأن «ليس» هنا بدخول الهمزة عليها لم يبق معناها من النفى، فصار الكلام تقريرا و يعنى بقوله: «فى نادر» فى القياس لا فى الاستعمال. و أما اللام، فتزاد معترضة بين الفعل و مفعوله؛ كقوله: و ملكت ما بين العراق و يثرب ملكا أجار لمسلم و معاهد «۷»

(۱) هو على بن مؤمن بن محمد أبو الحسن بن عصفور الاشبيلى تقدمت ترجمته فى ۱/ ۴۶۶. و أما كتابه «المقرب» فقد طبع (بتحقيق أحمد عبد الستار الجوارى و عبد اللّه الجبورى) بغداد رئاسة ديوان الأوقاف ۱۳۹۲ ه/ ۱۹۷۲ م، و حققه أيضا برسالة ماجيستير (يعقوب يوسف الغنيم) دار العلوم، جامعة القاهرة. (عبد الجبار، ذخائر التراث العربى ۱/ ۱۹۰). (۲) فى المخطوطة «و كذلك». (۳) هو أحمد بن سليمان بن أحمد أبو جعفر الكنانى الأندلسى الطنجى، المقرئ المعروف بابن أبى الربيع، مسند القراء بالأندلس، رحل و قرأ الروايات على أبى أحمد السامرى و أبى بكر الأذفونى، و أبى الطيب بن غلبون، و أقرأ الناس ببجّانة و المرّية، و عمّر دهرا طويلا توفى قبل سنة (۱۴۴ ه) (الذهبى، معرفة القراء الكبار ۱/ ۳۹۸) و أما القراءتان فقد ذكرهما ابن جرير فى تفسيره جامع البيان ۲۶/ ۲۳، و القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ۱۶/ ۲۱۹، و أبو حيّان فى البحر المحيط ۸/ ۶۸ عند تفسير سورة الأحقاف. (۴) ساقطة من المخطوطة. (۵) فى المخطوطة «و ظن». (۶) هو محمد بن إبراهيم، ابن النحاس، سيأتى التعريف به ص ۳۴۳. (۷) البيت لابن ميّادة، الرّماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة بن حرملة، من قصيدة يمدح مطلعها: من كان أخطأه الرّبيع فإنّما نصر الحجاز بغيث عبد الواحد فيها أمير المدينة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك. انظر أخبار ابن ميّادة فى كتاب الأغانى لأبى الفرج- البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۱ و جعل منه المبرّد «۱»، قوله تعالى: رَدِفَ [۱۷۶/ ب لَكُمْ (النمل: ۷۲)، و الأكثرون على أنه ضمّن رَدِفَ معنى: «اقترب»؛ كقوله: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ (الأنبياء: ۱). و اختلف فى قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ (النساء: ۲۶) «۲» [وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ «۲» (الأنعام: ۷۱)، فقيل زائدة، و قيل للتعليل و المفعول محذوف، أى يريد اللّه التبيين و ليبيّن لكم و يهديكم، أى فيجمع لكم بين الأمرين. و قال الزمخشرى «۴» فى قوله تعالى: وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (الآية: ۱۲)، ۳/ ۸۶ فى سورة الزمر: «لك أن تجعل اللام مزيدة مثلها فى «أردت لأن أفعل»، و لا تزاد إلا مع «أن» خاصة دون الاسم الصريح؛ كأنها زيدت عوضا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه؛ كما أتت «۵» السين فى «أسطاع»- يعنى بقطع الهمزة- «۶» عوضا من ترك الأصل الذى هو «أطوع» و الدليل على هذا مجيئه بغير لام؛ فى قوله تعالى: وَ

أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (الزمر: ۱۲). انتهى. و زيادتها فى «أردت لأن أفعل» لم يذكره أكثر النحويين؛ و إنما تعرّضوا لها «۷» فى إعراب: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ (النساء: ۲۶). و تزاد لتقوية العامل الضعيف إما لتأخّره «۸»، نحو: هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (الأعراف: ۱۵۴)، و نحو: إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ (يوسف: ۴۳). أو لكونه فرعا فى العمل، نحو: مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ (البقرة: ۹۱)، فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (البروج: ۱۶) نَزَّاعَةً لِلشَّوى (المعارج: ۱۶).

الأصفهانى ۱ / ۸۸- ۱۲۰، و قد ورد البيت فى مغنى اللبيب، لابن هشام ۱ / ۲۱۵، و فرائد العقود، للعينى ۳ / ۲۷۸، المطبوع على هامش خزانة الأدب و همع الهوامع، للسيوطى ۲/ ۳۳، و شرح شواهد المغنى، للسيوطى ۲/ ۵۸۰. (۱) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس المبرد، تقدم ذكره فى ۲/ ۴۹۷. (۲) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۴) فى الكشاف عند تفسير قوله تعالى وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۳/ ۳۴۲. (۵) فى الكشاف «كما عوض السين». (۶) ليس من قول الزمخشرى. (۷) فى المخطوطة «له». (۸) فى المخطوطة «لتأخيره». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۲ و قيل منه: إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ (طه: ۱۱۷)، و قيل: بل يتعلق بمستقرّ محذوف صفة لعدوّ؛ و هى للاختصاص. و قد اجتمع التأخر «۱» و الفرعية، فى نحو: وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ (الأنبياء: ۷۸). ۳/ ۸۷ و أما قوله تعالى: نَذِيراً لِلْبَشَرِ (المدثر: ۳۶)، فإن كان «نذيرا» «۲» بمعنى المنذر، فهو مثل: فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (البروج: ۱۶)، و إن كان بمعنى الإنذار، فاللام مثلها فى: «سقيا لزيد». و قد تجيء اللام للتوكيد بعد النفى، و تسمّى لام الجحود، و تقع بعد «كان» مثل: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ (الأنفال: ۳۳)، اللام لتأكيد النفى، كالباء الداخلة فى خبر «ليس»، و معنى قولهم: «إنها للتأكيد» «۳» أنك إذا قلت: «ما كنت أضربك» بغير لام، جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه: فإذا قلت: «ما كنت لأضربك»، فاللام جعلته بمنزلة ما لا يكون أصلا. و قد تأتى مؤكدة فى موضع، و تحذف فى آخر لاقتضاء المقام ذلك. و من أمثلته قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ (المؤمنون: ۱۵- ۱۶)، فإنه سبحانه أكّد إثبات الموت الذى لا ريب فيه تأكيدين، و أكّد إثبات البعث الذى أنكروه تأكيدا واحدا، و كان المتبادر العكس، لأن التأكيد إنما يكون حيث الإنكار؛ لكن فى النّظم وجوه: أحدها: أنّ البعث لما قامت البراهين القطعية عليه صار المنكر له كالمنكر للبديهيات؛ فلم يحتج إلى تأكيد؛ و أمّا الموت فإنه و إن أقروا به لكن لمّا لم يعلموا ما «۴» بعده نزّلوا منزلة من لم يقرّ به؛ فاحتاج إلى تأكيد ذلك؛ لأنه قد ينزّل المنكر كغير المنكر إذا كان معه ما لو تأمّله ارتدع من «۵» الإنكار. و لمّا ظهر على المخاطبين من التمادى فى الغفلة و الإعراض عن العمل

(۱) عبارة المخطوطة «يجتمع التأخير». (۲) فى المخطوطة «النذير». (۳) عبارة المخطوطة «و معنى قوله للتأكيد». (۴) فى المخطوطة «لما». (۵) فى المخطوطة «عن». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۳ لما بعده و الانهماك فى الدنيا، و هى من أمارات إنكار الموت، فلهذا قال: «ميتون» و لم يقل: تموتون؛ و إنما أكّد إثبات البعث الذى أنكروه تأكيدا واحدا، لظهور أدلته المزيلة للإنكار، إذا تأملوا فيها، و لهذا قيل: «تبعثون» على الأصل، و هو الاستقبال بخلاف «تموتون». الثانى: أنّ دخول اللام على «ميتون» أحق؛ لأنه تعالى يردّ على الدّهرية «۱» القائلين ببقاء النوع الإنسانى [۱۷۷/ أ]، خلفا عن سلف، و قد أخبر تعالى عن البعث فى مواضع من القرآن، [و أكّده «۲» و كذّب منكره؛ كقوله: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَ رَبِّى لَتُبْعَثُنَّ (التغابن: ۷) قاله الشيخ تاج الدين بن الفركاح «۳». الثالث: أنه لما كان العطف يقتضى الاشتراك فى الحكم استغنى «۴» [به عن إعادة لفظ اللّام؛ و كأنه قيل: «لتبعثون» و استغنى «۴» بها فى الثانى لذكرها فى الأول. الرابع: قال الزمخشرى: بولغ فى تأكيد الموت؛ تنبيها للإنسان «۶» [أن يكون الموت نصب عينيه، و لا يغفل عن ترقبه؛ فإن مآله إليه؛ فكأنه أكّدت جملته ثلاث مرات؛ لهذا المعنى، لأن الإنسان «۶» فى الدنيا يسعى فيها غاية السعى؛ [حتى «۸» كأنه مخلّد، و لم يؤكّد جملة البعث إلا ب «إنّ» لأنه أبرز بصورة «۹» المقطوع به الذى لا يمكن فيه نزاع، و لا يقبل إنكارا.

(۱) الدّهريّة هم الذين أنكروا الاعتقاد

فی اللّه، و أنكروا خلق العالم و العنايـة الإلهيـة. و لم يسـلموا بما جاءت به الأديان الحقّة كالشـرائع السـماوية و البعث و العقاب، و قالوا بقـدم الـدهر و أنّ المادة لا تفنى، و أن كل ما حـدث فى العالم إنما يرد إلى فعل القوانين الطبيعيـة. أى إلى حركـة الأفلاك، و قولهم بقـدم الدهر هو أبرز أقوالهم. (الخوارزمى، مفاتيح العلوم ص ۲۵) بتصرف. (۲) ساقط من المخطوطة. (۳) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضـياء بن سـباع الفزارى، تاج الدين المعروف بالفركاح فقيه أهل الشام كان إماما مدققا نظارا تفقه على شـيخ الإسلام عز الدين بن عبد السـلام. و روى البخارى عن ابن الزبيدى و سـمع من ابن اللّتى و ابن الصلاح، حدث عنه جماعة من تصانيفه كتاب «الإقليد لذوى التقليد» و شـرحا على «التنبيه» لم يسـمّه، و له على «الوجيز» مجلدات توفى سنة (۶۹۰ ه) (السـبكى، طبقات الشافعية ۵/ ۶۰). (۴) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۶) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۸) ساقط من المطبوعة. (۹) فى المخطوطة «فى صورة».

البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۴

قلت: هذه الأجوبة من جهة المعنى؛ و أما الصـناعة فتوجب «۱» ما جاءت الآية الشريفة عليه و هو حـذف اللام فى «تبعثون» لأن اللام تخلّص المضارع للحال؛ فلا يجاء [به «۲» مع يوم القيامة، لأنه مستقبل، و لأن «تبعثون» عامل فى الظرف المسـتقبل. و أمـا قوله: وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ (النحل: ۱۲۴)؛ فيمكن تأويلها بتقـدير عامل. ۳/ ۸۹ و نظير هـذا آية الواقعة؛ و هى قوله سـبحانه: لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (الآيـة: ۶۵). و قال سـبحانه فى الماء: لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً (الواقعـة: ۷۰) بغير لام؛ و الفرق بينهما من أربعة أوجه: أحدها: أن صيرورة الماء ملحا أسهل و أكثر من جعل الحرث حطاما، إذ الماء العذب يمرّ بالأرض السبخة فيصير ملحا، فالتوعّد به لا يحتاج إلى تأكيد، و هذا كما أنّ الإنسان إذا توعد عبده بالضرب بعصا و نحوه لم يحتج إلى توكيد، و إذا توعّـد بالقتل احتاج إلى تأكيد. و الثانى: إنّ جعل الحرث حطاما، قلب للمادّة و الصورة، و جعل الماء أجاجا قلب للكيفية فقط، و هو أسهل و أيسر «۳». الثالث: أن «لو» لمّا كانت داخلـة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعليق الجزاء أتى باللام علما على ذلك، ثم حذف الثانى للعلم بها، لأن الشـىء إذا علم لم يبال بإسـقاطه عن اللفظ و يساوى لشهرته حذفه و إثباته، مع ما فى حذفه من خفّة اللفظ و رشاقته «۴»؛ لأن تقـدّم ذكرها و المسافة قصـيرة يغنى عن ذكرها ثانيا. الرابع: أن اللام أدخلت فى آية المطعوم؛ للدّلالة على أنه يقدّم على أمر المشـروب، و أن الوعيد بفقده أشدّ و أصعب، من قبل أنّ المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم؛ و لهذا قدّمت [فى «۵» آية المطعـــــوم على آيـــــة المشـــــروب، ذكرهـــــا «۶» و الـــــذى قبلـــــه الزمخشـــــرى «۷».

(_____ ۱) فى المخطوطـة «فتـوجيه». (۲) ساقطة من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة «أكبر». (۴) ساقط من المطبوعة. (۵) ساقط من المطبوعة. (۶) عبارة المخطوطة «ذكر هذا». (۷) ذكره الزمخشرى فى الكشاف ۴/ ۶۱. مع تصرف فى العبارة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۵ و من ذلك حذف اللام فى قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ (الأنفال: ۱) و إثباتها بعـد قوله: فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ ... (الأنفال: ۳/ ۹۰ ۴۱) الآية، و الجواب أنك إذا عطفت على مجرور.

القسم السابع و العشرون باب الاشتغال

القسم السابع و العشرون باب الاشتغال فإنّ الشىء إذا أضمر ثم فسّر كان أفخم مما إذا لم يتقدم إضمار؛ أ لا ترى أنك تجد اهتزازا فى نحو قوله تعالى: وَ إِنْ أَحَـدٌ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ اسْـتَجارَكَ فَأَجِرْهُ (التوبة: ۶). و فى قوله: قُـلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَـةِ رَبِّى (الإسـراء: ۱۰۰). و فى قوله: يُـدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (الإنسان: ۳۱). و فى قوله: فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ (الأعراف: ۳۰) لا تجـد مثله فإذا قلت: و إن اسـتجارك أحد من المشـركين فأجره. و قولك: لو تملكون خزائن رحمة ربى. و قولـك: يـدخل من يشـاء فى رحمته و أعـدّ للظّالمين عـذابا أليمـا، و قولـك: هـدى فريقـا و أضلّ فريقا؛ إذ الفعل المفسّـر فى تقـدير المذكور مرتين. و كذا قوله تعالى: إِذَا السَّماءُ انْشَـقَّتْ (الانشـقاق: ۱)، إِذَا السَّمـاءُ انْفَطَرَتْ (الانفطار: ۱)، و نظائره، فهذه فائدة اشـتغال الفعل عن المفعول بضميره [۱۷۷/ ب .

القسم الثامن و العشرون التعليل

اشارة

القسم الثامن و العشرون التعليل بأن يذكر الشيء معلّلا؛ فإنّه أبلغ من ذكره بلا علة، لوجهين: أحدهما: أن العلّة المنصوصة قاضية بعموم المعلول؛ و لهذا اعترفت الظاهرية بالقياس فى العلّة المنصوصة «۱». الثانى: أن النفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعلّلة، بخلاف غيرها؛ و غالب التعليل (_____ ۱) أورد ابن حزم هذا الكلام فى كتابه المحلّى ۱/ ۵۷. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۶ فى القرآن، فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، و هو سؤال عن العلّة. منه: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ (يوسف: ۵۳). إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (الحج: ۱). إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (التوبة: ۱۰۳). و توضيح التعليل أن الفاء السببية لو وضعت مكان «إنّ» لحسن. و الطرق الدالة على العلة أنواع: الأول: التصريح بلفظ الحكم، كقوله تعالى: حِكْمَةٌ بالِغَةٌ (القمر: ۵). و قال: وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ (النساء: ۱۱۳)، و الحكمة هى العلم النافع و العمل الصالح. ۳/ ۹۲ الثانى: أنه فعل كذا لكذا، أو أمر بكذا لكذا، كقوله تعالى: ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ (المائدة: ۹۷). و قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا (الطلاق: ۱۲). جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ (المائدة: ۹۷). لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ (الحديد: ۲۹). وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ (البقرة: ۱۴۳). وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ (الأنفال: ۱۱). وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ (آل عمران: ۱۲۶)، و هو كثير. فإن قيل: اللام فيه للعاقبة، كقوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً (القصص: ۸)، و قوله: لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً (الحج: ۵۳)، و إنما قلنا ذلك لأنّ أفعال اللّه تعالى لا تعلّل. فالجواب أن معنى قولنا: إن أفعال اللّه تعالى لا تعلّل، أى لا تجب؛ و لكنها لا تخلو عن الحكمة، و قد أجاب الملائكة عن قولهم: أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها (البقرة: ۳۰) بقوله: إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ (البقرة: ۳۰). البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۷ و لو كان فعله «۱» سبحانه مجردا عن الحكم و الغايات لم يسأل «۲» الملائكة عن حكمته و لم يصحّ الجواب بكونه يعلم ما لا يعلمون من الحكمة و المصالح، و فرق بين العلم و الحكمة؛ و لأنّ لام العاقبة إنما تكون فى حق من يجهل العاقبة، كقوله: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ ۳/ ۹۳ عَدُوًّا وَ حَزَناً (القصص: ۸)؛ و أما من هو بكل شيء عليم فمستحيلة فى حقه؛ و إنما اللام الواردة فى أحكامه و أفعاله لام الحكمة و الغاية المطلوبة من الحكمة. ثم قوله: لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً (القصص: ۸) هو تعليل لقضاء اللّه بالتقاطه و تقديره لهم، فإن التقاطهم له إنما كان بقضائه و قدره، و ذكر فعلهم دون قضائه؛ لأنه أبلغ فى كونه حزنا لهم و حسرة عليهم.

قاعدة تفسيرية «۳»:

قاعدة تفسيرية «۳»: حيث دخلت «۴» واو العاطف على لام التعليل فله وجهان: أحدهما: أن يكون تعليلا معلّله محذوف، كقوله تعالى: وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً (الأنفال: ۱۷)؛ فالمعنى و للإحسان إلى المؤمنين فعل ذلك. [و قوله «۵» الثانى: أن يكون معطوفا على علة أخرى مضمرة، ليظهر صحة العطف، كقوله تعالى: وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لِتُجْزى (الجاثية: ۲۲)؛ التقدير: ليستدلّ بها المكلف على قدرته تعالى و لتجزى. و كقوله: وَ كَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ (يوسف: ۲۱) التقدير: ليتصرف فيها و لنعلمه. و الفرق بين الوجهين أنه فى الأول عطف جملة على جملة، و فى الثانى عطف مفرد على مفرد. و قد يحتملهما الكلام، كقوله تعالى: وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ (البقرة: ۲۵۹)، فالتقدير على الأول، و لنجعله آية فعلنا ذلك، و على الثانى: و لنبين للناس «۶» قدرتنا و لنجعله آية. و يطّرد الوجهان فى نظائره، و يرجّح كل واحد بحسب المقام، و حذف المعلّل هاهنا (_____ ۱) فى المخطوطة «تعليمه». (۲) فى

المخطوطة «تسأل». (۳) تأخرت القاعدة فى المخطوطة إلى ما بعد القسم الثالث و هو «الإتيان بكى». (۴) فى المخطوطة «دلّت». (۵) ساقط من المطبوعة. (۶) فى المخطوطة «له». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۸ أرجح، إذ لو فرض علة أخرى لم يكن بدّ من معلّل محذوف، و ليس قبلها ما يصلح له. ۳/ ۹۴ فإن قلت: لم قدّر المعلّل مؤخرا؟ قلت: فائدة هذا الأسلوب هو أن يجاء بالعلّة بالواو للاهتمام بشأن العلة المذكورة؛ لأنه إمّا أن يقدّر علة أخرى ليعطف عليها، فيكون اختصاص ذكرها لكونها أهمّ، و إما أن يكون على تقدير معلل؛ فيجب أن يكون مؤخرا ليشعر تقديمه بالاهتمام. الثالث: الإتيان بكى؛ كقوله تعالى: ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ (الحشر: ۷)، فعلّل سبحانه قسمة الفيء بين هذه الأصناف كيلا يتداوله الأغنياء دون الفقراء. و قوله: ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ (الحديد: ۲۲- ۲۳)، و أخبر سبحانه أنه قدّر ما يصيبهم من البلاء فى أنفسهم قبل أن تبرأ الأنفس أو المصيبة أو الأرض أو المجموع، ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه و أنّه هين عليه، و حكمته البالغة التى منها ألّا يحزن عباده على ما فاتهم، و لا يفرحوا بما آتاهم، فإنهم إذا علموا أنّ المصيبة فيه مقدّرة كائنة، و لا بدّ قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفائت، [۱۷۸/ أ] فلم يأسوا عليه و لم يفرحوا. الرابع: ذكر المفعول له و هو علة للفعل المعلّل به، كقوله: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً (النحل: ۸۹). و نصب ذلك على المفعول له أحسن من غيره، كما صرح به فى قوله: لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (النحل: ۴۴). و قوله: وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (البقرة: ۱۵۰). و قوله: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ (القمر: ۱۷)، أى لأجل الذكر؛ كما قال تعالى: فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (الدخان: ۵۸). و قوله: فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً* عُذْراً أَوْ نُذْراً (المرسلات: ۵- ۶)، أى للإعذار و الإنذار. و قد يكون معلولا بعلّة أخرى، كقوله تعالى يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۶۹ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ (البقرة: ۱۹)، ف «من الصواعق» يحتمل أن تكون فيه «من» لابتداء الغاية فتتعلّق بمحذوف، أى خوفا من الصواعق، و يجوز أن تكون معلّلة بمعنى اللام كما فى قوله تعالى: كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ (الحج: ۲۲)، أى لغمّ. و على كلا التقديرين ف «من الصواعق» فى محل نصب على أنه مفعول له، و العامل فيه يَجْعَلُونَ. و حَذَرَ الْمَوْتِ مفعول له أيضا فالعامل فيه مِنَ الصَّواعِقِ، ف «من الصواعق» علة ل «يجعلون». معلول لحذر الموت، لأن المفعول الأول الذى هو «من الصواعق» يصلح جوابا لقولنا: «۱» [لم يجعلون أصابعهم فى آذانهم؟ و المفعول الثانى الذى هو «حذر الموت» يصلح جوابا لقولنا] «۱»: لم يخافون من الصواعق؟ فقد ظهر ذلك. الخامس: اللام فى المفعول له، و تقوم مقامه الباء، نحو: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا (النساء: ۱۶۰). [و من «۳»، نحو: مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا (المائدة: ۳۲). ۳/ ۹۶ و الكاف، نحو: كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ (البقرة: ۱۵۱)، و قال: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ (البقرة: ۱۵۲)، و قال: فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَما عَلَّمَكُمْ (البقرة: ۲۳۹)، أى لإرسالنا و تعليمنا. السادس: الإتيان بإنّ، كقوله تعالى: وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (المزمل: ۲۰). وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ (التوبة: ۱۰۳). وَ ما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ (يوسف: ۵۳). فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً (طه: ۱۰). و كقوله: فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ (يس: ۷۶)، و ليس هذا من قولهم، لأنه لو كان قولهم لما حزن الرسول، و إنما جيء بالجملة لبيان العلة و السبب [۱۷۸/ ب فى أنه لا يحزنه قولهم.

(_____ ۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) ساقطة من المخطوطة. البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۷۰ و كذلك قوله تعالى: وَ لا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً (يونس: ۶۵) و الوقف على القول فى هاتين الآيتين و الابتداء بإنّ لازم. و قد يكون علة [لعلّة] «۱» كقوله: إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً* إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً (الفرقان: ۶۵- ۶۶). و فيها وجهان لأهل المعانى. ۳/ ۹۷ أحدهما: أن سؤالهم لصرف العذاب معلّل بأنه غرام، أى ملازم الغريم، و بأنها ساءت مستقرا و مقاما. الثانى: أنّ «ساءت». تعليل لكونه غراما. السابع: أن و الفعل المستقبل بعدها؛ تعليلا لما قبله، كقوله تعالى: أَنْ تَقُولُوا إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا (الأنعام: ۱۵۶). و قوله تعالى: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما

فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ (الزمر: ۵۶). و قوله: تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ (التوبة: ۹۲) كأنه قيل: لم فاضت أعينهم من الدمع؟ قيل: للحزن، فقيل: لم حزنوا؟ فقيل: لئلا يجدوا. و قوله: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى (البقرة: ۲۸۲). و نظائره كثيرة. و فى ذلك طريقان: أحدهما: للكوفيين، أنّ المعنى لئلّا يقولوا، و لئلّا تقول نفس. الثانى: للبصريين، أنّ المفعول له محذوف؛ أى كراهة «۲» أن يقولوا، أو حذار أن يقولوا. فإن قيل: كيف يستقيم الطريقان فى قوله: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى (البقرة: ۲۸۲) فإنك إذا قدرت: «لئلا تضلّ إحداهما» لم يستقم عطف «فتذكر» عليه؛ و إن قدّرت «حذار أن تضل إحداهما» لم يستقم العطف أيضا؛ لأنه لا يصحّ أن تكون الضلالة علّة لشهادتهما. ۳/ ۹۸ قيل: بظهور المعنى يزول الإشكال، فإن المقصود إذكار إحداهما الأخرى إذا ضلّت (_____ ۱) ساقط من المطبوعة. (۲) فى المخطوطة «كراهية». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۷۱ و نسيت؛ فلما كان الضلال سببا للإذكار جعل موضع العلة [كما] «۱»، تقول: «أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعم بها»؛ فإنما أعددتها للدّعم لا للميل؛ و «۲» أعددت هذا الدواء أن أمرض فأداوى به و نحوه، هذا قول سيبويه و البصريين «۲». و قال الكوفيون: تقديره فى «تذكّر إحداهما الأخرى» إن ضلّت، فلمّا تقدم الجزاء اتصل بما قبله، ففتحت أن. الثامن: «من أجل» فى قوله تعالى: مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ (المائدة: ۳۲) فإنه لتعليل الكتب، و على هذا فيجب الوقف على: مِنَ النَّادِمِينَ (المائدة: ۳۱). و ظن قوم أنه تعليل لقوله: مِنَ النَّادِمِينَ؛ أى من أجل قتله لأخيه؛ و هو غلط، لأنه يشوّش صحّة النظم و يخلّ بالفائدة. فإن قلت: كيف يكون قتل أحد ابنى آدم للآخر علة للحكم على أمّة أخرى بذلك الحكم؟ و إذا كان علّة فكيف كان قتل «۴» نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلّهم؟ قيل: إن اللّه- سبحانه- يجعل أقضيته و أقداره عللا لأسبابه الشرعية و أمره، فجعل حكمه الكونى القدرىّ علة لحكمة أمره الدينى «۵»؛ لأن القتل لما كان من أعلى أنواع الظلم و الفساد، ۳/ ۹۹ فخم أمره، و عظم شأنه، و جعل إثمه أعظم من إثم غيره، و نزّل قاتل النّفس الواحدة منزلة قاتل الأنفس كلّها فى أصل العذاب؛ لا فى وصفه. التاسع: التعليل بلعلّ، كقوله تعالى: اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة: ۲۱)، قيل: هو تعليل لقوله: اعْبُدُوا (البقرة: ۲۱)، و قيل لقوله: خَلَقَكُمْ. و قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة: ۱۸۳)؛ حيث لمح فيها معنى الرجاء رجعت «۶» إلى المخاطبين. (_____ ۱) ساقطة من المطبوعة. (۲) اضطربت عبارة المخطوطة كما يلى: «و إن أعددت من هذا الدواء أن أمرض فيما يداوى و نحوه من هذا القول سيبويه و البصريين». (۴) فى المخطوطة «قاتل». (۵) عبارة المخطوطة «الدينى الأمرى». (۶) فى المخطوطة «و حيث». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۷۲ العاشر: ذكر الحكم الكونىّ أو الشرعىّ عقب الوصف المناسب له، فتارة يذكر بأن، و تارة بالفاء [۱۷۹/ أ]، و تارة يجرّد. فالأول: كقوله تعالى: وَ زَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ (الأنبياء: ۸۹) إلى قوله: خاشِعِينَ (الأنبياء: ۹۰). و قوله: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ* آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ (الذاريات: ۱۵- ۱۶). و الثانى: كقوله: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما (المائدة: ۳۸). الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ (النور: ۲). و الثالث: كقوله: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ* ادْخُلُوها بِسَلامٍ (الحجر: ۴۵- ۳/ ۱۰۰ ۴۶). إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة: ۲۷۷). الحادى عشر: تعليله سبحانه عدم الحكم بوجود المانع منه؛ كقوله تعالى: وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ ... (الزخرف: ۳۳) الآية. و قوله: وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ (الشورى: ۲۷)، وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ (الإسراء: ۵۹)، أى آيات الاقتراح، لا الآيات الدالّة على صدق الرسل التى تأتى منه سبحانه ابتداء. و قوله: وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ (فصلت: ۴۴). و قوله: لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ (الأنعام: ۸)، فأخبر سبحانه عمّا يمنع من إنزال الملك «۱» [عيانا بحيث يشاهدونه، و إنّ عنايته و حكمته بخلقه اقتضت منع ذلك؛ بأنه لو أنزل عليه الملك «۱» ثم عاينوه و لم يؤمنوا به لعوجلوا بالعقوبة، و جعل الرسول بشرا ليمكنهم

التّلقّى عنه و الرجوع إليه، و لو جعله ملكا؛ فإمّا أن يدعه على هيئته الملكية، أو يجعله على هيئة البشر؛ و الأول يمنعهم من التلقّى عنه، و الثانى لا يحصل مقصوده «۳»؛ إذا كانوا يقولون: هو بشر لا ملك.

(***۱) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة «مقصودهم». البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۷۳ الثانى عشر: إخباره عن الحكم و الغايات التى جعلها فى خلقه [و أمره «۱»، كقوله: الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ... الآية (البقرة: ۲۲). ۳/ ۱۰۱ و قوله: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً ... الآيات (النبأ: ۶). و قوله: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً ... الآية (النحل: ۸۰). و كما يقصدون البسط و الاستيفاء يقصدون الإجمال و الإيجاز، كما قيل: يرمون بالخطب الطّوال و تارة وحى الملاحظ خيفة الرّقباء «۲» «۳» [و قوله: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً] «۳» (الروم: ۲۱).

الأسلوب الثانى الحذف

اشارة

الأسلوب الثانى الحذف ۳/ ۱۰۲ و هو لغة الإسقاط؛ و منه حذفت الشعر إذا أخذت منه. و اصطلاحا إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل. و أما قول النحويين: الحذف لغير «۵» دليل، و يسمى اقتصارا؛ فلا تحرير فيه، لأنه [لا حذف فيه «۶» بالكلية كما سنبينه فيما «۷» يلتبس به الإضمار و الإيجاز. و الفرق بينهما أن شرط الحذف و الإيجاز «۸» أن يكون ثمّ مقدّر؛ نحو: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ (يوسف: ۸۲) بخلاف الإيجاز؛ فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعانى الجمة بنفسه. [و الفرق «۹» بينه و بين الإضمار أنّ شرط المضمر بقاء أثر المقدّر [فى اللفظ] «۱۰»، نحو: يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (الإنسان: ۳۱) أى و يعذّب

(۱) ساقطة من المخطوطة. (۲) البيت لأبى دؤاد بن حريز الدؤلى، ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد ۴/ ۵۵. (۳) ما بين الحاصرتين ساقط من المخطوطة. (۵) فى المخطوطة (بغير). (۶) ساقطة من المخطوطة. (۷) فى المخطوطة (و مما). (۸) فى المخطوطة (و الإضمار). (۹) ساقطة من المخطوطة: و العبارة فى المخطوطة (بين الحذف) بدل (بينه). (۱۰) ساقطة من المخطوطة: البرهان فى علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۷۴ الظالمين «۱». انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ (النساء: ۱۷۱). [أى ائتوا أمرا خيرا لكم «۲»؛ و هذا لا يشترط فى الحذف. و يدلّ على أنه لا بدّ فى الإضمار «۳» من ملاحظة المقدّر باب «۴» الاشتقاق؛ فإنه من أضمرت الشيء، أخفيته، قال: سيبقى «۵» لها فى مضمر القلب و الحشا «۶» ۳/ ۱۰۳ و أما الحذف «۷»؛ فمن حذفت «۸» الشيء قطعته؛ و هو يشعر بالطرح، بخلاف الإضمار، و لهذا قالوا: «أن» تنصب ظاهرة «۹» و مضمرة. و ردّ ابن ميمون «۱۰» قول النحاة: إن «۱۱» الفاعل يحذف فى باب المصدر، و قال: الصواب أن يقال: يضمر و لا يحذف؛ لأنه عمدة فى الكلام. و قال ابن جنى «۱۲» فى «خاطرياته»: من اتصال الفاعل بالفعل «۱۳» أنّك تضمره فى لفظ إذا عرفته نحو [قم «۱۴»؛ و لا تحذفه كحذف المبتدإ [۱۷۹/ ب ؛ و لهذا لم يجز عندنا ما ذهب إليه الكسائىّ فى «ضربنى، و ضربت قومك».

(۱) تصحفت فى المطبوعة إلى (المنافقين). (۲) العبارة ساقطة من المخطوطة. (۳) فى المخطوطة (الإفراد). (۴) العبارة فى المخطوطة (فى باب الاشتقاق). (۵) فى المخطوطة (سنبقى). (۶) البيت فى لسان العرب ۴/ ۴۹۲ مادة (ضمر) و نسبه إلى الأحوص بن محمد الأنصارى. (۷) فى المخطوطة (الحرف). (۸) فى المخطوطة (حذف). (۹) فى المخطوطة (مظهره). (۱۰) هو محمد بن عبد اللّه بن ميمون أبو بكر العبدرى، استوطن مراكش و كان عالما بالقراءات ذاكرا للتفسير حافظا للفقه و اللغة و الأدب شاعرا كاتبا مبرّزا فى النحو حسن الخلق متواضعا روى عن أبى بكر بن العربى و شروع و أبى الوليد بن رشد و لازمه عشر سنين من مصنفاته «شرح أبيات الإيضاح» و «شرح المقامات» و له

شرحین علی «الجمل» و غیرها ت ۵۶۷ ه بمراکش (السیوطی، بغیة الوعاة ۱/ ۱۴۷). (۱۱) فی المخطوطة (بأن). (۱۲) تقدم التعریف به فی ۱/ ۳۶۱، و بکتابه ۲/ ۴۳۶. (۱۳) تقدیم و تأخیر فی المخطوطة (الفعل بالفاعل). (۱۴) ساقطة من المخطوطة. البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۷۵

فصل «۱»

فصل «۱» المشهور أن الحذف مجاز؛ و حکی إمام الحرمین «۲» فی «التلخیص» عن بعضهم: أن الحذف لیس بمجاز، إذ هو استعمال اللفظ فی غیر موضعه «۳»، و الحذف لیس کذلک. و قال ابن عطیة «۴» فی تفسیر سورة یوسف: و حذف المضاف هو عین المجاز أو معظمه «۵»؛ و هذا «۶» مذهب سیبویه و غیره من أهل النظر، و لیس کلّ حذف مجازا. انتهی. و قال الزنجانی «۷» فی «المعیار»: إنما یکون مجازا إذا تغیّر [بسببه «۸» حکم؛ فأما إذا ۳/ ۱۰۴ لم یتغیر به حکم، کقولک: زید منطلق و عمرو «۹»، بحذف الخبر؛ فلا یکون مجازا إذا لم یتغیر حکم ما بقی من الکلام. و التحقیق أنه إن أرید بالمجاز استعمال اللفظ فی غیر موضعه فالمحذوف لیس کذلک، لعدم استعماله، و إن أرید بالمجاز [استعمال «۱۰» إسناد الفعل إلی غیره- و هو المجاز العقلی- فالحذف کذلک.

(_____۱) فی المخطوطة (مسألة). (۲) تقدم التعریف به فی ۱/ ۱۱۸. و کتابه قال عنه حاجی خلیفة فی کشف الظنون ۱/ ۴۶۶، کتاب التقریب فی الفروع لقاسم بن محمد، ابن القفال الشاشی، لخصه إمام الحرمین أبی المعالی عبد الملک بن عبد اللّه الجوینی ا. ه بتصرف. و الکتاب قام بتحقیق الجزء الأول منه عبد اللّه جولم بالمدینة المنورة الجامعة الإسلامیة کرسالة دکتوراه، و قام بتحقیق الجزء الثانی شبیر أحمد العمری بالمدینة المنورة الجامعة الإسلامیة کرسالة ماجستیر (أخبار التراث العربی ۲۵/ ۲۰). (۳) فی المخطوطة (موضوعه). (۴) هو عبد الحق بن غالب الغرناطی تقدم التعریف به فی ۱/ ۱۰۱. (۵) فی المخطوطة (و معظمه). (۶) فی المخطوطة (هذا). (۷) هو عبد الوهاب بن إبراهیم بن عبد الوهاب بن أبی المعالی الزنجانی صاحب «شرح الهادی» المشهور أکثر الجاربردی من النقل عنه فی «شرح الشافیة» و من مصنفاته أیضا «متن الهادی» و «التصریف» المشهور بتصریف العزّی و له مؤلفات فی العروض و القوافی ت ۶۶۰ ه (السیوطی، بغیة الوعاة ۱/ ۱۲۲). (۸) ساقطة من المخطوطة. (۹) فی المخطوطة (و عمرو منطلق). (۱۰) ساقطة من المخطوطة. البرهان فی علوم القرآن، ج۳، ص: ۱۷۶

(جدید ۲)

(جدید ۳)

(جدید ۴)

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة

صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ– بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةَ المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹